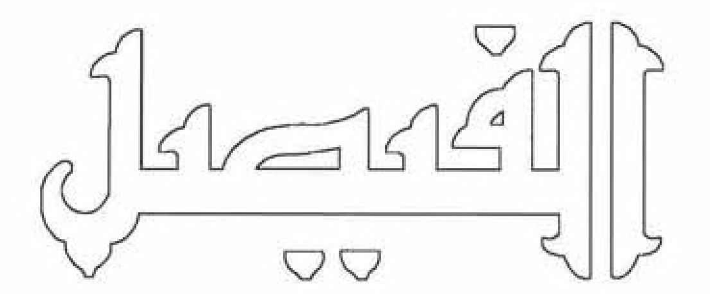
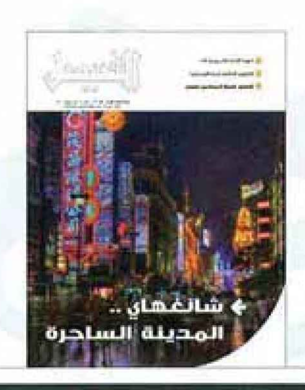


- دروبا: الطباعة بين يديك
- إشلون: العالم تحت مجهر أمريكا!
- العطور: هدية المسلمين للغرب

مجلة ثقافية شهرية - العددان ٣٨٥-٣٨٦ رجب-شعبان ١٤٢٩هـ /يوليو-أغسطس ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 385-386 - July-Aug. 2008

شانغهاي .. المدينة الساحرة



هذه المدينة ذات ميزة خاصة، فصدرها كالبحر يستطيع أن يستقبل الأنهار الجارية كافة، ويصعب على الزائر نسيانها؛ لأن فيها وفرة من حكايات التاريخ، وهي لا تكتفي بذلك، فهي تعيش عصرها، وتلفت أنظار العالم كله، إنها شانغهاي الصينية.

إدارة التحرير
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
حوى النبي علي صالح
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني
الوليد إبراهيم دينار

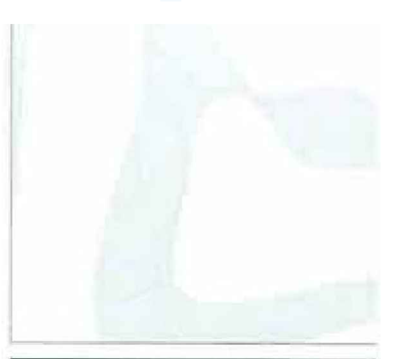
المراسلات للتحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

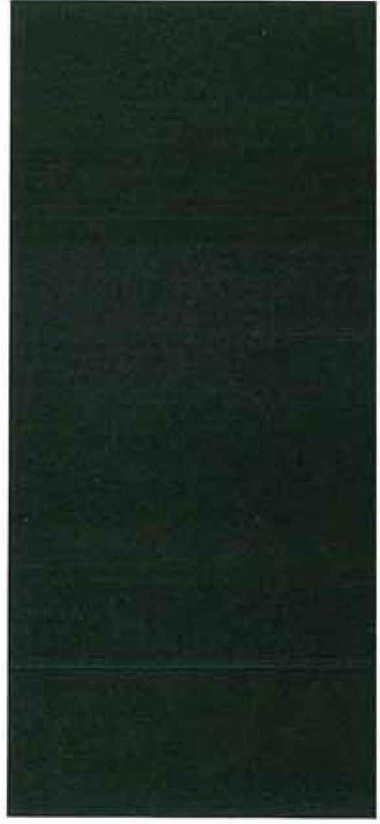
الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد. ٢٥٠ ريالاً سعوديا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠
ردمد ٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية





ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

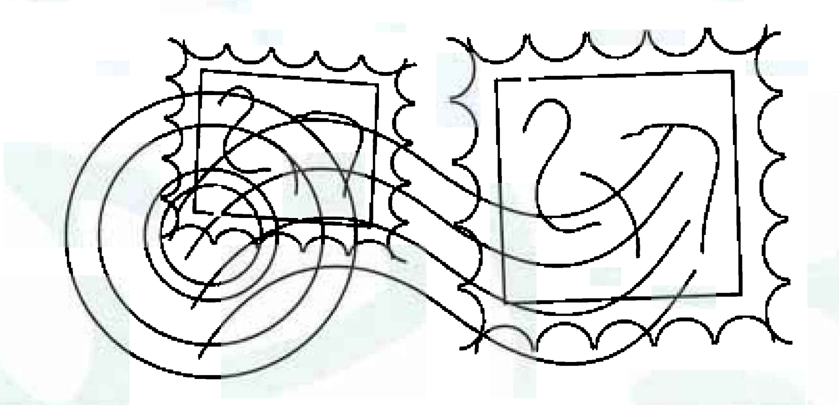
السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلساً. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥ جنيهاً. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠، ١دينار. الجزائر ٨٠ ديناراً. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢... سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٢٨٢١٢ ٨٤٠ فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٩٦٣. ٠٠٩٦٣. تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٢نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٣٢٣٠٠٧١٤/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦. قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤. الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٢٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١، فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢. البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١. الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥. المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣. الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





رسائلكم

عمل جليل

ثبت لديّ وسرني كثيراً ما يقوم به مركز الملك فيصل من الأعمال الخيرية والطيبة التي تتمثل في خدمة الحضارة الإسلامية بكمالها وشمولها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونسأل الله أن يوفقه لما يحب ويرضى، وأن يوفقه إلى كل خير، وأن يعينه على مهمته، وأن يحفظه للملكة العربية السعودية خاصة، وللمسلمين عامّة. آمين، آمين، ياربّ العالمين.

آمل معرفة كيفية الحصول على إصدارات المركز، ولكم مني فائق التقدير والاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بوعرعارة زويسي

تبسة - الجزائر

التحرير:

إن مايقوم به مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية من دور في خدمة الحضارة الإسلامية هو هدف من الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مؤسسة الملك فيصل الخيرية: إحياءً لذكرى الملك فيصل - رحمه الله - وترسيخاً لنهجه. وقد وفّر المركز كثيراً من الكتب التي تشتمل على صنوف من المعرفة، بأقلام كتّاب مختصين، ويسهل الحصول على أي كتاب منها من خلال الاتصال بقسم التسويق على العنوان الآتي:

(المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٥٤٣ - ص.ب ٥١٠٤٩ قسم التسويق - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية).

منح دراسية

آمل التفضل بإعطائي معلومات عن كيفية القبول بالجامعات السعودية، وهل في الإمكان الحصول على منحة دراسية في المملكة العربية السعودية، لرغبتي في الحصول على شهادة جامعية اختصاص آداب اللغة العربية، والعمل في سلك التعليم لنشر الثقافة العربية، لهذا أطلب منكم نشر رسالتي هذه في مجلتكم الغراء، عسى أن أجد استجابة لطلبي هذا.

كما آمل توجيهي لكيفية الحصول على مجلة «الفيصل» بانتظام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمال بركات

رقم ٩ طريق رقم ٣

الكاليتوس ١٦١١١ الجزائر

التحرير:

بخصوص رغبتك في الدراسة في المملكة يمكنك مخاطبة القسم التعليمي في السفارة السعودية في بلدكم للاطلاع على الفرص المتاحة، وشروط التقدم لها. كما أن هناك مواقع لوزارة التعليم العالي والجامعات السعودية على شبكة الإنترنت، ويمكن العثور عليها من خلال البحث ومراسلتها. أما أقصر السبل للحصول على المجلة بانتظام فهو الاشتراك فيها.

مقررات دراسية

يسرني غاية السرور أن أقدم هذه الرسالة، راجياً من الله عز وجل أن تصل إلى سيادتكم وأنتم في أتم الصحة والعافية.

غرضي من كتابة هذه الرسالة إليكم هو أنني طالب في إحدى المدارس الإسلامية في ديفو «ساحل العاج» وأنا في مرحلة المتوسط، وعلى هذا أفتقد بعض المقررات التي نتعلمها في المدرسة، وهذا الذي جعلني أمد يدي إلى طلب مساعدتكم المأجورة لتزودوني ببعضها،

كما آمل إرسال أعداد من مجلتكم الغراء.

وختاماً، أرجو من الله تعالى أن يكون هذا الطلب مقبولاً لديكم، وأنا في انتظار ردكم في أقرب وقت إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو بكر سيساكو

مدرسة راية الإسلام

ص.ب ٣٠٤، ساحل العاج، ديفو

التحرير:

لقد أوردنا عنوانك البريدي لعل هناك من الإخوة القراء من يرغب في مساعدتكم. وسوف نرسل إليك بعض أعداد المجلة، لعلك تجد فيها ما يفيدك.

«الفيصل» على الشبكة العنكبوتية

منذ سنوات وأنا أقرأ بفخر واعتزاز مجلتكم الغراء «الفيصل»، أدامها الله، وحفظها، وسدد خطاها على الطريق. ولاحظت أنها تتميز بتنوع موضوعاتها ما بين الثقافة العامة، وتكنولوجيا المعلومات.

وهي تستقطب عدداً كبيراً من الكتاب من المملكة ومن خارجها. أضف إلى ذلك تفرّد المجلة بإخراج عالي الجودة، إذ إنها توظف الصور والرسوم والأشكال الملونة بشكل جيد، مما يمثل إضافة إلى الموضوعات التي تتناولها.

ولنا بعض الاقتراحات:

- تصدر المجلة عن دار الفيصل الثقافية في الرياض، ولهذه الدار إصدارات مهمة متميزة، وبعضها ذو قيمة معرفية عالية، ولا بد أن تعتني المجلة بالتعريف الوافي بهذه الإصدارات.
- نطلب منكم الاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.
- الاهتمام بموضوعات عن الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.
- إلقاء الضوء على المكتبات العلمية التراثية والتعريف بمحتوياتها.
- التعريف بالإصدارات الثقافية المختلفة.
- أن يهتم بتوزيعها على مستوى أوسع حتى تصل إلى قطاع عريض من القراء.
- وأخيراً، متى نرى المجلة على الشبكة العنكبوتية؟

نرجو منكم إفادتنا بأعداد من مجلتي «الفيصل العلمية»، و«الفيصل الأدبية». كما أود تبادل المجلات مع الإخوة في دول العالم.

أخوكم: أبو عبدالوهاب محمد

بواسطة المهندس أحمد زياينة

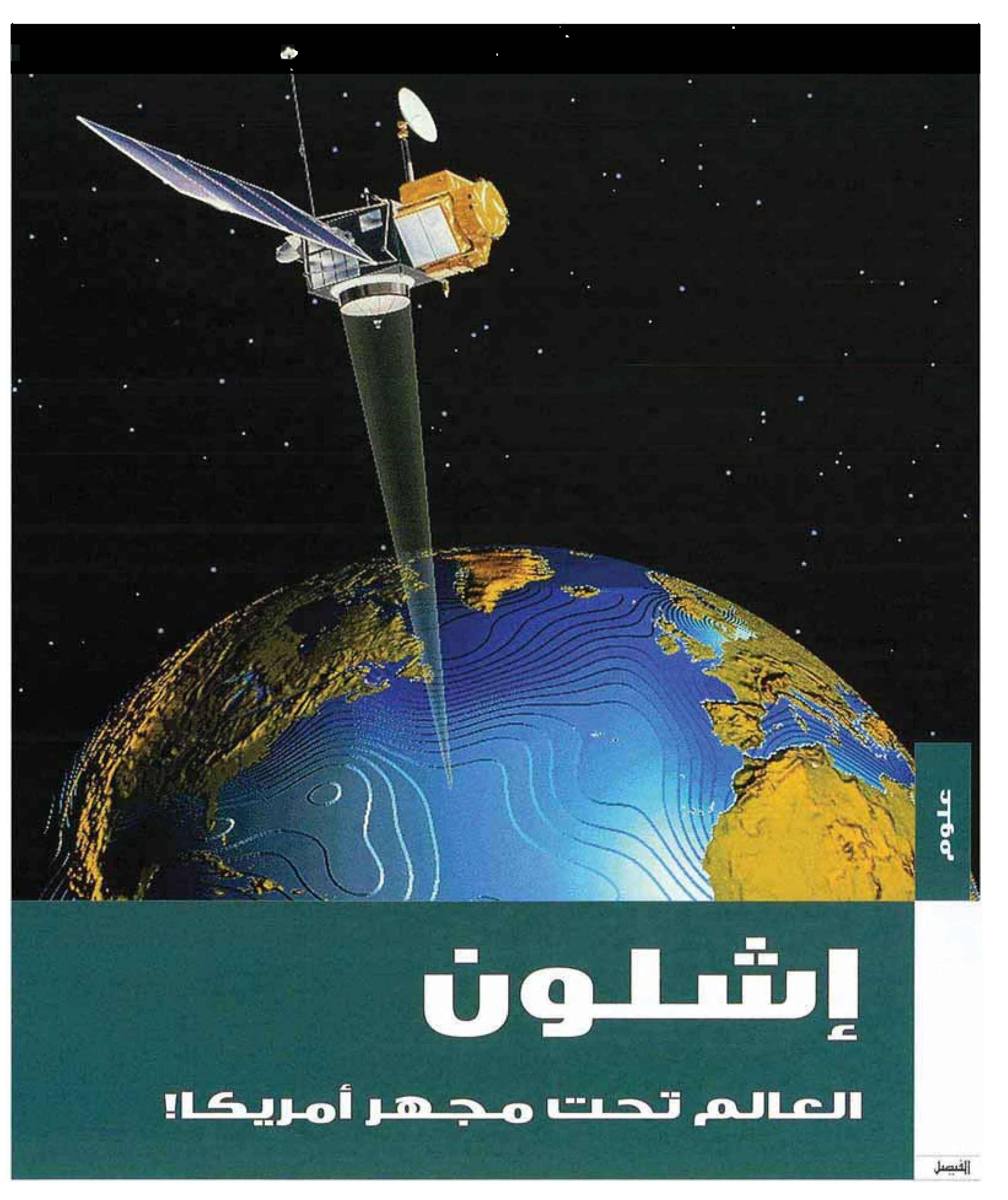
مكتبة: نبراس الحق

صندوق بريد رقم: ٢٦٧، مدينة السوقر

الرمز البريدي: ١٤٢٠٠، ولاية تيارت، الجمهورية الجزائرية.

التحرير:

بخصوص التعريف بإصدارات دار الفيصل الثقافية فقد درجت المجلة على التعريف بها بصورة دائمة. أما بخصوص الموضوعات الأخرى فقد تناولنا عدداً منها في أعدادنا السابقة. كما أننا على استعداد لنشر ما يصلنا منها منك أو من قرائنا الأعزاء في أعدادنا القادمة، وهذه دعوة إلى الكتابة في «الفيصل». كما نعدكم أن تروا المجلة على الشبكة العنكبوتية قريباً.

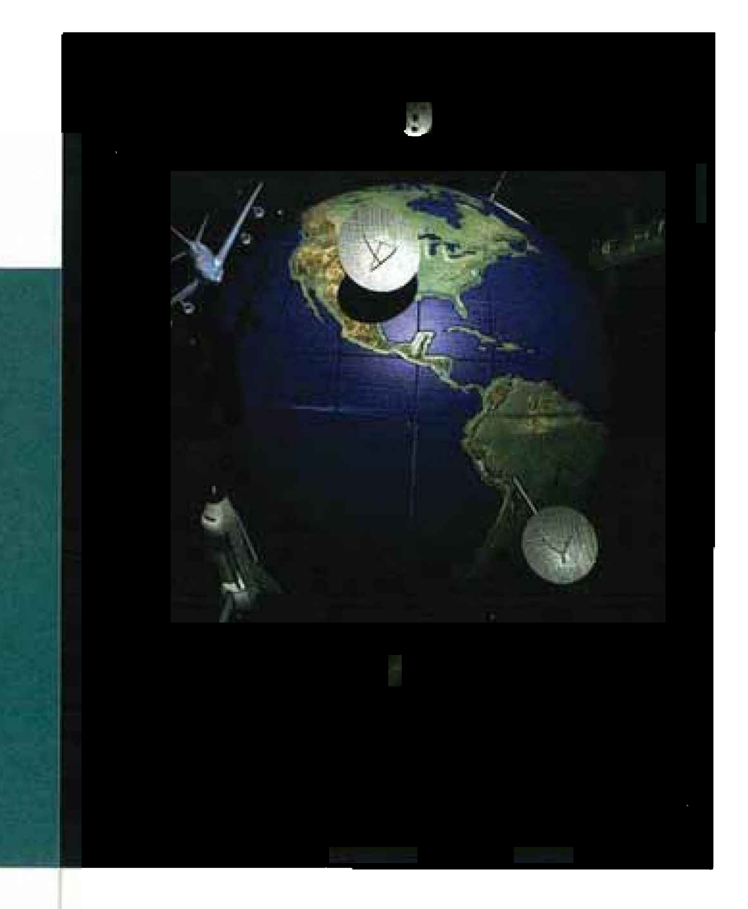


إشلون

العالم تحت مجهر أمريكا!

أبوبكر سلطان

الرياض - السعودية



مقدمة

إن مصطلح المعرفة أوسع نطاقاً من مصطلح المعلومات، ويمكن تعريف «المعلومات» بأنها: معرفة الإجابة عن «ماذا»؟ و عن «لماذا» ؟ وهذه المكونات من المعرفة لها علاقة وثيقة بالاقتصاد الاستهلاكي أو الإنتاجي. أما المكونات الأخرى مثل: معرفة الإجابة عن «كيف» ؟ وعن «من» ؟. فهي مكونات غير ظاهرة (ضمنية) ومن الصعب قياسها أو ترميزها .

ويمكن تعريف المكونات الأربعة للمعرفة كالآتي:

- معرفة «ماذا» ؟

تشير إلى معرفة «حقائق» مثل: كم يبلغ عدد سكان مدينة ما؟ أو: ما مكونات الحاسب؟. هنا المعرفة قريبة جداً من مصطلح المعلومات؛ لذلك يمكن ترميزها إلى وحدات معلوماتية رقمية ثنائية تسمى «بتة bit»[1].

- معرفة «لماذا» ؟

تشير إلى معرفة «علمية» عن مبادئ أو قوانين الطبيعية. وهذه المعرفة وراء التقدم التقني والإنتاجي، ومجالها في معامل البحوث والتطوير والجامعات.

- معرفة الإجابة عن «كيف» ؟

تشير إلى « مهارات » أو إمكانية عمل شيء ما. فمثلاً معرفة اتجاهات السوق نحو منتج معين، أو معرفة كيف يختار مدير موظفيه، ويحسن إدارتهم، أو معرفة عامل ماهر كيف يستخدم آلة معقدة، تحتاج إلى مهارات معرفة «كيف».

- معرفة الإجابة عن «من» ؟

وتشمل معرفة من يعرف ماذا، ومعرفة من يعرف كيف؛ لذلك فهي علاقات تفاعلية اجتماعية بين الأفراد والخبراء لاستخدام معرفتهم بفعالية. وتنبع أهمية هذه المعرفة من انتشار مفهوم التخصص بين المؤسسات والشركات والأفراد.

«إشلون» نظام تجسس بوسائل إلكترونية لاعتراض الموجات الكهرومغناطيسية من مصادر للاتصالات أو من غيرها

ويتم استيعاب هذه الأنواع الأربعة من المعرفة من خلال طرائق مختلفة. فبينما معرفة «ماذا» و«لماذا» يمكن الحصول عليها من قراءة المراجع والكتب، أو حضور محاضرات أو دورات تدريبية. فإن معرفة « كيف» و «من» يتم الحصول عليها من خلال اكتساب الخبرة العملية[1].

ولغوياً قيل إن العلم يقال لإدراك الكلّي والمركّب؛ والمعرفة تقال لإدراك الجزئي والبسيط. ومن هناك يقال: عرفت الله دون علمته[2]. وفي المعاجم الإنجليزية[3]، المعرفة هي فهم معلومات عن موضوع معين؛ نتيجة إعمال العقل البشري بالتجربة أو الدراسة أو الإلهام. وفي بعض الأحيان تعني الإدراك أو الوعي بحقائق منطقية. أما المعلومات فهي تتعلق بالحقائق ومعالجة البيانات، أو تبادل معرفة الحقائق والأخبار. ويمكن القول: إن «المعرفة» أوسع نطاقاً من «المعلومات»، كما في شكل (١). فالمعلومات المتوافرة في الكتب أو على الإنترنت تصبح معرفة عندما تُقرأ وتُفهم ثم تستخدم في عمل ما. أما كيف ستُفهم وتُستعمل هذه المعلومات، فهذا يعتمد على مستوى التعليم والخبرة. ولفهم دور المعرفة والمعلومات في المجتمع والاقتصاد يجب التمييز بين نوعين من المعرفة: أحدهما يمكن ترميزه وكتابته ونقله إلى الآخرين، والثاني ضمني وهو غالباً غير معلن، والحصول عليه يتم ببطء، ويصعب نقله. مثال ذلك المعرفة المكتسبة في أثناء حرفة. والمعرفة الضمنية هي مجال التميز في التنافسية[4].



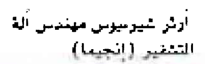
شكل (١)

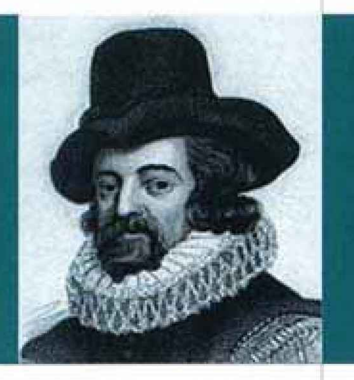
وفي عام ١٦٠٠م تقريباً، كتب الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون[٥]: «المعرفة قوة». ويلاحظ أن في العام نفسه انتهت قرون من سيطرة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط لمصلحة الإسبان؛ لما كانوا يملكونه من أجهزة ملاحية، ومناظير قوية، وفرت لهم معرفة لم تتوافر لدى المسلمين آنذاك. وفي كتابه «مبادئ الاقتصاد» كتب ألفريد مارشال[٦] الإنجليزي - مؤسس الاقتصاد الحديث - عام ١٨٩٠م: «المعرفة هي أكثر الأدوات قوة للإنتاج»[٧].

وخلال الحرب العالمية الثانية، جرت معركة معرفية بين المهندس الألماني «آرثر شيربيوس»، الذي قام بتطوير آلة لتشفير المراسلات الحربية الألمانية تسمى «إنجيما»، جعلت الحلفاء في ظلام معرفي بخطط الألمان، وبين العلماء والمهندسين الإنجليز والفرنسيين والبولنديين، إلى أن نجح مارتن ريجيفسكي - العالم الرياضي البولندي - في فك شفرة «إنجيما»؛ مما بدد الظلام المعرفي بخطط الألمان وأعطى الحلفاء تفوقاً في القوة[٨].

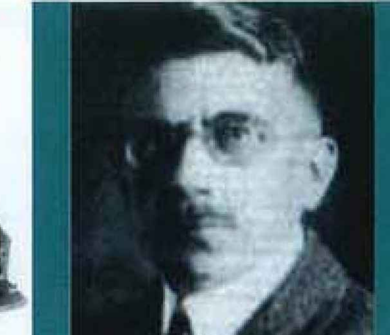
وخلال الحرب الباردة انتعش التجسس بأساليب تعتمد أكثر على الأفراد، وبعض التقنيات الشخصية؛ لمعرفة نقاط ضعف الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفييتي؛ مما أمكن للولايات المتحدة من التخطيط المحكم الذي أدى إلى انهيارها. وأصبحت المعرفة هي العامل الأهم في تحديد مستوى المعيشة أكثر من عامل الأرض، أو الآلة، أو الثروة. وفي العصر الحديث أصبحت اقتصاديات الدول المتقدمة هي اقتصاديات تعتمد على المعرفة، ويفسر ذلك التفاوت في التقدم الاقتصادي بين الأمم المختلفة في درجات النمو الاقتصادي، مثل المقارنة بين ماليزيا أو كوريا الجنوبية من جانب، وغانا أو المكسيك من الجانب الآخر، شكل (٢).

وقد أصبح معروفاً أن أكثر الموارد الطبيعية على مستوى العالم ستصبح قليلة بسبب الزيادة المستمرة في سكان العالم، وسوء استهلاك الحضارة الغربية لهذه الموارد. وقضايا الصراع على المياه، والثروات المعدنية، والغابات، ومصادر الطاقة الرخيصة، مثل: البترول، ليست خافية. كذلك نبّهت منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية OECD[٩] على أن الاقتصاد المعرفي (أو الاقتصاد المبني على المعرفة) هو الذي يحدد شكل النمو والإنتاج





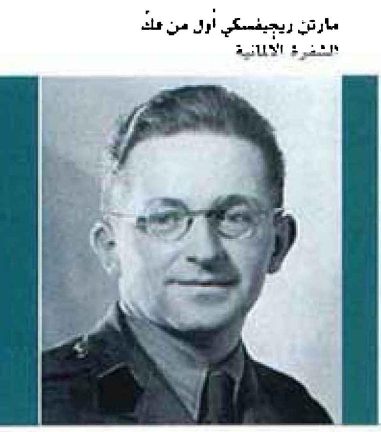
فرانسيس بيكون



آرثر شيربيوس مهندس آلة التشفير (إنجيما)



آلة التشفير الألمانية (إنجيما)



مارتن ريجيفسكي أول من فك الشفرة الألمانية

المعرفة الآن من مصادر ثروة المجتمعات، مثلها في ذلك مثل المصادر الطبيعية كالبترول والمعادن والمياه، بل أكثر

والتوظيف والمهارات. ولم تشذ دولة من الدول المتقدمة في العالم عن تبني إستراتيجيات وسياسات للتحول إلى مجتمع واقتصاد معرفيين، واستثمار الإمكانيات الهائلة التي يوفرها الإنترنت، وتقنيات المعلومات، والاتصالات.

وهكذا في الألفية الثالثة، وفي ظل التنافس العالمي الشديد اقتصادياً واجتماعياً، تُسارع معظم الدول المتقدمة إلى تحقيق مفهوم «المعرفة» بوصفه هدفاً إستراتيجياً للتنافسية بين الأمم. وتعدّ المعرفة الآن من مصادر ثروة المجتمعات، مثلها في ذلك مثل المصادر الطبيعية كالبترول والمعادن والمياه، بل أكثر. والمعرفة لها قيمة مضافة، وتساهم في التنمية وارتقاء المجتمعات. والمعرفة رأسمالها إعمال العقل البشري. والمجتمعات الضعيفة تختلف عن مثيلتها القوية، لا لمجرد أنها تملك ثروة أقل، ولكن لأن لديها معرفة أقل، بل يمكن أن يكون لدى المجتمع الضعيف مصادر طبيعية، ولكن لا يعرف كيف يستثمرها وإضافة قيمة إليها بالمعرفة.

ولم يعد العمل اليدوي التقليدي، ولا رأس المال، ولا طبقة العمال، وهي فقط العوامل اللازمة للنمو الاقتصادي ورفاهية الشعوب، بل إنها المعرفة، أو الإنسان المعرفي، والمدير المعرفي، والمؤسسة المعرفية[10]. وفي القرن الحادي والعشرين، يحتاج المجتمع المعرفي إلى التعليم المستمر من المهد إلى اللحد (كما أشار الرسول عليه الصلاة والسلام منذ ١٤ قرناً)، ويحتاج إلى التكيف المستمر مع التغيير والمتغيرات، ويحتاج إلى التعامل مع ظروف عمل

أكثر الموارد الطبيعية على مستوى العالم ستصبح قليلة بسبب الزيادة المستمرة في سكان العالم، وسوء استهلاك الحضارة الغربية لهذه الموارد

غير تقليدية، ونماذج جديدة من الأعمال والتجارة، وأشكال جديدة من المنظمات الاقتصادية والاجتماعية. وإذا لم تلحق المجتمعات النامية بهذا العصر المعرفي، فسيكون مصيرها زوايا النسيان والانزلاق إلى هاوية الفناء. ويمكن استقراء أن هناك ارتباطاً شديداً بين تقدم المجتمعات وصدارة سلم الأقوياء وبين التقدم في الحصول على المعرفة واستيعابها ونقلها بكفاءة.

وترتب على ذلك صراع شديد على إنتاج المعرفة وأدواتها في ظل التنافس العسكري والاقتصادي العالمي، وبلغ الأمر بالولايات المتحدة الأمريكية وبعض حلفائها اللجوء إلى أساليب التجسس الإلكتروني، حتى على حلفائها، وما يسمى «إدراك الإشارات ومعرفتها» التي يتم الحصول عليها باعتراض انتشار الموجات الكهرومغناطيسية الحاملة للبيانات والمعلومات الإلكترونية، مثل: المكالمات الهاتفية وإشارات الفاكس، ورسائل البريد الإلكتروني، وإشارات الأقمار الصناعية. وأبلغ مظاهر ذلك ما يسمى نظام «إشلون» على الرغم من إنكار هذه الدول وجوده، وبرنامج إدراك الإشارات «sigint»، شكل (٣).

نظام «إشلون ECHELON»

نظام «إشلون» هو شبكة مراقبة عالمية، تُديرها وكالة الأمن القومي في الولايات المتحدة[11] تحت اتفاقية سرية تسمى «UKUSA 1947» لجمع البيانات والمعلومات، وتحليلها إلكترونياً لإدراك كنهها ومعرفته، بالاشتراك مع مجموعة من وكالات الاستخبارات لدول «أنجلو ساكسون» هي:

- «إدارة الأمن الدفاعي» في أستراليا[12].
- «مؤسسة أمن الاتصالات» في كندا[13].
- «المكتب العام لأمن الاتصالات» في نيوزيلندا[14].
- «المجلس الأعلى للاتصالات الحكومي» في المملكة المتحدة[15].

وعلى الرغم من إنكار تلك الدول المشتركة في النظام - وبعض المصادر الأخرى - وجوده، إلا هناك شواهد كثيرة تؤكد عكس ذلك، مثل تقارير تفصيلية من البرلمان الأوربي[16]، وكتب وتقارير صحفية متعددة مثل كتاب «القوة السرية»[17]، وفي الإعلام مثل: «الواشنطون بوست»[18]، والإذاعة البريطانية BBC[19]، والعلماء، مثل «اتحاد العلماء الأمريكان» FAS[20].

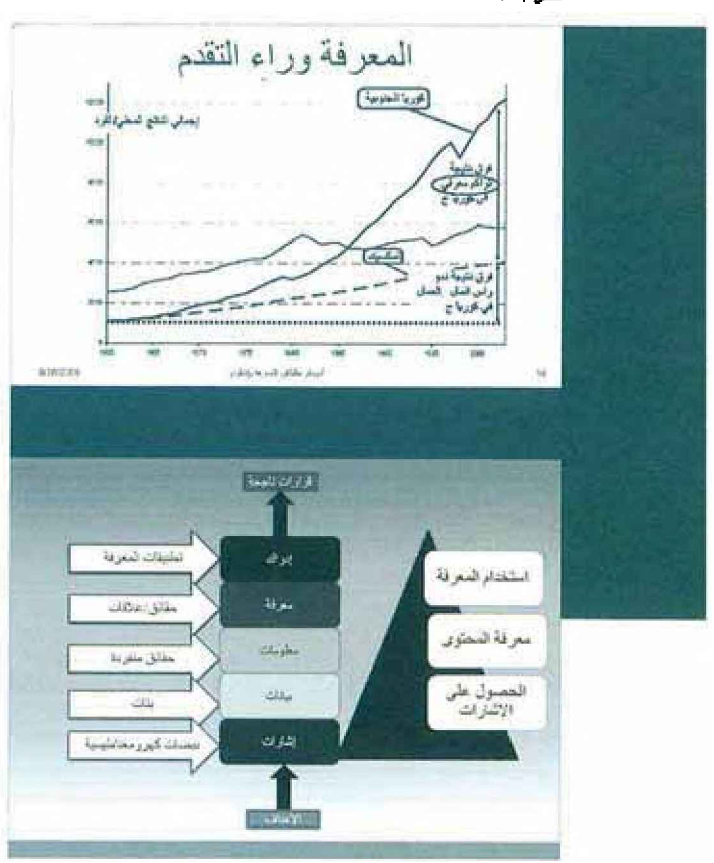
ويستطيع النظام التنصت على المكالمات الهاتفية، ورسائل



الفاكس، والبريد الإلكتروني، والبيانات الأخرى المتبادلة عبر الإنترنت بين الأفراد، أو المؤسسات الحكومية، أو العسكرية، أو الشركات التجارية، على مستوى أي بقعة في العالم. ويستخدم في ذلك تقنية معلومات واتصالات متنوعة، منها: الأقمار الصناعية، وشبكات الهاتف العمومية، والكابلات البحرية، والألياف البصرية، والميكروويف، والموجات اللاسلكية للجوال، والاجتماعات المرئية عن بعد. ثم تقوم برمجيات متقدمة وحاسبات عملاقة فائقة السرعة بالتصنيف والبحث في البيانات والمعلومات المختلفة التي تم الحصول عليها: لاستخلاص المعرفة منها للتفوق على المنافسين اقتصادياً وعسكرياً. وبالطبع هناك بعض تقنيات الاتصالات تجعل الأمر سهلاً نسبياً: إذ يمكن اعتراضها دون أن يشعر أحد بذلك، مثل: إشارات اللاسلكي، والميكروويف، والجوال، أي كل ما يمكن أن يحمله الهواء. ومما زاد من أهمية النظام التحديات المتمثلة في تعدد مصادر المعلومات وعشوائيتها وانتشارها بالمقارنة بما كان

قبل انهيار الاتحاد السوفييتي، حين كان مصدر المعلومات محدداً ومعروفاً في مواقع معينة. يضاف إلى ذلك القضايا التي أثارها الانفجار في استخدام تقنية المعلومات والاتصالات، وبخاصة الاتجاه نحو الاتصالات العالمية عبر الألياف البصرية؛ لما تحققه من عائد أعلى من التكلفة؛ إذ إن كابلاً واحداً يمكنه أن ينقل

شكل [٢]



شكل [٣] إدراك الإشارات

إشارات رقمية تبلغ ١٢٨ ضعف ما ينقله قمر صناعي.

واستندت إستراتيجية «وكالة الأمن القومي الأمريكي» إلى مقولة «المعرفة قوة» السابقة، وأصبحت حقيقة عملية الآن. ومن مهامها توفير المعرفة للقادة العسكريين، وقيادة الإدارة الأمريكية (بل للشركات الأمريكية أيضاً)؛ لإدراك ما يحدث في العالم لاتخاذ القرارات الصائبة لمصالح الولايات المتحدة العالمية. وزاد على ذلك التنصت على الأفراد والجماعات داخل الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وكان النظام تطوراً طبيعياً من تقنيات العصر الصناعي، وعصر الحرب الباردة إلى تقنيات حديثة تلائم عصر تقنية المعلومات والاتصالات، وما صاحبه من تحديات الكميات الهائلة من المعلومات المتدفقة بسرعات عالية خلال وسائل اتصالات متقدمة. و تجدر الإشارة هنا إلى إدراك الوكالة أن التقنية الحديثة جيدة ومفيدة مادام الإنسان الذي يخترعها جيداً، ومادام الإنسان الذي يستخدمها جيداً أيضاً. أي أن الإنسان لا يزال هو حجر الزاوية في التقدم والتنافس، مثلما حدث في صراع المعرفة في آلة «إنجيما» السابقة.

يعدّ نظام «إشلون» نظام تجسس بوسائل إلكترونية لاعتراض الموجات الكهرومغناطيسية، إما من مصادر للاتصالات وإما من غيرها، في مقابل وسائل التجسس الشخصية السابقة. ويمكن أن تكون هذه المصادر محادثات في غرفة، أو معلومات من على شاشة، أو مكالمات هاتفية، أو رسائل بريد إلكتروني، أو رسائل فاكس، أو مكالمات عبر هاتف جوال أو هاتف أقمار صناعية. ووسائط الاتصالات هي: كابلات الألياف البصرية، والراديو، والأقمار الصناعية، والطائرات والسفن، والأقمار الصناعية للتجسس، ويحتاج الأمر إلى برمجيات وحاسبات قادرة على تصنيف المعلومات الضخمة وتصفيتها؛ لإدراك معلومات محددة مطلوبة.

وعملياً يتكون نظام «إشلون» لاعتراض الإشارات الحاملة للمعلومات من عدة تقنيات مختلفة مثل: الطائرات المعدّلة من طراز EP-٣ لالتقاط إشارات الراديو (سقطت إحداها فوق الصين عام ٢٠٠١م)، ومحطات استقبال بهوائيات فوق أسطح سفارات مجموعة «UKUSA 1947»، أو في أماكن منتشرة حول العالم؛ لالتقاط إشارات الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء مثل: «إنتلسات» و«إنمارسات»، وغواصات أعيد تهيئتها للتنصت على إشارات الكابلات البحرية، مثل: الغواصة «يو إس إس جيمي كارتر».

لكن كابلات الاتصالات الأرضية تُمثل تحدياً للنظام «إشلون»، لانتشارها في أماكن مختلفة. وكما حدث في حرب العراق والحرب الكورية قامت القوات الأمريكية بضرب شبكة الاتصالات، وتمزيقها، ودفعها إلى أماكن يسهل فيها التنصت عليها. وأنشأت «إشلون» مجموعة خاصة من وكالة الأمن القومي و «سي آي إيه»

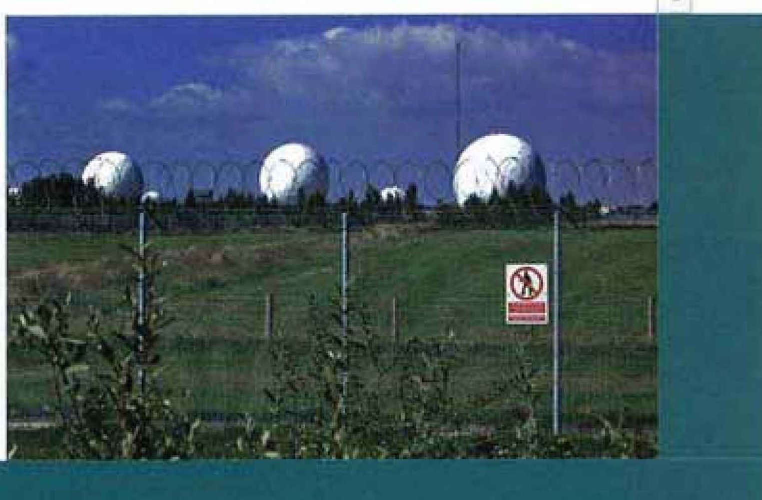
تسمى «الحقيبة السوداء»: للتسلل داخل السفارات الأجنبية، أو داخل مؤسسات تقديم خدمات الاتصالات تحت أسماء أخرى تجارية، لسرقة المعلومات، أو وضع أجهزة تنصت. وحديثا أصبح الأمر أكثر سهولة للتنصت على الإشارات اللاسلكية بين أجهزة الجوال وشبكات الحاسبات اللاسلكية، التي تستخدم تقنية «بلوتوث» أو « واي- فاي»، بواسطة أجهزة استقبال من على بعد أمتار خارج المبنى من دون الحاجة إلى دخوله. وتتيح الهواتف الجوالة، و هواتف الأقمار الصناعية تحديد موقع القائم بالاتصال بدقة عالية، واستخدمت الولايات المتحدة ذلك في ضرب أسامة بن لادن بالصواريخ في عام ١٩٩٨م.

ويمكن اعتراض المعلومات عبر الاتصالات والحاسبات قبل إرسالها عبر كابلات الألياف البصرية: وذلك بوضع ميكروفون صغير في لوحة المفاتيح يلتقط الأصوات التي يحدثها كل مفتاح عند ضربه. فكل مفتاح يحدث صوتاً معيناً، و يمكن لجهاز استقبال قريب إعادة تركيب ما كان يُرسَل. واستخدام الإنترنت والبرمجيات بكثرة، وعدم اهتمام المستخدم بسرية الحاسبات والبرمجيات أتاحا لإشلون اختراق المؤسسات، بل وضع برامج تجسسية لإدراك المعلومات التي تحتاج إليها من دون علم المستخدم. وحديثاً مع تقدم التقنيات الرقمية أمكن للمهندسين والعلماء في جامعات: «هارفارد»، و«كامبريدج»، ومعهد «كالتك» - معرفة كيف تطير ذبابة، وتزوغ، وتنقض بسرعة، وتحوم، و تدور، وترفرف بدقة، وقدرة احتمال عالية: وذلك على الرغم من تشوش الرؤية لديها، وأن مصدر طاقتها غذاء القمامة. وأن مخها يحوي بضع مئات الآلاف فقط من الخلايا العصبية (مقارنة بمخ الإنسان الذي يحوي ١٠٠ بليون). و من هذه المعرفة أمكن بناء ذبابة «روبوت» يمكن توجيهها في عمليات الإنقاذ من الكوارث، أو مراقبة البيئة أو اكتشاف أسرار الكواكب، أو المراقبة العسكرية[٢١]. وباستخدام هذه الإمكانيات من المتوقع في المستقبل القريب - بعد قضايا توفير طاقة ذاتية للروبوت الذبابة - أن يجعل منها «إشلون» «ذبابة تجسس» أيضاً.

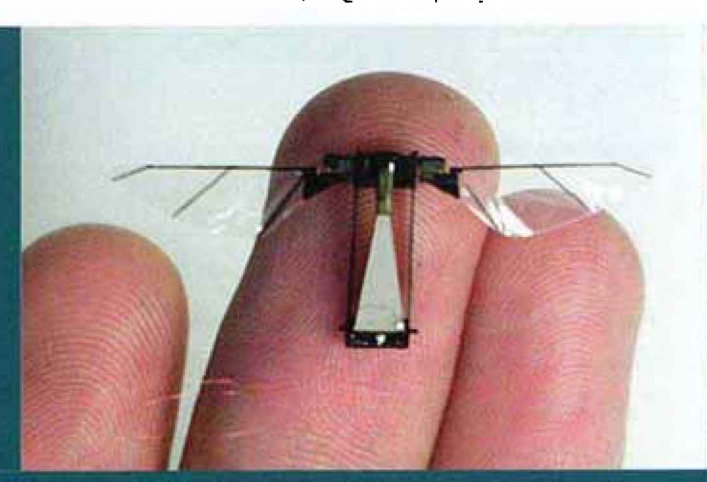
ولكن القضية الكبرى التي تواجهها «إشلون» هي مليارات المعلومات والبيانات الهائلة التي يتم جمعها كل ساعة: لذلك لجأت وكالة الأمن القومي الأمريكية إلى مجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين الأكفاء لتطوير برمجيات حاسوبية للبحث في هذا الخضم من المعلومات عن مكالمات من جهة معينة، أو كلمة محددة في بريد إلكتروني، أو استخدام

انتشار استخدام تقنية المعلومات والاتصالات له إيجابيات لا يمكن إنكارها، لكن في الوقت نفسه له سلبياته

محطة استقبال أقمار اصطناعية «إشلون» في بلدة «مينويث هيل» في بريطانيا



الذبابة الروبوت تزن ٦٠ ميللي جرام، طول الجناح ٣ سم



تقنية التعرف إلى الأصوات لفصل الغث عن المعلومات السمينة، التي تسعى إليها الوكالة لمتطلبات أمنها القومي"[11]. وفي أحيان كثيرة أخرى استخدمت الولايات المتحدة «إشلون» للإبقاء على تفوقها الاقتصادي والعسكري، ومنع الآخرين من منافستها حتى من بين حلفائها، كما بيّن ذلك تقرير لبرلمان الاتحاد الأوربي حين سرّبت وكالة الأمن القومي الأمريكية معلومات عن صفقات تجارية إلى الشركات الأمريكية المنافسة كان الاتحاد الأوربي في سبيله إلى إبرامها.

خاتمة

يمكن استخلاص دروس مستفادة من المقالة مضمونها أن انتشار استخدام تقنية المعلومات والاتصالات له إيجابيات لا يمكن إنكارها لكن في الوقت نفسه له سلبياته، ومنها: صعوبة السرية، وتدني الخصوصية. ومن ناحية أخرى فإن من الواضح الدور المهم الذي تؤديه المعرفة في تقدم الأمم وقوتها، وأن الإنسان هو الأساس، و من دون إنسان معرفي فإن التقنية تضمحل جدواها.

الهوامش والمراجع

١- البتة: رقم ثنائي من الصفر والواحد ويمثل أصغر وحدة معلومات رقمية يمكن تخزينها أو إرسالها رقمياً، وهي ركيزة الثورة الرقمية.

٢- المعجم الوسيط.

٣- مثال معجم «ويبستر» على الإنترنت: http //www m-w com/ dictionary htm

4- http //www.gov uk/competetiveness/an rep.htm

5- Sir Francis Bacon. "Religious Meditations. Of Heresies". 1597

6- Alfred Marshall "Principles of Economics". 1890

٧- أبوبكر سلطان، «المجتمع المعرفي والإنترنت»، مجلة العلوم والتقنية، العدد٦٥، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، مارس ٢٠٠٣م.

٨- وكالة الأمن القومي الأمريكية http://www.nsa.gov

٩- مجموعة من ٢٩ بلداً يجمعها التشابه السياسي والاقتصادي، من بينها أمريكا الشمالية، وبعض أوربا، واليابان، وتعدّ نادياً للأغنياء يتعامل في ثلثي إنتاج العالم وخدماته.

10- Porter. E Michael. The Competitive Advantage of Nations. New York. N.Y.. The Free Press. 1998

11 National Security Agency http://www nsa.gov/

12- Defense Signals Directorate. http //www.dsd .gov au/

13- Communications Security Establishment. Establishment. http //www.cse cst.gc.ca/

14- Government Communications Security Bureau http:// www.gcsb.govt nz/

15- Government Communications Headquarters. http // www. gchq.gov uk/

16- Final Report on the existence of a globalsystem for the interception of private and commercial communications (ECHELON interception system) European Parliament Temporary Committee on the ECHELON Interception System. approved September 5. 2001

17- Secret Power - New Zealand>s Role in the International Spy Network by Nicky Hager Published by Craig Potton Publishing. PO Box 555 Nelson. New Zealand First published 1996

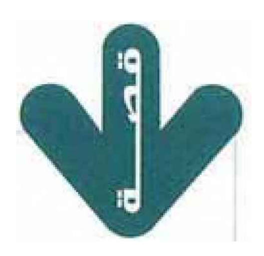
18- Critics Questioning NSA Reading Habits By Vernon Loeb Washington Post November 13 1999; and Judge Richard A Posner. Our Domestic Intelligence Crisis.Washington Post 12/21/2005

19- http //news.bbc.co.uk/1/hi/world/503224.stm

20 Federation of American Scientists ; http //www.fas .org. irp/program/process/echelon.htm

21- Fly. Robot Fly R J Wood. IEEE Spectrum. March. 2008. andhttp //micro seas harvard edu/research.html.

22 For example United States Patent 5.937.422 1999. "Automatically generating a topic description for text and searching and sorting text by topic using the same". Also University of Southern California biomedical engineers have created the world's first machine system that can recognize spoken words better than humans (http //www usc.edu/ext-relations/news service/real/real _video html)



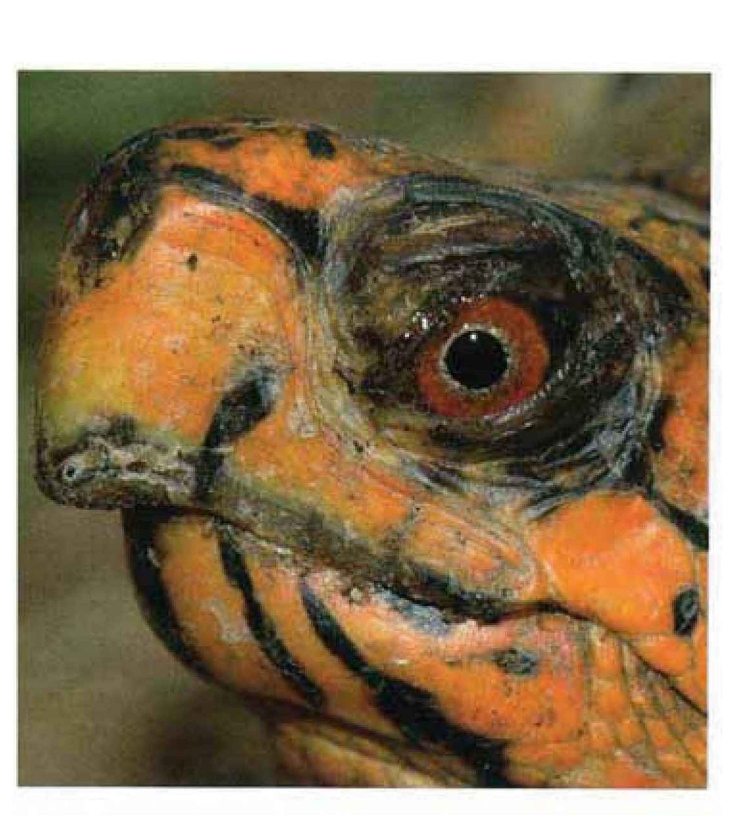
السلحفاة

للكاتب الأمريكي: جورج بوكلاج

ترجمة: مسعد مسعد أحمد شتيوي

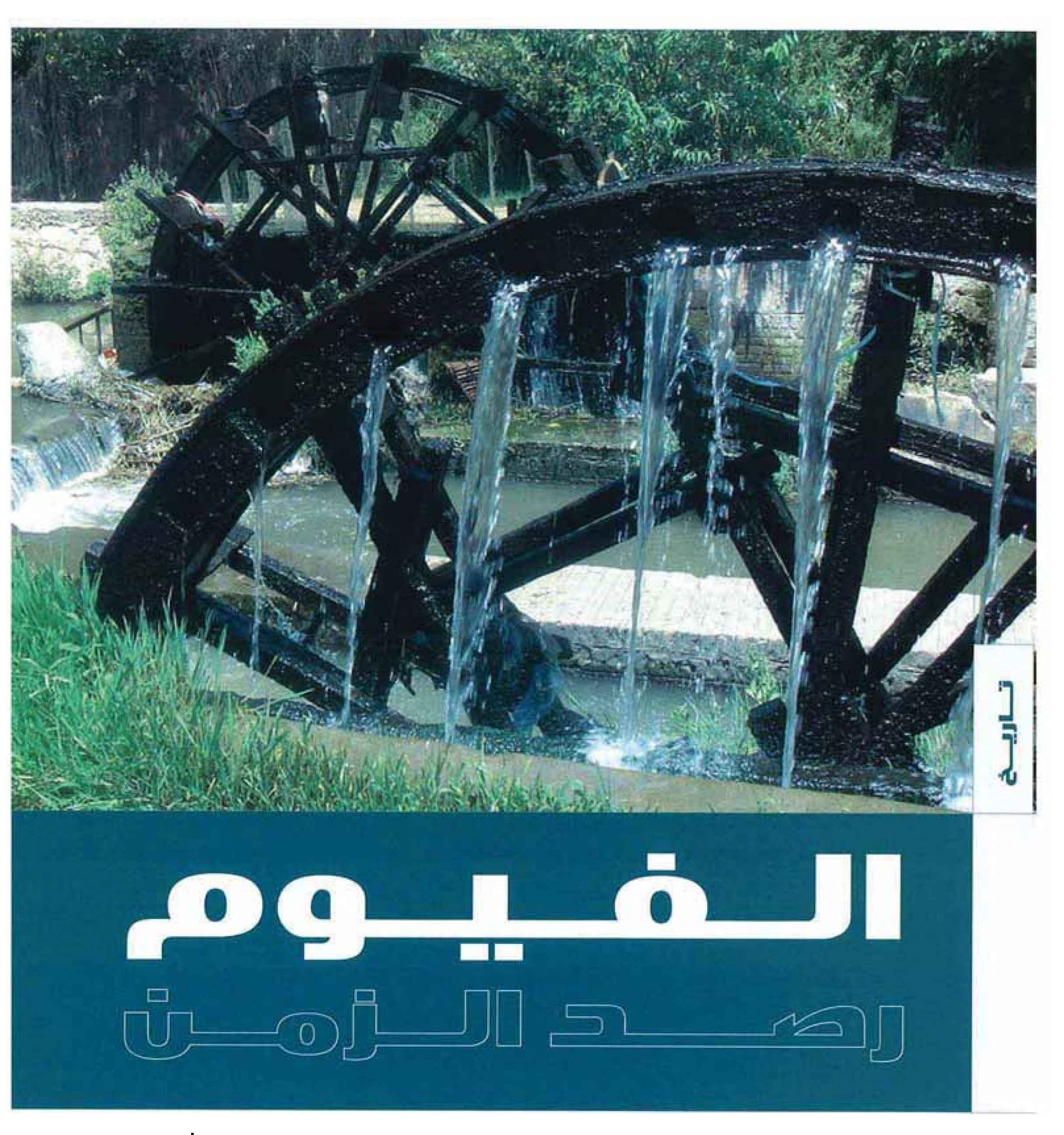
بورسعيد - مصر

كان جو العجوز وابنه توني في طريقهما إلى النهر الأبيض لاصطياد بعض الأسماك. بدآ رحلتهما قبل شروق الشمس بمدة طويلة. كان جو العجوز يقود السيارة، بينما كان توني نائماً في المقعد الخلفي. كان جو العجوز مستمتعاً بمنظر الشوارع الخالية في الصباح الباكر. قصاصات من الورق كانت تتطاير في الظلام بفعل الرياح الباردة. كان يشعر بفراغ مثل ذلك الموجود في الشوارع الخالية. عندما تقدم في السن ازداد شعوره بالوحدة أكثر من ذي قبل. خارج المدينة، كان جو يقود السيارة ببطء على طريق النهر. ظلمة السماء بدأت تنقشع. نظر إلى يديه وأخذ نفساً عميقاً. منذ مدة ليست بالبعيدة كان يعمل بجد بيديه هاتين، ولكن الآن لم يعد يستخدمهما كثيراً. مجرد قيادة السيارة والإمساك بعصا الصيد. رأى شيئاً في منتصف الطريق، أوقف السيارة. استيقظ توني وجلس في المقعد الخلفي وسأل والده بصوت ناعس: ماذا حدث؟ لماذا توقفنا؟ رفع جو العجوز رأسه ليرى ما يعترض طريقه. أضاء نور السيارة الشديد. إنها إحدى السلاحف التي تقتل الأسماك. إنها كبيرة جداً. فتح توني عينيه بشدة ونظر إلى هذا الشيء الغريب. إنها أكبر سلحفاة رأتها عيناه. هل هي ميتة. نزل الرجلان من السيارة ووقفا ينظران إلى السلحفاة. إنها تبدو كصخرة خضراء كبيرة. فجأة تحركت قليلاً وتركت علامات حادة على الأرض. ثم توقفت. قال توني: إنها ذاهبة إلى النهر على ما أعتقد. هذه السلاحف تقتل الأسماك، خصوصاً سمك السلامون المرقط. استمرا في ملاحظاتهما. قال توني: أستطيع أن أسحقها تحت عجلات السيارة، ولكنها كبيرة جداً. نظر حوله ثم اتجه إلى جانب الطريق، رجع ثانية ومعه عصا طويلة. دفعها في وجه السلحفاة بحركة خاطفة ضربت السلحفاة العصا وكسرتها. تعجب توني وقال: انظر إليها. إنها قوية مثل الماكينة. تحرك جو العجوز للخلف وقال: إنها كذلك بالتأكيد. إنها تزن مئة رطل وربما أكثر. أدارت السلحفاة وجهها ونظرت إلى الرجلين. قال توني: إنها تعتقد أنها ستواجه معركة، ليتني أحضرت البندقية معي. سأله جو العجوز: أتريد أن تقتلها؟ أجابه توني: ولم لا؟ السلاحف تقتل أسماكنا، أليس كذلك؟ وكلما أكلت أسماكاً أكثر قل ما نستطيع اصطياده. أشعلا سيجارتين ووقفا يدخنان وينظران إلى السلحفاة. لقد سحبت رأسها داخل الغطاء القوي الذي



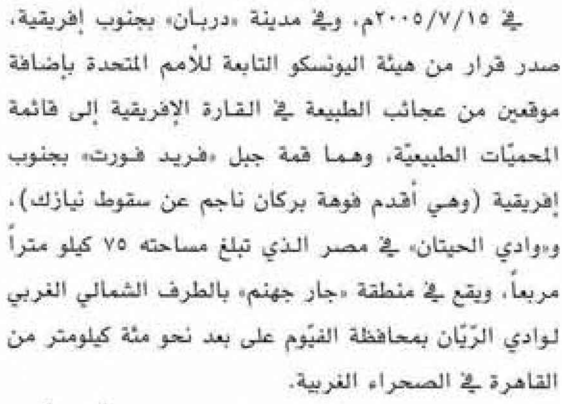
يغطي جسمها. قال توني: توجد آلة قوية في السيارة أستطيع أن أضربها بها، ولكنها آلة قصيرة، وأخشى أن تعضني إذا اقتربت بيدي منها. لم يعلق جو العجوز بشيء. فقال توني: عليك أن تلاحظها بينما أذهب للبحث عن شيء ثقيل وقوي خلف السيارة. اقترب جو من السلحفاة ببطء، أخذ يدخن وهو ينظر إليها، وقال: مسكينة أيتها السلحفاة. من المحزن أن نمسك بك، الآن سوف نقتلك. أخرجت السلحفاة قدمها من تحت غطائها القوي. نظر العجوز إلى قدمها ذات المخالب الحادة القاطعة. إنها ستكون مختلفة وهي في الماء، أليس كذلك أيتها السلحفاة؟ في الماء تستطيعين أن تمزقي أعداءك بهذه المخالب القصيرة. أخذ يفكر في السلحفاة وهي في الماء، إنها ربما تتحرك في الماء بسرعة تفوق سرعة انطلاقة الرصاصة من البندقية. لا يستطيع أي شيء أن يقاتلها وهي في الماء. أما هنا، في وسط هذا الطريق الترابي القذر، فإنها تكون بائسة كطفل رضيع. أسقط جو العجوز السيجارة من يده. لماذا يبدو مهتماً بهذه السلحفاة. إنه رجل عجوز، ولكنه يتصرف كطفل صغير. حضر ابنه توني من السيارة حاملاً في يده آلة ثقيلة، وقال: أعتقد أن هذه الآلة طويلة جداً، أليس كذلك؟ قال جو العجوز: هل تهتم برأيي؟ فأجابه توني: يبدو عليك القلق، ماذا يقلقك يا والدي؟ قال جو العجوز ببطء وأناة: هذا لا يليق. قال الشاب مندهشاً: حسناً، ماذا تعني؟ قال جو العجوز: السلحفاة ليس لديها فرصة. فكرة قتلها لا تجعلني أشعر بالراحة. قال توني: إنك تتحدث كامرأة عجوز، امرأة ضعيفة. لم ينظر جو العجوز إلى ابنه، ولكنه قال: إنني أحس بشعور السلحفاة. إنه شعور مرعب أن تفقد الأمل في النجاة. فسأله توني: أتعتقد أنها لا تمتلك أية فرصة؟ فأجابه العجوز بهدوء: وكيف لها بأية فرصة وأنت تمسك هذا السلاح الثقيل؟ أمسك توني يد والده وهزها ثم قال: وهل هذا يقلقك؟ فنظر جو العجوز بعمق إلى عيني توني وقال: هذا صحيح، إنه يقلقني. فأجابه توني: وماذا تريدني أن أفعل؟ أأنحني على يدي وركبتي وأحارب. فأجابه والده: ليس على يديك وركبتيك، ولكن في الماء.. حارب هذه السلحفاة في الماء، عندما تكون في موطنها، هذا سوف يكون عملاً شجاعاً يا بني. وضع توني السلاح جانباً، نظر إلى السلحفاة مدة طويلة ثم قال: أعتقد أنك مريض يا أبي. فابتسم جو العجوز وقال: إنها فكرة يا بني.. مجرد فكرة. هذه السلحفاة ضعيفة هنا في هذا الطريق الترابي، ولكنها في الماء تستطيع أن تمزق أي شيء ولو كان رجلاً. حاربها في الماء يا توني، استعمل سلاحك في الماء. قال توني: السنوات غيرتك يا أبي. فهز جو رأسه وقال وهو يشير إلى السلحفاة: أن تكون مع هذه السلحفاة في الماء هذا يبدو إجحافاً بالنسبة إليك؛ لأنها في الماء يمكن أن تضربك بشدة وربما تقتلك؛ لأنك في الماء لن تكون في مثل قوتها. نظر توني إلى والده وقال: ما الذي تريد أن تثبته يا والدي؟ قال: توني، يمكن أن تقتل السلحفاة هنا دون أن تفقد أي شيء، لا أصبع، ولا يد، ولا حياتك. تستطيع أن تسحقها بهذا السلاح دون أن تصاب بأذى.

وماذا إذاً؟ وضع جو العجوز ذراعه حول كتفي ابنه ثم أجاب: أريدك أن تحارب بأمانة. يجب أن يكون لديك أيضاً ما يمكن أن تفقده. نظر توني إلى والده ثم اتجه إلى السلحفاة. فقال والده: يستطيع أي أحمق أن يقتل سلحفاة هنا. إنه أمر في غاية السهولة. فقال توني: إنها مجرد سلحفاة يا أبي، لقد جعلت منها شيئاً كبيراً. أرخى جو يديه إلى جانبه وقال: حسناً، أتحب ألا أقول شيئاً آخر؟ ألقى توني السلاح الذي في يده في السيارة وصاح بغضب: حسناً يا والدي، لقد كسبت. فقال والده: لا، أنا لم أكسب، أنت الذي كسبت. فقال توني: ولكن السلاحف تقتل الأسماك يا أبي. فقال جو العجوز: إنني أتفق معك على ذلك. السلحفاة تقتل الأسماك لتأكل وتعيش، نحن نقتل الأسماك أيضاً. ولكن، هل نقتل السلاحف لنأكل ونعيش؟ إننا نقتلها على سبيل التسلية. هذه السلحفاة العجوز تأخذ ما تريد فقط، لن أقتلها إذاً. اتجه جو العجوز نحو السلحفاة ودفعها بحذائه بلطف. اندفعت السلحفاة عبر الطريق الذي يؤدي إلى النهر، وأخذ جو يراقبها حتى اختفت عن ناظريه. حينئذ اتجه نحو السيارة وجلس بجانب ابنه. كانت الشمس ساطعة، والسماء صافية. أدار توني محرك السيارة. أحضر جو العجوز سجائره. أشعلا سيجارتين. ابتسما بعضهما لبعض. تحركت السيارة ببطء على الطريق الترابي. لم يتوقفا حتى وصلا إلى المياه الهادئة في النهر الأبيض.



سمير أحمد عطا

القاهرة - مصر



في ٢٠٠٥/٧/١٥م، وفي مدينة «دربان» بجنوب إفريقية، صدر قرار من هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة بإضافة موقعين من عجائب الطبيعة في القارة الإفريقية إلى قائمة المحميّات الطبيعيّة، وهما قمة جبل «فريد فورت» بجنوب إفريقية (وهي أقدم فوهة بركان ناجم عن سقوط نيازك)، و«وادي الحيتان» في مصر الذي تبلغ مساحته ٧٥ كيلو متراً مربعاً، ويقع في منطقة «جار جهنم» بالطرف الشمالي الغربي لوادي الرّيّان بمحافظة الفيّوم على بعد نحو مئة كيلومتر من القاهرة في الصحراء الغربية.

وبموجب هذا القرار أصبح وادي الحيتان تراثاً عالميّاً من قبل المنظمة الدولية، إذ عثر به على مجموعات من هياكل الحيتان المتحجرة من جنس «بازيلوصوروس Basilossorus» بلغت حتى الآن ٤٠٦ هياكل، وقد ساعدت العلماء والمهتمين بالحفريّات الجيولوجية من مختلف جامعات العالم على معرفة التطور في حياة هذا الكائن الثديي الذي تحول على مر السنين من كائن بري يمشي على الأرض قبل أن تتبدل أطرافه ليتمكن من العيش في المحيطات والبحار.



بدايات الحيتان

الحيتان هي من أقدم أنواع الثدييات، وليست أسماكاً؛ لأنها من ذوات الدم الحار، بينما الأسماك من ذوات الدم البارد الذي تتغير درجة حرارته مع درجة حرارة الماء. كما أن الثدييات تتنفس الهواء من خلال رئتها، أما الأسماك فتستنشق الأكسجين المذاب في الماء بخياشيمها. والثدييات تلد وترضع لبناً، وهو لبن أبيض يشبه لبن البقرة، بينما الأسماك تضع بيضاً ولا تلد.

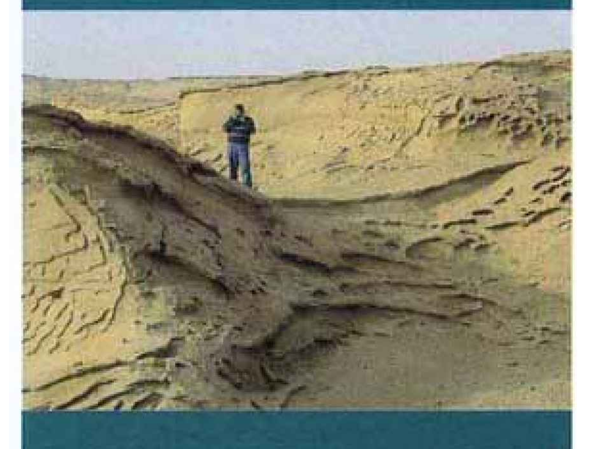
بدأت الحيتان حياتها من ٤٠ إلى ٦٠ مليون سنة مضت وهي في حجم أصغر.. كانت أجسامها تشبه الثدييات البرّيّة، مغطاة بالشعر، وتمشي على أربع أرجل، ولها أذنان على جانبي الرأس.. ولسبب ما تركت الحيتان الأرض وعاشت في الماء بعد أن تحوّرت إلى شكل الحوت الذي نعرفه الآن لكي يتلاءم مع الحياة في الماء. وظهر في مصر الحوت الذي يعرف باسم «البازيلوصوروس» ثم «الدرودون Durudon»، وقد مرّا بمرحلة مثل التي يمر بها الآن «سبع البحر» الذي بدأ يتحوّر من ملايين السنين حتى الآن.

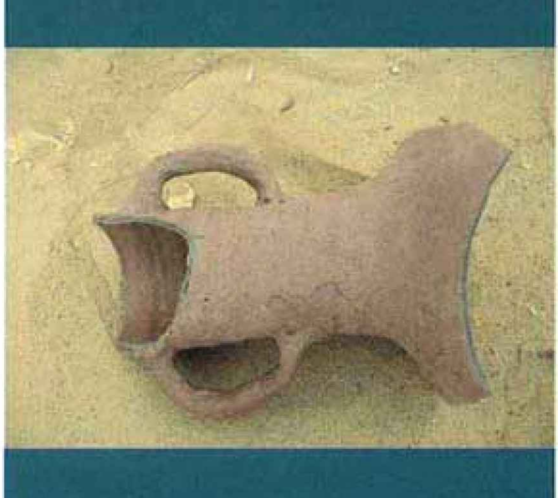


تبعات عالمية وادي الحيتان

وكان وادي الرّيّان الذي يقع وادي الحيتان على أطرافه قد أعلنته مصر محمية طبيعية محلية عام ١٩٨٩م، وأصبح واحداً من ٢٤ محمية محلية في مصر تساوي من حيث المساحة عشرة في المائة من أرض مصر .. وكان قد تم العثور في وادي الريان على هياكل متحجرة أخرى ورواسب وحفريات بحرية ونهرية وقارية يرجع تاريخها إلى ٤٠ مليون سنة (عصر الأيوسين)، وهي لخرتيت الفيوم الضخم، وأسلاف الأفيال العملاقة (التي هي أول حيوانات ظهرت من هذا النوع على سطح الأرض)، وفرس النهر، والدرافيل، والقروش، والقرود، والطيور .. كما يضم أضخم غابة من الأشجار المتحجرة ذات الأحجام الضخمة التي يوجد مثيلها الآن في غابات إفريقية الاستوائية، وبذا يكون الوادي هو أكبر متحف جيولوجي مفتوح للحيتان والكائنات البحرية الأخرى المتحجرة في العالم، وسبب كثرتها يرجع إلى طبيعة الأرض الخصبة في الأزمنة السحيقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط القديم، الذي كان يغطي جزءاً كبيراً من الدلتا الحالية، كما كان الجو استوائياً أو شبه استوائي .. وهذا القرار الذي أصدرته اليونسكو بالنسبة إلى وادي الحيتان يعني أن مصر دخلت فيما يسمى «المعايير الدولية للمواقع الطبيعية»، وهو أول موقع يدرج في قائمتها العالمية إلى جانب عدد من المواقع الأخرى الثقافية التي لها صفة الدولية، ومنها الأهرام، والقاهرة القديمة، ودير سانت كاترين بسيناء.. كما أن قرارات اليونسكو بالنسبة إلى أي محميّة طبيعية تلقي تبعات على حكومة البلد الذي تقع فيه المحمية بعد أن أخذت طابعاً عالمياً، وهذه التبعات تحجب عن الدولة المساس بالوضع الطبيعي للمحمية بوصفها أصبحت تراثاً عالمياً، وتفرض عليها عدم الدخول في مشروعات خاصة تحت اسم مشروع قومي أو شق طرق خاصة داخل المحمية إلا في إطار ما تراه اليونسكو، وأي مساس بهذه المواقع يجعل من حق اليونسكو شطب المحمية من قائمة المحميات العالمية التي تشرف عليها، بما يعني ذلك من إساءة إلى الدولة قد تؤدي إلى حجب معونات دولية من اليونسكو لهذا البلد.

وبالنسبة إلى مصر فقد حدث أن هددت اليونسكو بشطب موقع الأهرام الثقافي من القائمة الدولية للمواقع الثقافية ووقف المعونات الدولية عندما حاولت الحكومة المصرية مد طريق دائري





يخترق الصحراء خلف الأهرام. ويأتي تهديد اليونسكو في إطار أن هذه المواقع هي تراث ثقافي ملك للإنسانية يجب حمايته والحفاظ على كنوزه وطبيعته التاريخية.

ومن الطريف أن مصر كانت أول دولة تلفت انتباه اليونسكو إلى أهمية تواصلها مع التراث الإنساني بمثل هذه الشروط، وذلك عندما طلبت مصر من اليونسكو المساعدة في نقل معابد (أبو سمبل) والإشراف دولياً على العملية. فطرحت عام ١٩٧٢م اتفاقية لحماية التراث الثقافي والطبيعي في العالم بعد الجهود التي بذلت في إنقاذ معابد (أبو سمبل)، وانضمت مصر إلى عضوية هذه الاتفاقية رسمياً عام ١٩٧٥م.

ويرجع الفضل في اكتشاف وادي الحيتان إلى العالم الجيولوجي الألماني جورج شفينفورث عام ١٨٧٩م عندما عثر على أول عظام متحجرة بالقرب من بحيرة قارون بالفيوم. ومنذ ذلك التاريخ بدأت الفيوم تجذب اهتمام علماء الحفريات، وتوالت البعثات إليها حتى صارت ذات شهرة عالمية، كما تابعت المحاولات مجموعات الأثاريين المصريين منذ عام ١٩٠١م حتى الآن.

الفيوم في فجر التاريخ

ولأن الفيوم قد تميزت بهذا التاريخ الموغل في القدم، فقد كان من الطبيعي - وقد انحسرت مياه بحر «تثيس» الكبير (جد البحر الأبيض المتوسط) عن هذه الأرض التي أصبحت تشكل دلتا النيل القديمة - أن تنمو فيها حضارتان موغلتان في القدم، سميت الحضارة الأولى حضارة الفيوم (أ)، ثم سميت الحضارة الثانية حضارة الفيوم (ب).

والفيوم حالياً منخفض كبير تصل مساحته إلى نحو ١٨ ألف كيلومتر مربع. وقد تكوّن هذا المنخفض منذ عصر «الأيوسين والأوليجوسين» ابتداء من ٦٠ مليوناً إلى ٣٠ مليون سنة ق.م. كان هذا المنخفض يقع بين شاطئ البحر القديم، الذي تكونت عليه نباتات المانجروف في أوائل تكوينه، ونهر قديم يصب في الصحراء الغربية المصرية، وقد غص المنخفض بغابة شاسعة مـلأى بالأشجار ذات الارتفاعات التي تزيد على ٣٠ متراً، وكانت بهذا بيئة صالحة للسلاحف والتماسيح وأنواع كثيرة من الفقاريات وبداية نشأة بعض الثدييات.

وقد اختلف الدارسون حول منبع هذا النهرالقديم. فقال بيندل الإنجليزي: إنه كان في الواحات البحرية بالصحراء الغربية المتاخمة لليبيا، ثم أطلق عليه اسم «النهر الليبي»؛ أي: أنه جاء من الغرب إلى الشرق بعكس نهر النيل الحالي الذي يأتي من الجنوب. لكن في عام ١٩٨٤م قال العالم توماس بدن الأمريكي: إن النهر إنما ينبع من الشرق في اتجاه الغرب من منطقة تعرف باسم «الجلالة البحرية» على البحر الأحمر؛ أي: عكس ما قاله بيندل، مدللاً على ذلك بمجاري المياه القديمة التي تختط بعض أجزاء الصحراء الشرقية.

والذي يهمنا في الأمر هو المصب، فقد اتفق الجميع على أن دلتا نهر النيل القديم كانت في منطقة شمال بحيرة قارون بالفيوم، ويدللون على ذلك بوجود أضخم رواسب دلتا في هذا المكان، ويمكن تصوير هذه الرواسب متدرجة لو صعد المرء فوق جبل «قطراني» - أحد المواقع المهمة في وادي الريان - إلى جانب موقعي «قصر الصاغة» و«جار جهنم» وادي الحيتان.

هذه المنطقة شهدت اكتشافات مثيرة، ونشأ فيها أول فيل على ظهر الأرض، وقد وجد هيكله في طبقة «قصر الصاغة» شمال بحيرة قارون، ومن الفيوم انتقل إلى باقي أرجاء الدنيا. ثم ظهر حيوان آخر سموه «الفيوميا» عاش في طبقات جبل قطراني، كما ظهر سيد قشطة Hippopotamus، وفرس النهر، والتماسيح النيلية ذات الفم الطويل، بجانب السلاحف البحرية والنيلية والأفاعي والضفادع والطيور المهاجرة الكيسيّة (الجرابية؛ أي: التي لها جراب)، وكذلك عروسة البحر القديمة.

وفي عام ١٩٨٤م أيضاً أعلن علماء جامعة «ديوك» بالولايات المتحدة أنهم عثروا على أربعة وجوه كاملة لقرود عاشت في منخفض الفيوم منذ ٣٢ مليون سنة، ناسخين بذلك الرقم القديم الذي سبق

في عام ١٩٨٤م أعلن علماء جامعة «ديوك» بالولايات المتحدة أنهم عثروا على أربعة وجوه كاملة لقرود عاشت في منخفض الفيوم منذ ٣٢ مليون سنة



وادي الريان محمية طبيعية جذابة

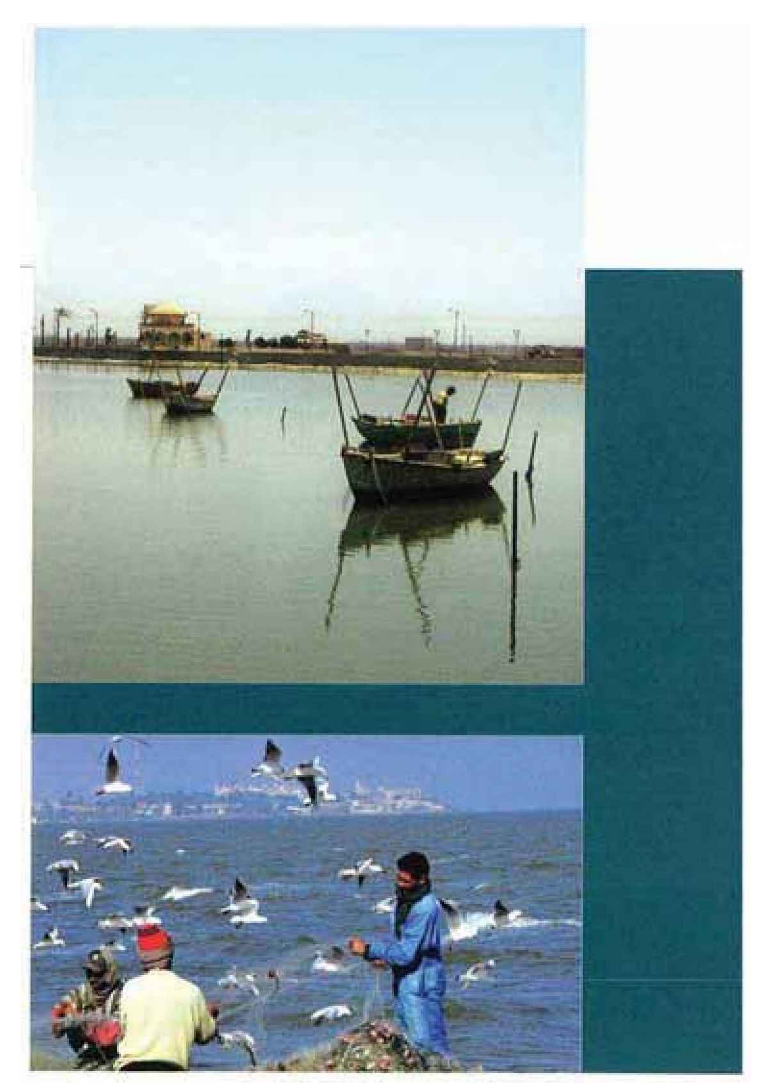
أن أعلنه علماء جامعة «ييل» الأمريكية الذين عثروا على جمجمة كاملة لنوع من هذه القرود في المكان نفسه، وحددوا عمره بـ ٣٠ مليون سنة، وأطلقوا عليه اسم «إجيبتوس» نسبة إلى Egypt الاسم الأجنبي لمصر، وقد عثر عليه في جبل قطراني، وتم فحص الجمجمة بالكربون ١٤ المشع، فأشار العلماء إلى أن هذا القرد ليس قرداً بالمعنى الكامل، كما أنه ليس إنساناً، وهو يسير على أربع، لكنه يقف منتصباً مع انحناءة خفيفة إلى الأمام.

كما عثر فريق علمي مصري - أمريكي على حيوان الكانجارو متحجراً في صخور جبل قطراني في المكان نفسه الذي عثروا فيه على القرد القديم.

والمعروف علمياً أن الكانجارو، وكل الحيوانات الجرابية، لا موطن لها الآن إلا قارة أستراليا. ولم يعثر أحد على الكانجارو من قبل في أي مكان آخر، وإن كان من الطبيعي أن نستنتج أنه وجد عن طريق الترحال في أماكن أخرى، ثم انقرض منها، كما حدث في مصر حيث وجد فيها منذ ٥٠ مليون سنة، ثم انقرض، وانحصر وجوده الآن في أستراليا.

وفي المتحف الجيولوجي المصري حفريات معروضة لبعض هذه الحيوانات، منها: حيوان «الأرسينو ثيريوم»، وقد عثر على عظامه في الفيوم، وهو حيوان ضخم فريد في نوعه؛ إذ يجهل علماء الحياة والحفريات الفقارية أسلافه أو منشأ انحداره، فهو لم يكتشف حتى الآن سوى في مصر فقط، حيث كان يعيش

الفيوم هي عاصمة محافظة الفيوم، وهي المدينة الوحيدة بالمحافظة، ويتبعها خمسة مراكز و١٦٨ قرية. وقناطر اللاهوت الحالية هي التي تتحكم في ري أراضي الفيوم



بحيرة قارون قبلة الطيور المهاجرة

منذ ٣٢ مليون سنة في جبل قطراني ثم اختفى فجأة. وهو حيوان يشبه في شكله الخرتيت. وأرجله تشبه أرجل الفيل. وله أربعة قرون عظمية. وحيوان «الأليوما ستودون». وهو أقدم أنواع الفيلة المنقرضة. وحيوان «الأجيبتوبيتكس». وهو أحد أنواع القردة التي تنتمي إلى فجر ظهور القردة العليا.

لقد كان دارسو التاريخ القديم لمنطقة الفيوم يعجبون من أن حيواناً مثل الديناصور لم يظهر فيها على الرغم من هذا التاريخ الموغل في القدم. وأرجع بعض الباحثين ذلك إلى أن الديناصور قد ظهر على وجه الأرض منذ ١٥٠ مليون سنة، ثم زال عجبهم حين تم العثور عليه في منطقة أخرى بالصحراء الغربية، وهي منطقة الواحات البحرية التي تقع جنوب الفيوم؛ أي: بعيداً عن شاطئ بحر «تثيس» القديم. وتم العثور على هيكل كامل له خرج من مصر منذ عدة سنوات في قصة درامية، أو بمعنى آخر تم الاستيلاء عليه من قبل العلماء الأمريكيين بحجة إجراء دراسات عليه، ولم يعد إلى مصر حتى اليوم. وهذا الهيكل هو ثاني أضخم ديناصور تم اكتشافه في العالم، فلا يفوقه في الضخامة غير هيكل لديناصور آخر عثر عليه في الأرجنتين. وظل الديناصور سيد الحيوانات على وجه الأرض حتى اختفى فجأة منذ ٦٥ مليون سنة بسبب اصطدام الأرض بأحد المذنبات الضخمة (حسب آخر افتراض في هذا الشأن). وأدى هذا التصادم إلى ظلمة الأرض وانتشار الغبار الذي حجب ضوء الشمس عدة سنوات. وبين ذلك كله عاشت الحيتان كأكبر حيوان شهدته الفيوم، وظلت ترتع وهي تمشي بأرجلها على الأرض حتى تحور جسمها، وواصلت رحلة الحياة في الماء حتى اليوم، وفي أماكن أخرى من العالم.

هكذا وطوال ملايين السنين ظلت الفيوم مسرحاً للأحياء النباتية والحيوانية حتى بداية العصر الفرعوني. ومن قبله حضارة الفيوم (أ) منذ أكثر من ٢٠ ألف سنة التي انبثقت في الفيوم في العصر الحجري الحديث (عصر الحجارة المصقولة). وحضارة الفيوم (ب) منذ ٦٠٠٠ سنة ق.م: أي: قبل عصر الأسر الحاكمة الفرعونية. وقد عثر في الفيوم على آثار من هذا العصر في مناطق صغيرة على الحافة الشمالية لبحيرة قارون في المرتفعات القريبة من مناطق «ديمة»، و«كوم أوشيم»، و«قصر الصاغة»، و«شدت» وهو الاسم القديم للفيوم.

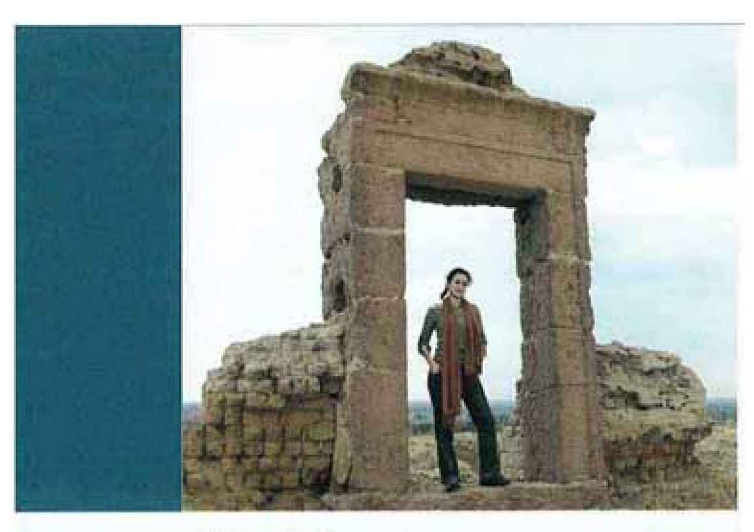
وإذا كانت مصر - ولاتزال - هبة النيل، كما قال هيرودوت: فقد كانت الفيوم بتاريخها الطويل جوهرة هذه الهبة؛ فهي صورة مصغرة لمصر بكل معالمها. فتحدها الصحاري، وتتندى على مياه النيل. وبها أهرامات ومناجم ومعابد ومقابر وكنائس وأديرة ومساجد.. خليط من الآثار الحضارية تطالعها العين في مساحة نحو ٢٠٠٠ كيلو متر مربع وعلى مقربة من القاهرة عاصمة البلاد. وفي هذه البقعة الخصبة من أرض مصر كان المصري القديم يصطاد البط وسائر الطيور البرية بواسطة «البومرانج»، وهي عصا من الأخشاب مقوسة بشكل معين تستخدم في الصيد فتصيب الفريسة ثم ترتد إلى الصياد. وهي الآن علامة من علامات التاريخ الأسترالي عند سكان أستراليا الأصليين، ويستخدمونها حتى اليوم، ولم تعد تُرى في أي جزء آخر من العالم بما في ذلك مصر.

وكان من الطبيعي أن تواكب هذه العصور الموغلة في القدم كثيراً من الأساطير التي يوحي بها هذا التاريخ، فضلاً عن موقعها

الجغرافي. إذ أطلق معها قدماء المصريين عنان خيالهم. ومن بين هذه الأساطير ما يُروى عن كبير آلهتهم (رع)، الذي تقدم في السّن، وأصبح دميم الخلقة. وقد أبى أن يراه عباده وهو في هذه الحالة من التدهور. فاتخذ لنفسه شكل التمساح، واختبأ في مستنقعات الفيوم بين سائر التماسيح.. وقد كانت هذه الزواحف الشرسة مرتعاً خصباً لأعداد وافرة من التماسيح، ويبدو أن وجود هذه الزواحف الشرسة ولّد لدى قدماء المصريين انطباعاً خاصاً حول مفهوم القوة وقداستها، وهذا الأمر دفعهم إلى أن ينصبوا التمساح إلهاً للفيوم، وأطلقوا عليه اسم «سوبيك»، وكان يصوَّر على هيئة تمساح، أو على هيئة آدمي له رأس تمساح. وقد سادت عبادة «سوبيك» في هذا الإقليم. ثم اندمج بعد ذلك مع إله الشمس (رع) فصار اسمه «سوبيك - رع». وفيما بعد استمر البطالمة والرومان الذين حكموا مصر بعد نهاية عصر الأسرات المصرية في عبادة الإله التمساح نفسه، وشيدوا من أجله المعابد، كما سموا الفيوم (شدت) باسم آخر هو «كروكوديلوبوليس Crocodilopolis». أي: مدينة التمساح.

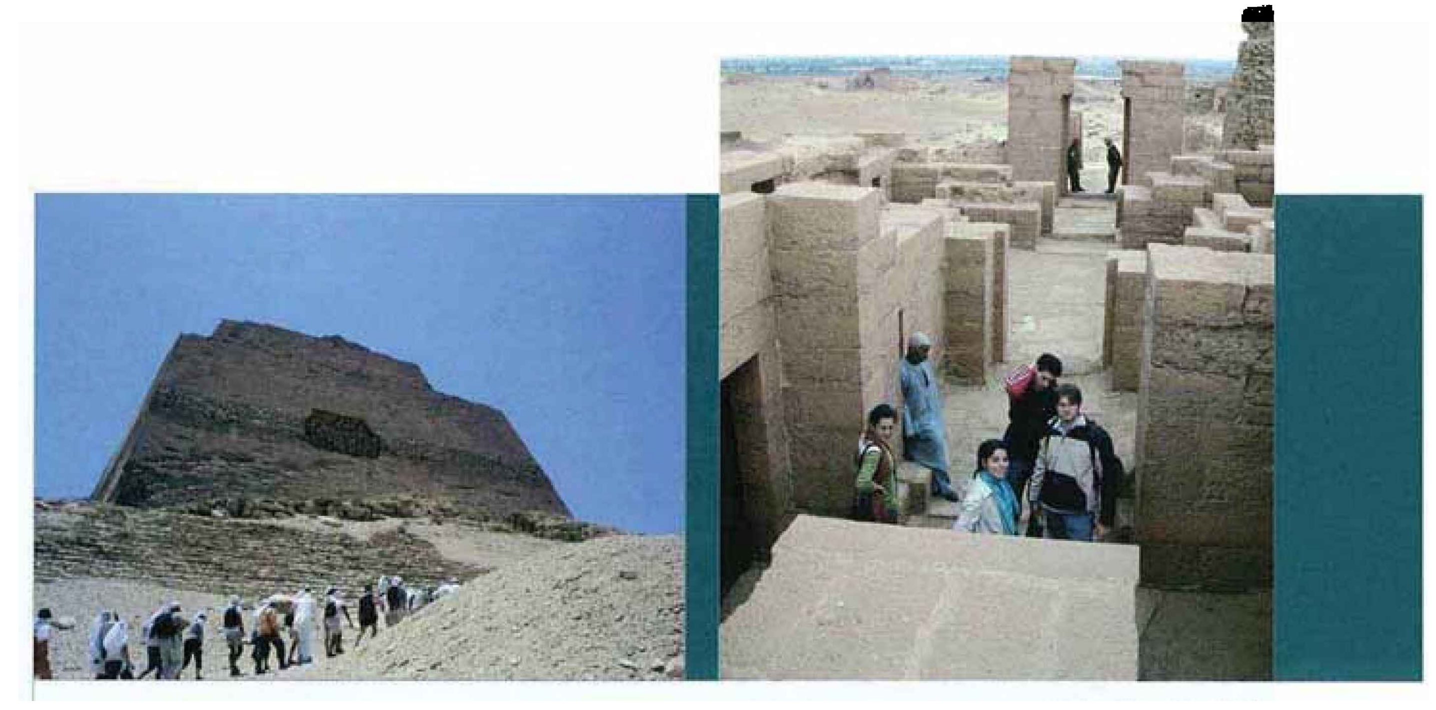
بحيرة قارون سلة الأساطير

احتلت الفيوم دوراً مهماً في التاريخ المصري القديم، وازدادت أهمية هذا الدور مع بداية الصراع لتوحيد قطري مصر بين بيت «طيبة» في مصر العليا (الصعيد) وبيت «أهناسيا» في مصر السفلى (الدلتا والشمال)، وحسم الصراع لمصلحة بيت «طيبة» ليصبح «منتوحتب نب حبت رع» (مينا Menes/ نارمر Narmer) أول ملك لمصر الموحدة، واتخذ هذا الملك من «طيبة» عاصمة له. إلى أن فكّر ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين حكموا مصر فيما عرف باسم عصر الدولة الوسطى في الانتقال إلى منطقة تتوسط قطري البلاد. وأنشؤوا عاصمة لهم سمّوها «إيثبت تاوي»، وتعني «القابضة على الأرضين»، وموقعها الحالي هو منطقة «اللشت» بالقرب من منخفض المياه الذي عرف فيما بعد باسم بحيرة قارون التي يرجع تاريخها إلى ٧٠ ألف سنة. وكانت إحدى مصبات النيل الرئيسة، ويصل النيل إليها من خلال منطقة «اللاهون»، وهو يشق طريقه إليها ابتداء من المكان الذي تقع فيه الآن مدينة «ديروطه شمال «أسيوط» بمصر العليا، ثم يتفرع النيل إلى ترع وقنوات تنحدر مياهها إلى البحيرة. ومع إنشاء العاصمة «إيثبت تاوي» أصبح تاريخ



آثار تشهد على التاريخ

الفيوم هو تاريخ البحيرة، التي كانت تعرف قديماً باسم «مير - وير Mr-Ver»، وتحول الاسم إلى «موريس Moris» أو «موريسيوس»، كما عرفت به في العصرين اليوناني والروماني عندما ارتبطت بأسطورة الملك «مويرس Moeris» (أمنمحات الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الذي شيّد قصر اللابرنت)، ونسب إليه أنه «حفر المنخفض بأيدي العمال، وأقام في وسطه هرمين تحيط بهما تماثيل ملكية ضخمة. وقد نشأت الأسطورة عندما نطق الإغريق الاسم الملكي لأمنمحات الثالث، وهو «ني ماعت رع»، بلفظ «مارس Mares»، ثم أطلق عليها اسم بحيرة «قارون»، إذ ارتبطت باسم «قارون» الذي عصى ربّه فخسف به الأرض، وكان يعيش في الفيوم حسب ما أفاض به المؤرخون العرب، وتاريخياً، فإن أمنمحات الأول هو أول من ابتدع ما يعرف باسم علم «تخزين المياه»، وكان أول من فكّر في استخدام البحيرة خزاناً للمياه للاستفادة منها وقت التحاريق (الجفاف)، وهذا الأمر ساعد خلفه سنوسرت الثاني على عمل مشروعات كبيرة للري في البحيرة، فبنى سد اللاهون للتحكم في المياه ومنع إعادة تسربها إلى النيل أو إلى الصحراء. وأضاف «أمنمحات الثالث» كثيراً من المشروعات المهمة، فشيّد عدداً آخر من الجسور والقنوات والسدود لزيادة التحكم في مستوى المياه بالبحيرة، فضلاً عن زيادة رقعة الأراضي الصالحة للزراعة. ومن أهم أعماله بناء القصر الذي قيل: إنه كان يضم ١٦٠٠ غرفة، والذي أطلق عليه الإغريق اسم «اللابرنت» تشبهاً بقصر اللابرنت



معالم الفيوم القديمة تجذب السائحين

بني معظم الأهرامات القديمة بالفيوم من قراميد الطوب (اللبن الطيني) مع كسائها من الخارج بالحجر الجيري الأبيض

الشهير في حضارة «كريت». وقد اهتم البطالمة والرومان بالبحيرة والإقليم بعد ذلك وعدّوه إقليماً مستقلاً كواحد من أقاليم مصر القديمة العشرين. وسمّوه إقليم «أرسينوي Arsinoe»: نسبة إلى «أرسينوي» زوجة «بطليموس الثاني».

وفي هذا العصر نشأت الأسطورة المصرية القديمة بأن بحيرة قارون كانت جزءاً «سائلاً» من السماء أرسلتها الآلهة إلى الأرض هدية للمصريين كي يتاح لهم ري المزيد من أراضيهم. ومن الطريف أن نجد شبه تطابق بين هذه الأسطورة وما تضمنته بعض الكتابات العربية من أن نهر النيل (الذي يغذي البحيرة) هو واحد من الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة. كما نشأت أساطير أخرى، وعلى رأسها الأساطير الخاصة بوجود كنوز قارون في أعماق البحيرة، والأساطير المتعلقة بأصل كلمة «الفيوم»، واحتمالات ارتباطها بالنبي يوسف عليه السلام.

قارون والكنز الضائع

كان مثلث الشر في المفهوم الإسلامي يتمثل قديماً في ثلاثة طغاة، هم: فرعون، وهامان، وقارون[1]. فرعون لطغيانه وجبروته، وهامان مثالاً على بطانة السوء، وقارون لغروره وكفره بنعمة الله. وكان قارون - حسب الروايات المتواترة - قد جمع ثروة طائلة من الذهب والفضة وحفظها في عدة مخازن «ينوء بحمل مفاتيحها رجل واحد من كثرتها». ولأن قارون هذا قد طغى وبغى، وركبه الغرور فإن الرب عاقبه، وخسف به الأرض، إلا أن ثروته الهائلة والكنز الذي خبّأه أصبح سرّاً لا يعلم مكانه أحد. ثم ساد الاعتقاد بوجوده مدفوناً في قاع بحيرة قارون. وقد ظل الاعتقاد بوجود كنوز قارون في البحيرة تراثاً شعبياً ذا أصل ديني. واستناداً إلى متن ورد في مخطوطة نحاسية من المخطوطات التي كشف عنها مؤخراً، وعرفت باسم «مخطوطات البحر الميت»، جاء ذلك في كتاب صدر مؤخراً في لندن بعنوان: «حل لغز المخطوطة النحاسية»، كتبه «روبرت فيذر»، وهو عالم متخصص في علوم المعادن، أشار فيه إلى وجود كنز قارون في البحيرة المعروفة باسمه. وكان قد عثر على مخطوطات البحر الميت بين عامي ١٩٤٧و ١٩٥٦م بالقرب من، «قمران» القريبة من البحر الميت بالأردن. وقد عكف على دراستها كثير من العلماء اليهود والمسيحيين، وتبين أنها تشير إلى كثير من المعتقدات القديمة الخاصة بظهور المسيحية والعلاقة بينها وبين الجماعات اليهودية، التي كانت قائمة في فلسطين أوائل ظهور المسيحية. ولفت النظر وجود مخطوطة مفردة نحاسية تحوي رسوماً وأشكالاً ومقاييس باللغة العبرية القديمة، وعكف علماء من الإنجليز والبولنديين



سائحون في أحضان الطبيعة

والفرنسيين على محاولة فك رموزها، وانتهوا على رغم بعض الخلاف بينهم في وجهات النظر إلى أن المخطوطة تشير إلى كنز مخبّأ، ربما كان يخص كهنة «معبد القدس»، ولما خشي كهّانه سطوة الرومان عند هجومهم على القدس عام ٧٠م أخفوا الكنز حتى لا يقع في أيدي الرومان. إلا أن «فيذر» فاجأ الدارسين برأي هو أن النقش على النحاس لم يكن معروفاً في فلسطين أو باقي جهات الشام والعراق، وإنما عرف واستعمل في مصر فقط في هذه العصور، وهو ما ينفي نسبة هذه المخطوطة إلى كهنة القدس، وأنها ليس لها علاقة بفلسطين، ولا بالمجتمع اليهودي الذي كان هناك، وأرجعها إلى الزمن الذي عاش فيه النبي موسى عليه السلام في مصر، وأشار إلى أنه استند في ذلك إلى قيامه بتحليل العناصر الكيميائية للمخطوطة النحاسية فوجد أنها تركيبة النحاس نفسه الذي كان يستخدمه قدماء المصريين. كما أنه عندما قام بدراسة للمخطوطات النحاسية المصرية وجد إشارة في بردية محفوظة بالمتحف البريطاني معروفة باسم «برديّة هاريس» ترجع إلى عصر رمسيس الثالث تتفق مع ما جاء في المخطوطة النحاسية عن الكنز. وانتهى «فيذر» إلى القول بأن الكنز المذكور في المخطوطة لا يخرج عن أمرين: إمّا أن يكون هو كنز معبد إخناتون الذي أقامه في مدينة «تل العمارنة»، وأن الكهنة قد أخفوه بعد سقوط الفرعون، وإما أنه الكنز الذي تشير إليه الروايات المتواترة عن كنز بحيرة قارون.

اسم الفيوم والنبي يوسف عليه السلام

كانت الفيوم تسمى فيما قبل عصر الأسرات باسم «شدت»، حتى أنشأ ملوك الأسرة الثانية عشرة في عصر الدولة الوسطى عاصمتهم «إيثت تاوي». وفي عصر الدولة الحديثة تغيّر اسم

الإقليم إلى «با - يوم pa -Yom»، وتعني بحيرة أو مسطحاً مائياً أو يمّاً. واللفظ الأخير «يوم» قريب الشبه من الكلمة العربية «يمّ» بمعنى «بحر»؛ وذلك لارتباط الإقليم بوجود البحيرة، ثم حرفت الكلمة إلى «فيوم». وقد أشارت الوثائق القبطية إلى أن لفظ «فيوم» كان هو اسم الإقليم حتى فتح العرب مصر فأضيف حرفا الألف واللام فأصبح الاسم «الفيوم» أو «واحة الفيوم» في العربية[*]. أما الجغرافيون والمؤرخون العرب فقد أرجعوا اسم الفيوم إلى أنها «بنيت في ألف يوم»، وهي عبارة جاءت على لسان الملك الحاكم في ذلك الوقت إشادةً بما فعله يوسف عليه السلام من أنه بنى الفيوم في سبعين يوماً فقط؛ مما أدهش الملك، وقال عنه: إنه «عمل ألف يوم». وفي هذا الإطار نكتفي بما ورد في كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي. ويذكر فيه المقريزي أن يوسف أقام صوامع غلال في الفيوم، كما ابتنى في المنطقة نفسها القصر الذي عرف باسم «قصر التيه» اللابرنت. وكان هذا الملك قد استوزر واحداً من أهل بيته اسمه «أطفين». وهو المقصود بـ«عزيز مصر»، وهو الذي اشترى يوسف وهو صغير لكي يهديه إلى الملك، غير أن زوجة أطفين وهي ابنة عمه، واسمها «زليخة»، افتتنت به، وأسر لبها. فطلبت من زوجها أن يبقيه عندهم للاستفادة منه. وحاولت إغواءه كما جاء في القرآن الكريم. ثم يستطرد المقريزي نقلاً عن «ابن الحكم» ما هو معروف عن قصة يوسف من رؤيا الملك التي فسرها يوسف تفسيراً صادقاً أدى به إلى أن يعطيه الملك خاتمه، ويوليه خزائن الملك.

أما كيف ابتنى يوسف مدينة الفيوم، فقد أورد لذلك عدة روايات في خبر «بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم»، منها أن وزراء الملك وكاهنه كانوا يحقدون على يوسف، فعندما لقي النبي يعقوب عليه السلام فرعون عند قدومه إلى مصر، ودار بينهما حوار حول طبيعة إله كل منهما، قام كاهن الملك بتحذيره من قوم يوسف، وقال له: إنّا نجد في كتبنا خراب مصر يجري على أيدي هؤلاء. فسأله الملك: أيكون هذا في أيامنا؟ فأجاب الكاهن: لا، ولا إلى مدة كثيرة. وأشار على الملك أن يقتل يعقوب وذريته (بما فيهم يوسف)، فرفض الملك اقتراح الكاهن. ومن ناحية أخرى، قام وزراء الملك بالوشاية إليه، ووصفوا يوسف بأنه شاخ، وقلّ علمه، ونقص نفعه، ونفدت حكمته، فنهرهم الملك. وتحدّاهم أن يختبروه.. وكانت الفيوم وقتها بلداً يدعى «الجونة» ينصرف إليها ماء الصعيد (أي تصافي الماء أو فائضه الوارد من الصعيد)، فاجتمع رأي الوزراء على أن تكون هي المحنة التي يمتحنون بها يوسف. فقالوا لفرعون: سل يوسف أن يصرف ماء «الجونة» عنها ويخرجه منها فتزداد بلداً إلى بلدك، وخراجاً إلى خراجك. فدعاه الملك وأسند إليه العمل بحجة أنه يطلب بلداً لابنته. وأنه لم يجد أنسب من «الجونة»، ووصفها بأنها بلد «بعيد قريب، لا يُرى بوجه من الوجوه إلا من غابة أو صحراء، وكذلك ليست تؤتى من ناحية من نواحي مصر إلا من صحراء أو مفازة». فقبل يوسف. ومن ثم «أوحي إليه». ويروي يزيد بن حبيب أن يوسف إنما عمل ذلك بالوحي، وقوي عليه بكثرة الفعلة والأعوان.. فحفر ثلاثة خلجان من أعلى الصعيد ومن الشرق، ومن الغرب مع تحديد موقع كل منها، فخرج ماؤها من الخليج الشرقي فصب في النيل، ومن الغرب فصب في صحراء «بت همت» إلى الغرب، ولم يبق في «الجونة» ماء، وقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء، وأخرجه منها.. وكان ذلك بنداء جري النيل الذي دخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل. وكان هذا كله في سبعين يوماً. فلما نظر الملك ذلك قال لوزرائه: هذا عمل ألف يوم. فسميت الفيوم. وأصبحت تزرع بما تزرع غوائط مصر.. ومن يومها سمى المصريون المجرى باسم «بحر يوسف».

وفي رواية أخرى أن الملك نفسه هو الذي خشي سطوة يوسف فأراد أن يبعده عن منصبه بعد أن قضى فيه ثلاثين عاماً فعزله. فسأله يوسف: لم عزلتني ؟ فأجاب الملك: لم أعزلك لريبة، ولا أنسى بركتك، ولكن آبائي عهدوا إليَّ ألاّ يتولى لنا وزير أكثر من ثلاثين سنة، وإننا نخشى أن يتأصل الوزير حتى يدبر عليَّ الملك. فطلب يوسف (من الملك) أن يقطعه أرضاً تكون لقوته وقوت أهله وعشيرته، فخيّره الملك، فمشى يوسف في قفار مصر حتى رأى أرض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها، فوزن (أي قاس ارتفاع

ارتبطت بحيرة قارون باسم «قارون» الذي عصى ربّه فخسف به الأرض، وكان يعيش في الفيوم حسب ما أفاض به المؤرخون العرب

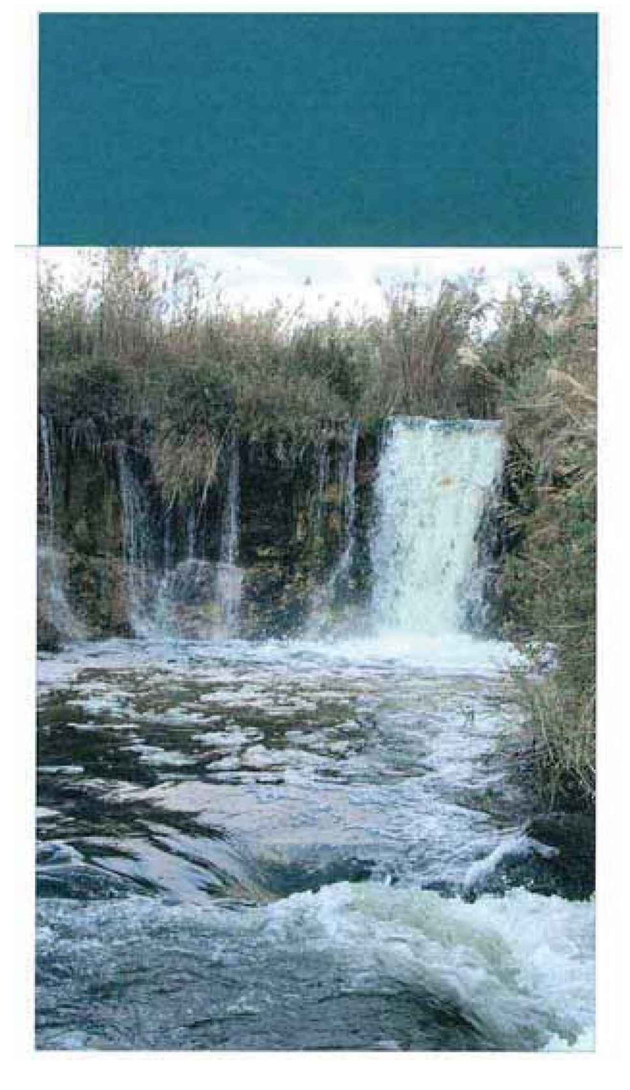
مستوى ماء النيل) حتى رأى أن قاعها (أي قاع أرض الفيوم) يركبه النيل، فخرق خرقاً في ذلك الجبل وساق الماء فيه إلى الفيوم فسقى الأرض، وعمل في جوانب الماء ثلاثمئة وستين قرية على عدد أيام السنة وشحنها بالغلال والأقوات التي ازدرعها، فكان إذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك، فعظم شأن يوسف وكثر ماله، فرده الملك إلى وزارته، وبقي هناك هو وقومه حتى مجيء النبي موسى عليه السلام.

ويأتي في هذا السياق ما كتبه المؤرخ الصليبي «وليام الصوري» الذي رافق الحملات الصليبية على مصر والشام عند حديثه عن الفيوم فقال: «هذا الإقليم كان أرضاً قاحلة جدباء، ولم يعرف المحراث أبداً طريقه إليها، وأنه كان مهجوراً فلم يعرف الزراعة ولا الفلاحة منذ بداية العالم شأنه في ذلك شأن بقية النواحي الأخرى من تلك الصحراء. ولكن لما جاء يوسف (النبي) إلى مصر فكان يستعد لكل شيء، ويحيله إلى ما فيه النفع لمصر، فقد استكشف تلك الناحية، وعرف انخفاض مستوى أرضها عما حولها من الأراضي، وأدرك أنه لو أزيلت بعض الأكمات الواقعة بين المناطق الصالحة للسكن وهذا الجزء من الصحراء؛ ففي الإمكان إذ ذاك أن تجود الأرض بأحسن ما يمكنها إن بلغتها مياه الري: لذلك شيّد السدود، ومهد الأرض متيحاً لمياه الفيضان أن تغمرها، وصارت المياه تجري في ترع شقت من أجلها بالذات، فأخصبت الأرض بعد إمحال، واهتزت وربت، وأنتجت ما لم يكن معروفاً من قبل». ويضيف وليام الصوري قوله: إن أرض جوشن (جاسان) التي يقال: إن يوسف منحها لإخوته عندما جاؤوا إلى مصر إنما هي هذا الجزء من مصر الذي يواجه الشام بناء على الوصف الوارد في سفر التكوين. ثم عاد يقول: إن هذا القسم من الأرض هو الذي يتاخم ليبيا ويقع في أقصى الطرف الآخر من مصر، وعلى أبعد نقطة من شاطئ النهر. وهو إقليم فسيح الأرجاء يضم فيما يقال ثلاثمئة وستاً وستين مدينة وقرية.

غير أن ما ساقه مؤرخ مثل المقريزي، أو ما ذكره وليام الصوري، إذ حددا المكان الذي عاش فيه يوسف عليه السلام، وهو

شلالات الريان وسحر لا يُقاوم



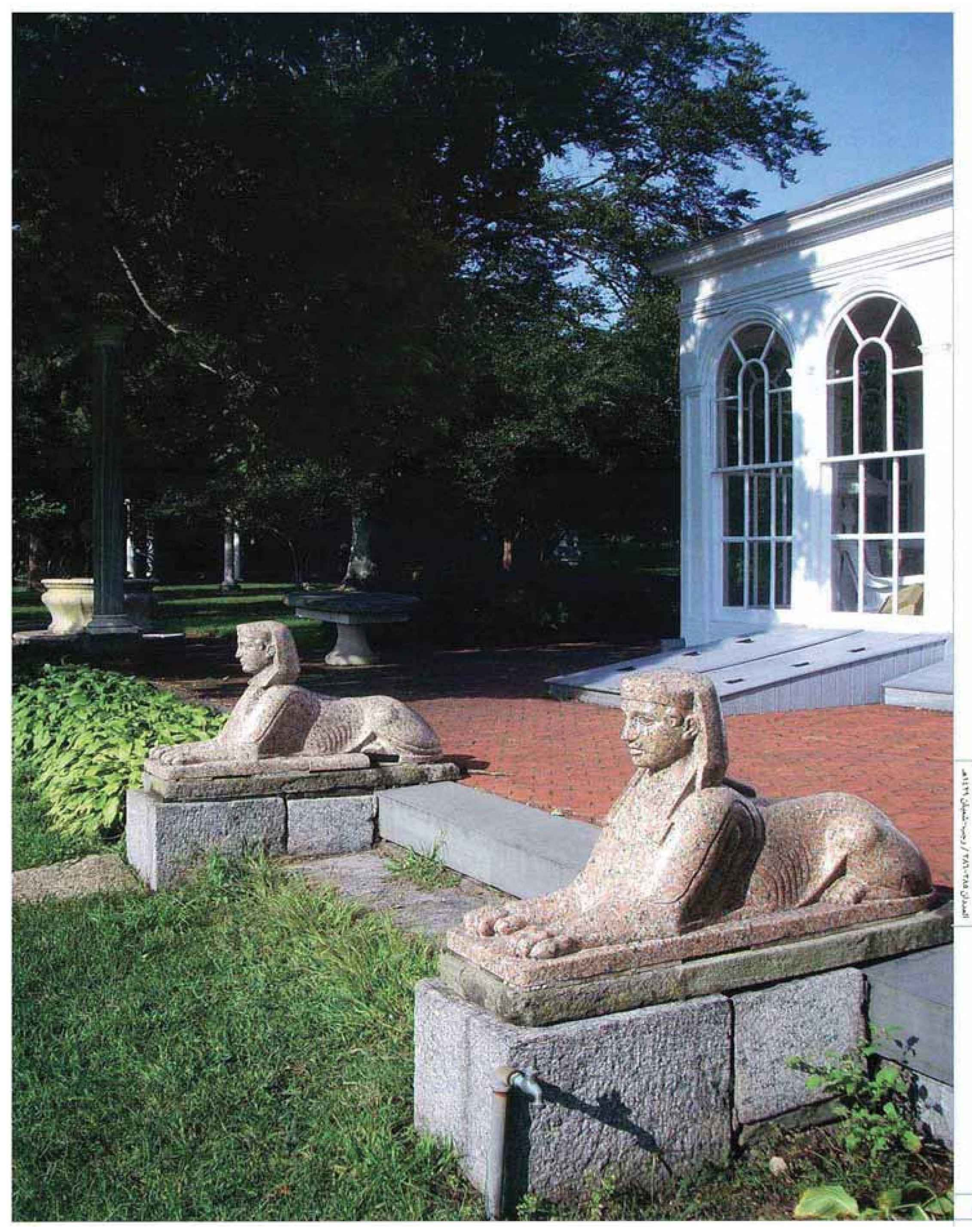


الفيوم. كما حدد المقريزي الزمن الذي عاش فيه بأنه «كان على عهد ملك مصري يسمى الريّان بن الوليد» - هو روايات لا تعطينا دليلاً يؤخذ به سواء بالنسبة إلى المكان أو الزمان.

وفي القرآن الكريم نجد قصة يوسف عليه السلام متكاملة على عكس ما يرد فيه من أخبار متفرقة في مختلف السور بالنسبة إلى غيره من الأنبياء، لكنه مع ذلك لم يحدد المكان ولا الزمان الذي عاش فيه يوسف عليه السلام؛ لأن المنهج القصصي للقرآن - وهو ليس كتاب تاريخ - يهدف إلى تبيان ما فيها من عظة وعبرة، وإن كانت هناك دلالة قد يستنبط منها أن يوسف كان يعيش في عصر الملوك الرعاة «الهكسوس» حين نجد القرآن في خمس آيات من سورة يوسف يدعو الجالس على عرش مصر آنذاك بلقب «ملك»[٣]. ولم يرد هذا اللقب عند الإشارة إلى الحاكم أو الجالس على عرش مصر إلا في سورة يوسف، وآية واحدة فقط في سورة الكهف، في الوقت الذي يشير فيه القرآن إلى لقب «فرعون» في ٤٥ آية في سور مختلفة بالنسبة إلى فرعون موسى، ممّا يدل على أن الزمن الذي عاش فيه يوسف عليه السلام كان ذا طبيعة أو وضع خاص في الحكم، وهذا الأمر نراه في تاريخ مصر تحت حكم الهكسوس، ولا سيما أن التاريخ المصري قد خلا من الإشارة إلى اسم يوسف، ذلك لأن المصريين قد حملوا ذكريات مؤلمة عن فترة حكم الهكسوس حتى إنهم سمّوهم بالطاعون والوباء. وكان بديهياً بعد أن نجحوا في طرد الهكسوس مع بدء عصر الدولة الحديثة أن يمحوا كل ما يتصل بآثارهم وعهدهم، ولما كان يوسف عليه السلام وزيراً لملك هذا العصر، ومشرفاً على خزائنه - وإن لم يكن هو نفسه من الهكسوس - فليس من المستبعد أنه ناله مثل هذا الفعل؛ لأن التاريخ المصري حافل بذكر وزراء وكهّان وقادة إلى جانب ملوكهم في حين خلا هذا التاريخ من الإشارة إلى اسم يوسف على رغم ثبوت القصة تاريخياً بما ذكره القرآن الكريم وما جاء في التوراة.

ولقد حاول بعض الباحثين المحدثين والآثاريين التحقق من المكان والزمان الذي عاش فيه يوسف عليه السلام، وانتهوا إلى احتمالات يكاد يجمعون عليها مع فوارق بسيطة في تحديد التاريخ. ومنها: أن كل التحولات الحضارية التي تمت في الفيوم بدأت مع عصر الدولة الوسطى[١] (الأسرة الثانية عشرة) التي كانت من أزهى عصور الحضارة المصرية.. ولما ساد الضعف مصر في نهاية هذا العصر، وسادت الفوضى انتهز الهكسوس الفرصة، واحتلوا مصر، وعاشوا فيما سمي بعصر الانتقال الثاني، وهو عصر يسوده الغموض بين الأسرة ١٣ والأسرة ١٧، وأن الهكسوس منذ عصر الأسرة ١٥ تمكنوا من احتلال مصر بادئين باتخاذ عاصمة جديدة لهم بشرق الدلتا (مكانها الآن صا الحجر بمحافظة الشرقية). سموها «حوت وعرة»، وأطلق عليها الإغريق بعد ذلك اسم «أفاريس»، وهو الاسم الأشهر الذي عرفت به. ويتوافق ذلك مع ما جاء في التوراة التي أجملت قصة يوسف كاملة في سفر التكوين من

يرجع الفضل في اكتشاف وادي الحيتان إلى العالم الجيولوجي الألماني جورج شفينفورت عام ١٨٧٩م عندما عثر على أول عظام متحجرة بالقرب من بحيرة قارون بالفيوم



الآية ٣٧ إلى نهاية السفر في الآية ٥٠. وهو ما يمكن أن نستنبط منه أن يوسف عليه السلام عاش في أرض قريبة من أرض «جوشن/ جاسان» التي اختارها يوسف لإقامة إخوته وأهل بيته «لكي يكونوا قريبين منه». وهذا يعني أنه كان يعيش في أفاريس في الشمال الشرقي لمصر القريبة من أرض «جوشن».

صور وجوه الفيوم

على رغم أنها من الثوابت الدينية والتاريخية لم تكن كنوز قارون. ولا المكان والزمان اللذان عاش فيهما يوسف عليه السلام هي ما شغل الباحثين والدارسين فقط، بل قفز إلى الساحة لغز آخر، وإن كان أقل غموضاً؛ لأنه سرعان ما توصل الدارسون إلى حلّه والإحاطة بكل معطياته، وهو ما عرف باسم «صور وجوه الفيوم» التي استعرضها بتفصيل كامل الكاتب «يوفوسين دكسيادس Euphosyne Doxiadis» في كتاب له نشر عام ١٩٩٥م بعنوان: صور الفيوم الغامضة.. وجوه من مصر القديمة Portraits: Faces From Ancient Egypt.. The Mysterious Fayom.

كانت لدى المصري القديم عقيدة راسخة بأن الروح الهائمة في نهاية العالم ستعود لتلتحم بالجسد. وخشيةً منه أن تضل الروح طريقها، فتعود إلى جسد آخر. قام برسم وجه صاحب الجسد، ثم وضع الرسم في لفائف المومياء حتى لا تخطئه الروح عندما تعود. وإلى جانب ذلك يضعون صورة أخرى للوجه في إطار يعلق في البيوت عند وفاة الشخص صاحب الصورة التي ترسم أو تنقش على الخشب أو النسيج أو البردي. وهذه الوجوه تشبه إلى حد كبير الوجوه التي رسمتها أوربا فيما بعد في عصر النهضة ونسبت إلى نفسها ريادة هذا النوع من صور البورتريهات (الوجوه). ذلك أنها صور ذات أبعاد ثلاثة. وهو الأمر الذي يحتاج من الرسام إلى مهارة خاصة حتى يعطي التجسيم والتلوين والتظليل المناسب، وهذا يحتاج إلى استخدام أدوات رسم متطورة، وليس مجرد فرشاة عاديّة أو إزميل عادي. ومن ثم كانت هذه الوجوه انعكاساً لإبداع فنانين متطورين.. وإضافة إلى آلاف الصور التي ظهرت في متاحف العالم المختلفة فهناك مجسمات منها في قسم المقتنيات بالمتحف الزراعي المصري.

وكان أول من اكتشف هذه الصور الرحالة الإيطالي «بيترو دي لافال Petro De Laval» عام ١٦١٥م. ولم يكن هذا الكشف نتيجة قيامه بأبحاث خاصة، وإنما جاء عن طريق المصادفة. إذ اشترى عدداً منها من بعض المصريين البسطاء الذين لا يقدرون قيمة هذا الكنز الذي عثروا عليه، وكانت تلك اللوحات أيامها لغزاً لم يستطع أحد أن يفسره، أو يعرف عنه شيئاً. وحين عيّن «هنري سولت» الإنجليزي نائباً للقنصل البريطاني في مصر عام ١٨٠٠م اقتنى مجموعة من هذه الصور معروضة الآن في متحف اللوفر بباريس. وليس لدينا ما نعرفه عن ظروف انتقالها إلى متحف اللوفر، وإن كنّا نعرف أن التجارة في هذه اللوحات ازدهرت فترة طويلة، إذ كان الأوربيون يشترونها بثمن بخس ليعيدوا بيعها للمتاحف أو لآخرين ممن تستهويهم هذه المستكشفات. كما دأب الرحالون والزائرون عند عودتهم من مصر على أن يكون معهم عدد من هذه الصور تذكاراً لزياراتهم ورحلاتهم. ومن ثم استطاع الرحالة الإيطالي «تيودور جراف» اقتناء أكبر مجموعة منها عام ١٨٢٩م، ومعظمها لوحات منقوشة على الخشب، ذلك أنه - قبل مجيئه إلى مصر - كان قد عهد إلى وكيل له مقيم في مصر بجمع أكبر قدر من هذه الصور، واهتدى هذا الوكيل إلى عامل مصري يقتني مجموعة منها عثر عليها وهو يبحث عن الملح إلى جوار إحدى الجبانات بالفيوم. وهذا الأمر أثار لعاب المغامرين وتجار الآثار الأجانب، ودفعهم إلى الاستمرار في هذه التجارة المربحة فازدادت حمى البحث عن الصور.. وبلغ من كثرة ما عثر عليه منها أن شك بعضهم في أن كثيراً منها هي لوحات مزورة، وليست أصلية بعد أن أدرك المغامرون والرحالون شوق متاحف العالم إلى اقتناء هذه الصور بوصفها أهم الاكتشافات الأثرية وأحدثها في نهاية القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٨٨٩م جاء إلى مصر عالم الآثار الإنجليزي «فلندرز بتري» الذي قدر ما لهذه المقتنيات من قيمة أثرية، وانتقد في رسائل له ما يقدم عليه الزوار الأجانب والمصريون البسطاء من عمليات

الحيتان من أقدم أنواع الثدييات، وليست أسماكاً؛ لأنها من ذوات الدم الحار، بينما الأسماك من ذوات الدم البارد

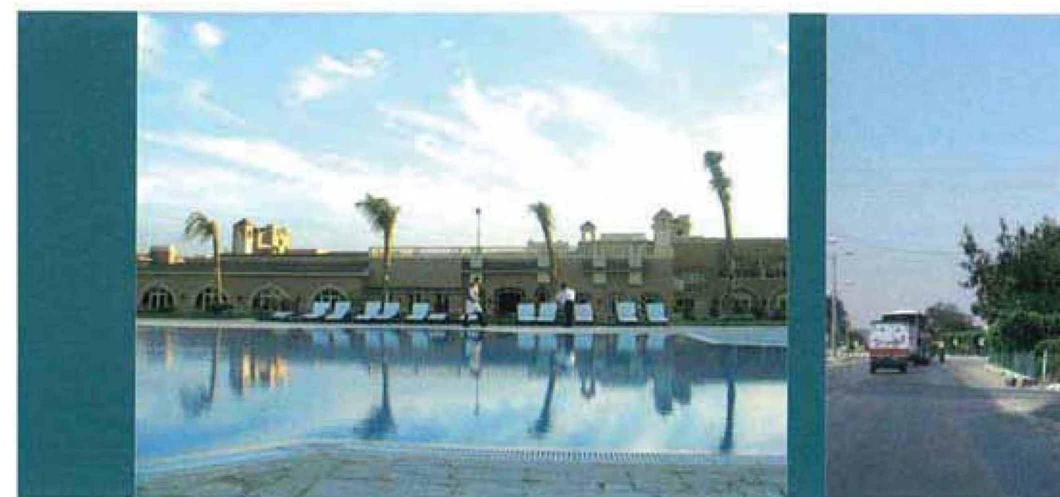
نهب متوالية وغير مسؤولة لما تعكسه هذه الصور من تطور في تاريخ الفن والحضارة المصرية. ونتيجة لحملته عرف العالم كل شيء عن وجوه الفيوم، ولا سيما بعد أن رفع الستار عن تاريخ الحضارة المصرية باكتشاف حجر رشيد وفك رموزه، فأمكننا أن نعرف أن تلك الوجوه ترجع إلى القرون الأربعة الأولى للميلاد، وأنها لوجهاء منطقة الفيوم التي سكنها أبناء الجاليات اليونانية والرومانية مع بداية توافد الإغريق على مصر منذ غزو الإسكندر الأكبر لها، وفي عهد بطليموس الثاني (وكان البطالمة قد نقلوا العاصمة إلى الإسكندرية) أقام بطليموس حامية عسكرية عند مدخل الفيوم، كما استقر عدد كبير من الجنود المرتزقة من اليونانيين والمقدونيين الذين تسموا وتشبعوا بروح الحضارة المصرية بها، حتى إنهم عبدوا إلههم «سبك» (الإله التمساح)، ولكثرة التماسيح التي كانت تأتي من طريق فرع النيل المغذي للفيوم (بحر يوسف) أطلقوا على الفيوم اسم مدينة التمساح «كروكوديلوبوليس Crocodilopolis» باللغة الإغريقية (اليونانية)، كما أطلقوا على الشواهد الأثارية بالفيوم من مدن وقرى وأهرام ومعابد أسماء إغريقية، وهذا الأمر دفع بعضهم إلى القول: إن هذه الصور إن هي إلا طفرة من طفرات الفن الإغريقي الروماني، وليس المصري، وهو ما استنكره غيرهم، وعلى رأسهم العالم الإيطالي «كاباسو» الذي كان ينظر إلى العمال المصريين ويقول: «هؤلاء العمال ليس بينهم فارق كبير في الشكل وبين وجوه الفيوم التي تحمل ملامحها قدراً كبيراً من الشجن والأسى مع حيرة تطل من العيون الواسعة التي هي سمة مشتركة بينها».. إلى جانب أن الأبحاث التاريخية المتعلقة بفن الرسم عند الإغريق تشير بشكل واضح إلى أن «فن التصوير والرسم في القرن الأول الميلادي قد تدهور، وفقد الملامح الإغريقية الرومانية القديمة إلى حد كبير»، يؤكد ذلك المؤرخ الروماني «بليني Pliny»، وهو شيخ المؤرخين في هذا العصر وصاحب أكبر موسوعة شملت كل مناحي العلوم، إذ أشار في كتاباته التي وضعها في القرن الأول الميلادي إبّان عصر الإمبراطور «سباستيان الأكبر» إلى أن فن الرسم الجداري في روما حتى البورتريهات (صور الوجوه) قد اندثرت تماماً. ويفسر «بليني» ذلك بأن الإنسان فقد اهتمامه بأمور الآخرة أو عودة الروح إلى الجسد الذي يحمل صورة المتوفى، في حين ظهرت هذه الوجوه في الفيوم في الفترة نفسها، وهي القرن الأول الميلادي، بملامح مصرية، وثياب وتسريحات شعر رومانية تأثراً بما يرتديه علية القوم من الحكام. وإلى جانب ما قاله «كاباسو» من تشابه الوجوه المرسومة مع الوجوه المصرية فإن مصر لم تتخلَّ عن عقائدها المتعلقة بالآخرة والحساب، بل فرضت هذه العقائد على المحتل ليس في مصر فقط، وإنما في أوربا القديمة حيث انتقلت هذه العبادات إليها من طريق تأثير الحضارة المصرية في العالم القديم. يضاف إلى ذلك أن هجرة العائلة المقدسة إلى مصر، وتطور فن الأيقونات عند المسيحيين المصريين (الأقباط) ربما يكونان – إلى حد كبير– وراء ظهور هذه الرسوم ذات الأبعاد الثلاثة؛ بمعنى أن هذه الرسوم هي رسوم قبطية وجدت ونشأت انبثاقاً من التأثيرات الدينية المسيحية، وليست نتيجة تأثيرات خارجية، ذلك أنها لو كانت نتيجة تأثيرات أجنبية، ونعني بها الإغريقية والرومانية، لكان أجدر بها أن توجد قبلاً في الإسكندرية حيث كانت هي العاصمة المصرية آنذاك وعاصمة البطالمة خلفاء الإسكندر المقدوني، ثم مقر الحاكم الروماني بعد ذلك. والأقرب إلى الترجيح أن المصريين وهم يفرون من الشمال أمام الاجتياح الروماني في القرون الميلادية الأربعة الأولى وجدوا في مصر الوسطى، والفيوم على وجه التحديد، ملجأً وملاذاً يمارسون فيه حياتهم، ويطوّرون فنهم، وهذا الأمر ينعكس بوضوح من تلك النظرات المعبّرة عن الألم والأحزان التي يحملها كثير من هذه الرسوم. فضلاً عن استمرار عقائدهم المتعلقة بعودة الروح إلى الجسد، ومن ثم كانت صور الفيوم باباً إلى هذه العودة الأبدية.

الفيوم اليوم

وفي ظل هذه الشحنة من صور التاريخ الغابرة الأشبه بلوحة

> هددت اليونسكو بشطب موقع الأهرام الثقافي من القائمة الدولية للمواقع الثقافية ووقف المعونات الدولية عندما حاولت الحكومة المصرية مد طريق دائري يخترق الصحراء خلف الأهرام





الفيوم: ماضٍ تليد وحداثة خلابة

أسطورية. ما زلنا نعيش كأننا عدنا آلا ف السنين إلى الوراء مع هذا التاريخ فيما تبقى من آثار مصرية قديمة وإغريقية ورومانية وقبطية وإسلامية من أهرام ومعابد وكنائس ومساجد بما تعكس الدور المتميز الذي حظيت أو قامت به الفيوم طوال عصورها القديمة حتى الآن.

ومن هذه الآثار المصرية القديمة:

- هرم «ميدوم»، وكان يعتقد أن الملك «هوني» هو الذي بدأ ببناء هذا الهرم، وهو آخر فراعنة الأسرة الثالثة، لكن يرجح علماء الآثار الآن أن بناءه تم على عهد الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة. ويكشف هذا الهرم عن المراحل المتعاقبة التي شيّد خلالها، وقد فتح عالم الآثار الفرنسي «ماسبيرو» هذا الهرم أول مرة عام ١٨٨١م. ويوجد بالجانب البحري منه بعض مقابر علية القوم «عابت» وزوجته «نفرمعات» و«رع نفر»، ومومياؤه هي أولى المومياوات التي اكتشفت، وهي معروضة الآن في الكلية الملكية للجراحين في لندن، و«راحوتب» وزوجته «نوفريت»، وتمثالهما معروض في المتحف المصري.

- هرم «اللاهون»، وهو هرم ضخم بناه الملك «سنوسرت الثاني» الذي يطلق عليه أحياناً اسم «سيزوستريس». بناه من الطوب (اللبن الطيني)، ويقع في قرية اللاهون، وهي قرية قديمة كان اسمها «را - حين»، وتعني «فم البحيرة». وكانت منطقة اللاهون قديماً مستنقعات وبركاً جفت مع الزمن. ومن آثارها أيضاً مسلة «أبجيج»، وهي مسلة من الجرانيت الوردي ذات شكل غريب نوعاً؛ إذ إن قمتها مختلفة؛ فهي مستديرة عند القمة، وليست مدببة كغيرها من المسلات، وقد نحت عليها اسم الملك «سنوسرت الأول»، وقد وجدت بجوار الهرم البردية المعروفة باسم «بردية هاكون» التي تعد أقدم بردية طبية.

- هرم «هوارة»، وقد شيّد ليكون مقبرة للملك أمنمحات الثالث، وقام المهندس المصري القديم الذي بناه بعمل عدة ممرات أسفله بطريقة معقدة؛ وذلك لإخفاء حجرة الدفن. وترتبط منطقة «الهوارة» بقصر «اللابرنت» الذي بني فيها وعرفه العالم بوصفه المبنى الأقدم والأضخم في العالم القديم، وقد أطلق عليه الإغريق هذا الاسم تشبهاً بقصر اللابرنت الشهير في جزيرة كريت، في حين عرف في المراجع العربية بقصر التيه، ذلك أنه كان يضم ثلاثة آلاف حجرة، (وليس ١٦٠٠ حجرة كما أشارت بعض المراجع)، كان نصفها أعلى سطح الأرض، ونصفها الآخر أسفل الأرض، وكان يصعب على من يدخله الخروج منه بسهولة، إذ يكون معرضاً لأن يتيه في شبكة الحجرات والممرات الكثيرة داخل القصر إلا من كان مكلفاً الخدمة فيه. ولم يسجل لنا أحد صفة واضحة لوظيفة هذا المبنى: هل كان مجرد قصر أو معبداً جنائزياً أو معبداً للإله سوبيك الإله الرئيس للفيوم؟ وأياً كان الغرض منه فقد أجمع المؤرخون القدامى على أن هذا البناء كان يفوق كل المعابد القديمة من حيث المساحة والنقوش والتصميم

المعماري وعدد التماثيل التي كانت قائمة به. وكان أمنمحات الثالث هو الذي بدأ بتشييده، وأكملته ابنته «نفرو بتاح» و«سوبيك نفرو» (آخر فراعنة الأسرة الثانية عشرة). ومما عثر عليه في هذا المبنى تمثال للملك أمنمحات الثالث هو الآن في المتحف المصري، إلا أن هذا الأثر الضخم قد اندثر ولم يبق منه غير بقايا أسوار وأعمدة من الحجر الجيري والجرانيت. دأب سكان المنطقة، ولا سيما في العصر الروماني، على أخذ ما يحتاجون إليه منه من أحجار لبناء منازلهم.

- هرم «سيلا»، وهو يختلف في تصميمه عن الأهرامات التقليدية؛ إذ إنه بني فوق أحد المرتفعات الصحراوية خارج نطاق الوادي.

- أهرامات أمنمحات الأول، وسنوسرت الأول في منطقة «اللشت».

والملاحظ هنا أن هذه الأهرامات القديمة بالفيوم بني معظمها من قراميد الطوب (اللبن الطيني) مع كسائها من الخارج بالحجر الجيري الأبيض، أما داخل الأهرام فكانت من الأحجار الجيرية مع تعقيد ملحوظ في هندسة الممرات الداخلية؛ بغرض سد الطريق أمام لصوص الآثار والمقابر. ومن ثم كان لا بد من أن ينهار كثير من الجدران الخارجية لهذه الأهرامات فتبدو كأنها أصبحت أكواماً من الردم. فضلاً عن تفاقم مشكلة المياه الجوفية؛ بسبب إنشاء السّد العالي، ذلك أن السّد يمنع حدوث فيضان في مجرى النيل، وعليه تختزن المياه في البحيرة ويرتفع مستواها لاستخدامها عند اللزوم، ومن ثم تتسرب في الوقت نفسه إلى طبقات الرمال تحت الأهرامات فتؤثر الرطوبة فيها.

- معبد «كوم ماضي Hatmouthis كما يرد باللغة اليونانية القديمة»، وتم بناؤه على عهد أمنمحات الثالث، وأمنمحات الرابع.

- آثار منطقة غراب التي ازدهرت في عهد الملك تحتمس الثالث، والملك أمنحتب الثالث، والملك رمسيس الثاني، والملك مرنبتاح، وأشهر ما عثر عليه فيها تلك الرأس الشهيرة للملكة «تي»، وهي في المتحف المصري ولم يستطع أحد أن يتوصل حتى الآن إلى معرفة المادة التي صنعت منها.

- مقبرة «نفرو بتاح» الابنة الأولى لأمنمحات الثالث، وإلى جوارها جبانة للتماسيح التي تجسّد إله المنطقة «سوبيك».

ومن مناطق الآثار اليونانية والرومانية: «أم البريجات»، وكانت تعرف باللغة المصرية القديمة باسم T-Pdbn، وحرّفت إلى Tebtunis في اللغة اليونانية القديمة.. «كوم أوشيم Karais». وقد كانت مدينة متكاملة بمبانيها ومعابدها وجباناتها.. «كوم الأثل Bacchus».. و«بطن حريت Theodelphie»، و«قصر البنات Euhfmera».. و«قصر قارون Dionysius».. و«كوم مدينة النحاس Megdela».. و«ديمه Soknoplan Nessos». وهذه الأسماء الأجنبية باللغة اليونانية القديمة. هذا إلى جانب الحمامات الكثيرة المنتشرة في «أم البريجات»، ومدينة «كرانيس» القديمة، ومدينة «بطن هريت»، و«قصر البنات».. و«كوم الخمسين».. و«كيمان فارس».

ومن الآثار القبطية والإسلامية: دير «النقلون»، ودير «القلمون»، ودير «سيلا»، ودير «مسند منت». ومن الأديرة التي ترجع إلى العصر الفاطمي دير «أبو إسحق»، ودير «الصليب»، ودير «مار جرجس»، فضلاً عن أديرة أخرى من العصر الأيوبي. وإن كان كثير من هذه الأديرة قد اندثر نتيجة عوامل طبيعية وبشرية. ومن الآثار الإسلامية جامع «خوند أصلباي»، وقنطرة «خوند أصلباي»، وجامع «الأمير سلمان»، وضريح الشيخ «علي الروبي» ومئذنته، وهو ينتسب إلى البيت العباسي من سلالة عبدالله بن عباس. وقنطرة «اللاهون»، ومسجد «قايتباي»، ووكالة «المغاربة».

وأصبحت الفيوم اليوم منتجعاً سياحياً مهماً صيفاً وشتاء، وحق فيها قول الشاعر:

هواء نسيم وأفق بسيم   وروض وسيم وماء زلال

والفيوم هي عاصمة محافظة الفيوم، وهي المدينة الوحيدة بالمحافظة، ويتبعها خمسة مراكز و١٦٨ قرية. وقناطر اللاهون الحالية هي التي تتحكم في ري أراضي الفيوم، وهي مقامة على بحر يوسف الذي يستمد ماءه من ترعة رئيسة أخرى، هي ترعة الإبراهيمية المتفرعة من مجرى النيل الرئيس. وفي الفيوم ثلاثة جبال، أو بمعنى أدق مرتفعات، هي: «قطراني»، و«قصر الصاغة»، و«جار جهنم» الذي يقع فيه وادي الحيتان. ومن معالم الفيوم الحالية سواقي الهدير القديمة التي لا تزال

القرار الذي أصدرته اليونسكو بالنسبة إلى وادي الحيتان يعني أن مصر دخلت فيما يسمى «المعايير الدولية للمواقع الطبيعية»

تعمل حتى الآن، وتدار بقوة دفع الماء، ومنها ترتفع المياه من المستويات المنخفضة إلى المستويات الأعلى؛ لذا يطلق بعضهم على الفيوم أحياناً اسم «أم السواقي»، كما تشتهر الفيوم بكثرة العيون الطبيعية، ومن أشهرها «عين السّليين» التي تتدفق مياهها الجوفية بلا انقطاع من عدة شقوق تنساب في ترعة رئيسة، وهي صالحة للشرب، وغنية بالكالسيوم، وإن كانت أشجار الزيتون الضخمة تخفي جزءاً كبيراً منها، وهناك أيضاً «عين الشاعر»، وعين «بهمو»، وعين «المندرة»، كما تشتهر قرية «الفديمين» بحدائقها المبنية على روابي مرتفعة، وعند دخول المدينة تطالعنا مسلة أمنمحات الثالث ذات القمة الغربية وعليها اسم سنوسرت الأول، وكان من الطبيعي أن ينشأ في الفيوم متحف يضم بعض ما عثر عليه فيها من الآثار.

أما البحيرة، وكانت تشغل في الماضي أكثر من نصف مليون فدان، فقد تقلصت مساحتها حتى أصبحت ٥٥ ألف فدان فقط بعمق ثمانية أمتار ونصف المتر، ونتيجة عوامل التبخر أضحى ماؤها مالحاً بعد أن كان عذباً؛ مما أثر في الثروة السمكية التي كانت تشتهر بها، ومع ذلك لاتزال البحيرة تتمتع بميزتها القديمة كمصب لقوافل البط المهاجر من الشمال هرباً من صقيع الشتاء في أوربا، وتحطّ على شواطئ البحيرة الدافئة؛ مما يتيح فرصة لممارسة صيد البط في موسم هجرة هذه الطيور.

الهوامش والمراجع

١- ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض﴾ العنكبوت ٣٩. ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ غافر ٢٣ - ٢٤

٢- كثيراً ما يطلق المصريون لفظ «بحر» على «النيل»، فيقولون: «بحر النيل»، أو أي من فروعه، ومن ثم فإن الفيوم وهي تتغذى بماء النيل ليست واحة بالمعنى الصحيح كما جرت العادة على وصفها باسم «واحة الفيوم» وعدّها أكبر واحات مصر، وهو تصور خاطئ.

٣ ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ يوسف ٤٣. ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾ يوسف ٥٠. ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ يوسف ٥٤ ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير﴾ يوسف ٧٢. ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ يوسف ٧٦.

٤- فيما يلي تحديد لعصور التاريخ المصري القديم:

- عصر ما قبل الأسرات (٥٥٠٠ ق.م. - ٣١٠٠ ق.م.).
- العصر العتيق.. عصر بداية الأسرات (٣١٠٠ ق.م ٢٧٨٠- ق.م.).
- الأسرة الأولى: ٣١٠٠ ق.م. ٣٠٤٧ ق.م. تقريباً.
- الأسرة الثانية: ٣٠٤٧ ق.م. - ٢٧٨٠ ق.م.
- عصر الدولة القديمة: عصر بناة الأهرام ٢٧٨٠ ق.م. - ٢٢٦٣ ق.م.
- الأسرة الثالثة. ٢٧٨٠ ق.م. - ٢٧٢٣ ق.م.
- الأسرة الرابعة: ٢٦٨٠ ق.م. بفارق ٤٧ سنة من نهاية الأسرة الثالثة - ٢٥٦٠ ق.م.
- الأسرة الخامسة: ٢٥٦٠ ق.م. - ٢٤٢٠ ق.م.
- الأسرة السادسة: ٢٤٢٠ ق.م. - ٢٢٦٣ ق.م.
- عصر الانتقال الأول والدولة الوسطى- ٢٢٦٣ ق.م - ١٧٨٥ ق.م.
- من الأسرة ٧ إلى الأسرة ١٠: ٢٢٦٣ق.م. - ٢١٣٤ ق.م. ثم الأسرة ١١: ٢١٣٤ ق.م. - ٢٠٥٢ق.م. (في أثناء فترة الانتقال الأول)، ومن ٢٠٥٢ ق.م. إلى ١٩٩١ ق.م. (في أثناء فترة الدولة الوسطى).
- الأسرة ١٢: ١٩٩١ق.م. - ١٧٨٥ ق.م، وملوكها: أمنمحات الأول، وسنوسرت الأول، وأمنمحات الثاني، وسنوسرت الثاني، وسنوسرت الثالث، وأمنمحات الثالث، وأمنمحات الرابع، وسوبيك نفرو.
- عصر الانتقال الثاني: ١٧٨٥ق.م.- ١٥٨٠ ق.م (من الأسرة ١٣ إلى الأسرة ١٧، وبدأ حكم الهكسوس إبان حكم الأسرة الخامسة عشرة من ١٧٣٠ ق.م. إلى ١٦٢٢ق.م، وبعض الأبحاث تشير إلى أن «خيان» أحد ملوكهم هو الملك الذي عاصره يوسف عليه السلام، وهي أبحاث لا تقوم على أسانيد موثقة.
- عصر الدولة الحديثة: ١٥٨٠ق.م. - ١٠٨٥ق.م. (الأسرات من ١٨ إلى ٢٠).
- عصر الانتقال الثالث: ١٠٨٥ق.م. - ٣٣٢ق.م (الأسرات من ٢١ إلى ٣١).

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس (التوراة).

معجم الحضارة المصرية القديمة: جورج بوزنر، ترجمة: أمين سلامة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب).

مؤتمر الفيوم الأول للآثار.. دليل آثار الفيوم، (المجلس الأعلى للآثار المصرية).

الخرائط التاريخية: أحمد صالح، مطبعة المعارف طبعة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

دورية Places in Egypt العددان ٧ و ٨ ـ ١٩٩١م، القاهرة.

دورية Minerva، مجلد ٧، العدد ٣، ومجلد ٨، العدد ٢، لندن.

مجلة أخبار الدنيا، ١٩٩٢/٤/٣٠م.

مجلة أكتوبر، العدد ١٥٠٠ في ٢٠٠٥/٧/٢٣م.

صحيفة صوت الأمة، في ٢٠٠١/١/٢١م.

جريدة الأهرام، في ١٩٨٤/١/١٤م، ٢٠٠١/٤/١٣م، ٢٠٠١/٤/٢٧م، ٢٠٠٥/٤/١١م، ٢٠٠٥/٩/٢٠م، ٢٠٠٥/١٠/١م، ٢٠٠٥/١١/١٢م، ٢٠٠٦/١/٥م، ٢٠٠٦/٦/١٥م.

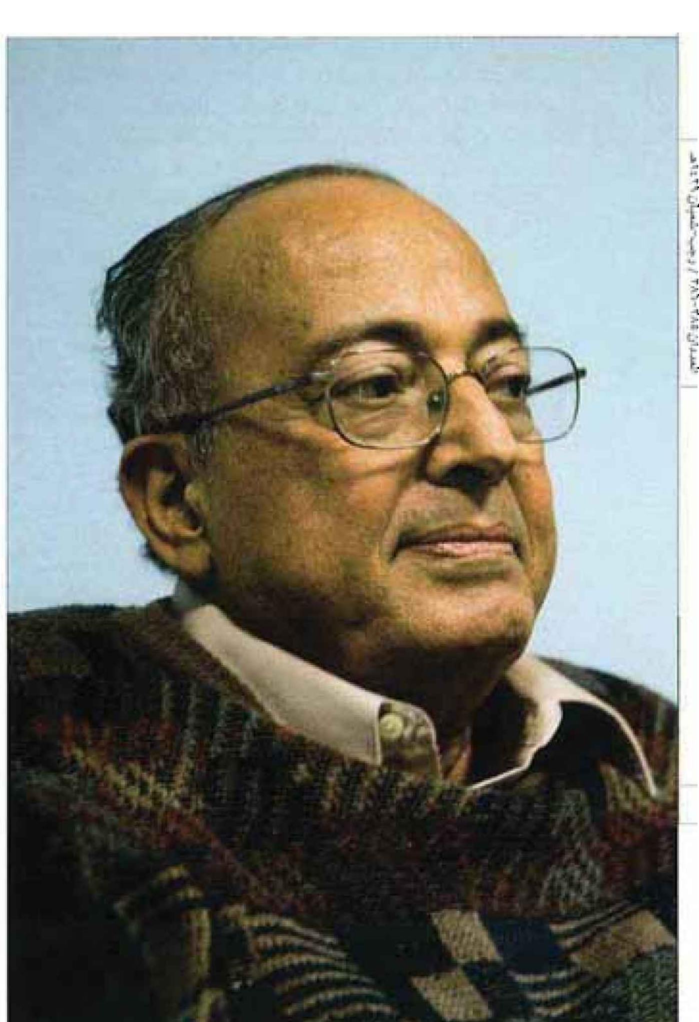
تاريخ مصر القديمة، ج١ و ج٢ ، د. رمضان السيد، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

ذيل وليم الصوري، أ.د. حسن حبش، القاهرة.

وفاة المسيري المفكر المصري بعد حياة حافلة

توفي فجر الخميس ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٩هـ/ ٣ يوليو عام ٢٠٠٨م عبد الوهاب محمد المسيري -المفكر المصري- عن عمر ناهز ٧٠ عامًا، بعد حياة حافلة بالعمل الفكري والعلمي والسياسي.
ولد المفكر الراحل في دمنهور، بمحافظة البحيرة في مصر، في عام ١٩٣٨م. ونال ليسانس الأدب الإنجليزي من كلية الآداب في جامعة الإسكندرية في عام ١٩٥٩م، ثم ماجستير في الأدب الإنجليزي والمقارن من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٤م، ثم الدكتوراه من جامعة رتجرز الأمريكية في عام ١٩٦٩م.
وقد تبوأ عددًا من المناصب المهمة. فعمل رئيسًا لوحدة الفكر الصهيوني، وعضوًا بمجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠ - ١٩٧٥م)، ومستشارًا ثقافيًا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (١٩٧٥ - ١٩٧٩م)، وأستاذًا للأدب الإنجليزي والمقارن في جامعة عين شمس (١٩٧٩ - ١٩٨٣م)، وفي جامعة الملك سعود (١٩٨٣ - ١٩٨٨م)، وفي جامعة الكويت (١٩٨٨ - ١٩٨٩م)، وأستاذًا غير متفرغ بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٨٨م، وأستاذًا زائرًا بجامعة ماليزيا الإسلامية في كوالالمبور، وفي أكاديمية ناصر العسكرية، ومستشارًا أكاديميًا للمعهد العالي للفكر الإسلامي بواشنطن منذ عام ١٩٩٢م، وعضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في ليسبرج في فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٩٣م.



وتولى المسيري في أوائل العام الماضي منصب المنسق العام للحركة المصرية من أجل التغيير المعروفة بحركة كفاية، التي كان من مؤسسيها، وسوغ اهتمامه بالسياسة بأنه محاولة لتطبيق بعض أفكاره على أرض الواقع، وقال: إن هذا ليس جديدًا على الساحة المصرية، فقد مارس السياسة مفكرون كبار أمثال العقاد، ود.طه حسين، ود.أحمد لطفي السيد، وغيرهم.
وتصدى المسيري لقضايا الفساد وانتهاك الحريات، وشارك في تظاهرات، على الرغم من مرضه وكبر سنه، وقاد حملة للحفاظ على اللغة، وأبدى رفضًا شديدًا لمقترح إسرائيلي بتدريس اللغة العبرية لغة ثانية في المدارس المصرية.
ومن أهم مؤلفاته: نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني، والأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، والاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية، والجمعيات السرية في العالم، وأسرار العقل الصهيوني، وموسوعة تاريخ الصهيونية في ثلاثة مجلدات، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد في ثمانية مجلدات، ورحلة إلى جزيرة الدويشة، والأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى، وانهيار إسرائيل من الداخل، والموسوعة الموجزة.

وله عدد كبير من البحوث والمقالات، وقد ترجمت أعماله إلى عدد من اللغات، كما كتبت دراسات عنها.

ونال المسيري كثيرًا من الجوائز وشهادات التقدير منها: شهادة تقدير من جامعة القدس بفلسطين المحتلة عام ١٩٩٥م، وشهادة تقدير من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ١٩٩٦م، وشهادة تقدير من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٩٩م، وشهادة تقدير من جريدة (آفاق عربية) بالقاهرة عام ١٩٩٩م، وجائزة سوزان مبارك لأحسن كاتب لأدب الأطفال عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٢م، وجائزة أحسن كتاب من معرض القاهرة الدولي للكتاب عن كتاب رحلته الفكرية عام ٢٠٠١م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٤م.

وكان المسيري من كتاب الفيصل. وألقى محاضرة في مركز الملك فيصل بعنوان: « قضية الانحياز في المصطلح». وكان الزميل حسين حسن حسين قد أجرى معه حوارًا نشر في العدد ٣٨٢ بتاريخ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ/ إبريل ٢٠٠٨م تناول جوانب من حياته، واهتماماته السياسية، وقد تنبأ بنهاية إسرائيل القريبة.

اتحاد لجمعيات الفنون التشكيلية بدول مجلس التعاون الخليجي

أعلن في مملكة البحرين عن قيام اتحاد جمعيات الفنون التشكيلية بدول مجلس التعاون الخليجي بعد لقاءات تم عقدها في كل من الرياض والكويت. ويضم الاتحاد الجمعيات المعنية بأنشطة الفنون التشكيلية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية المشهورة من قبل الدول الأعضاء في المجلس، التي لها شخصيتها الاعتبارية وفقاً للأنظمة المتبعة في كل دولة.

ويأتي قيام الاتحاد لتحقيق عدد من الأهداف، منها: توثيق الحركة الفنية في دول المجلس، والإسهام في رعايتها، وتوسيع نطاقها، وتوثيق صلتها بالهيئات الفنية والفنانين العرب والعالميين، وتقديم الاهتمام والدعم اللازمين لفنانيها، وإتاحة الفرص للفنان للمشاركة في اللقاءات الدولية والإقليمية، ومتابعة حقوق الفنانين في دول المجلس، وتشجيع البحث، والنقد الفني، والترجمة وما يخدم الحركة التشكيلية في دول المجلس، بإقامة المحاضرات والندوات والمعارض وورش العمل، وتنظيم معرض سنوي لفناني دول المجلس، وإصدار مجلة إلكترونية للتعريف بالفنانين، ونشر بحوثهم، ودعم الفنانين والهواة والعناية بإنتاجهم الفني، وغيرها. وقد اختيرت الكويت لرئاسة الاتحاد لمدة أربع سنوات، وسيكون الفنان عبد رب الرسول سلمان رئيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية رئيساً للاتحاد خلال الفترة المحددة، لتنتقل الرئاسة بعدها بشكل دوري إلى دول المجلس الأخرى. ويحق لأعضاء الجمعيات التشكيلية في دول مجلس التعاون الخليجي عضوية الاتحاد.



وكان قد عقد في البحرين اجتماع شهده كل من: رئيس الجمعية السعودية للفنون التشكيلية عبدالرحمن السليمان، ورئيس الجمعية القطرية للفنون التشكيلية محمد عتيق الدوسري، ورئيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية عبد رب الرسول سلمان، ورئيس جمعية البحرين للفن المعاصر راشد العريفي، ورئيس جمعية البحرين للفنون التشكيلية علي المحميد، ورئيس جمعية خزافي البحرين عبدالكريم البوسطة، ورئيسة الجمعية العمانية للفنون التشكيلية مريم الزدجالي.



ترجمة ١١٧ كتابًا في مئة يوم

أتمت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في الإمارات العربية المتحدة ترجمة ١١٧ كتابًا من الإصدارات الحديثة، الأكثر مبيعًا في العالم، وهناك أربعون كتاباً منها انتهت طباعتها، وتم عرضها في الأسواق.

وأشار نائب رئيس المؤسسة ياسر حارب في مؤتمر صحفي إلى أن هذا الإنجاز تم تحقيقه في مئة يوم فقط، تنفيذًا لبرنامج (ترجم) الذي تتبناه المؤسسة بهدف تشجيع حركة الترجمة في العالم العربي. وسوف يصدر عن هذا البرنامج ألف كتاب في ثلاث سنوات. وتغطي الكتب الصادرة مجالات الإدارة، والأعمال، والعلوم، والآداب، والثقافة العامة.

يركز البرنامج في هذه المرحلة الحالية في ترجمة الكتب المتخصصة في مجال الإدارة، لحاجة عالمنا العربي الملحة إلى الفكر الإداري المتقدم في مختلف الميادين التربوية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ومن الكتب المترجمة: رواية (مذكرات من نجا) للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسينغ، الحائزة على جائزة نوبل للأدب في العام الماضي، وكتاب (الحقيقة المؤلمة) لآل غور نائب الرئيس الأمريكي السابق، وكتاب (أفكار وجدت لتبقى) للكاتبين والأكاديميين شيب ودان هيث.

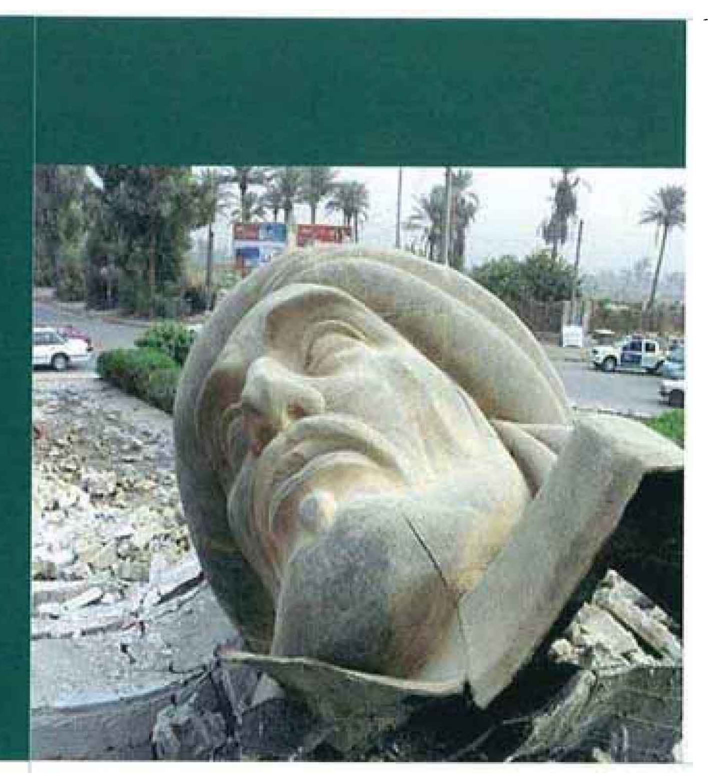
وتقوم المؤسسة بشراء ألف وخمسمئة نسخة من كل كتاب مترجم، تشجيعًا للمترجمين ودور النشر الشريكة، إضافة إلى توزيع تلك الكتب من دون مقابل على المراكز الثقافية، وصناع الرأي، والمكتبات العامة الكبرى في العالم العربي.

مؤتمر المدن التاريخية يدين الانتهاكات الإسرائيلية

اختتم في دمشق في ٢٤ جمادى الآخرة الماضي (٢٩ يونيو عام ٢٠٠٨م) المؤتمر الأول للمدن التاريخية العربية، الذي نظمته محافظة دمشق بالتعاون مع «مؤسسة التراث والمدن التاريخية العربية»، ومقرها تونس. وقد اشتمل المؤتمر على محاضرات عن واقع المدن التاريخية العربية وآفاقها، وإستراتيجية صيانتها وإحيائها.

وكانت «منظمة مدن الدول العربية» قد أقرت في مؤتمرها الرابع عشر مؤسسة التراث والمدن التاريخية العربية في عام ٢٠٠٧م لتتكفل بمهمة الحفاظ على تلك المدن وفق إستراتيجية محددة المعالم. وتناول المحاضرون قضايا إعادة كتابة التاريخ، ووقف ما تتعرض له مدينة القدس والمسجد الأقصى من انتهاكات إسرائيلية صارخة، وقد سجل المؤتمرون زيارة ميدانية للأحياء التاريخية في العاصمة السورية.

المنصور يعود إلى بغداد



تمت مؤخرا في بغداد إعادة تمثال رأس الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور باني هذه المدينة بعد صيانتها عقب الأضرار التي لحقت بها منذ عامين.

وقال المسؤولون: إنه تمت إعادة بناء القاعدة وفق الطراز البغدادي بالتصميمات القديمة نفسها.

وهذا التمثال الذي يبدو فيه المنصور بعمامته كان قد صمّمه النحات العراقي خالد الرحال الذي يعد واحدا من رواد الحركة الفنية الحديثة في العراق، وهو مصنوع من البرونز، ويبلغ ارتفاع القبة التي وضع فوقها التمثال خمسة أمتار، وتم نصبه أول مرة في أواخر سبعينيات القرن الماضي في منطقة المنصور التي تحمل اسمه.

تشومسكي ورؤية من الداخل لأمريكا

مؤلف هذا الكتاب أحد أشهر المفكرين على مستوى العالم، بل أكثرهم إثارة للجدل، إنه العالم اليهودي الأمريكي «نعوم تشومسكي»، الذي وصفته منظمة «بناي بريث» اليهودية بأنه أشد مواطني الولايات المتحدة الأمريكية عداء لإسرائيل، ووصفه بعضهم بأنه يهودي يكره ذاته!!

«مداخلات.. آراء حرة في السياسات الأمريكية المعاصرة».. الكتاب صدر حديثاً عن الهيئة المصرية العامة، وقد ترجمه إلى العربية الدكتور محمد عناني، ويشمل المجموعة الكاملة لأعمدة الرأي التي كتبها المفكر اليهودي نعوم تشومسكي لحساب الوكالة الصحفية لصحيفة «نيويورك تايمز»، وتغطي الفترة من عام ٢٠٠٢م إلى عام ٢٠٠٧م.

يضم الكتاب بعض آراء تشومسكي في السياسات الأمريكية، ابتداء من أحداث ١١ سبتمبر، ومروراً بالحرب على العراق، وأحداث فلسطين، والحرب الباردة بين واشنطن وطهران، وأمريكا الجنوبية.

وقد تناول تشومسكي الجدار العازل الإسرائيلي وآثاره السيئة في فلسطين، وذكر أن هذه السياسة أمريكية إسرائيلية، وليست إسرائيلية فقط، للدعم الأمريكي لها.

وعن الشد والجذب بين أمريكا وإيران قال: إن نفوذ إيران في الهلال الشيعي الممتد من إيران إلى حزب الله في لبنان، مروراً بجنوب العراق الشيعي وسورية، يؤرق واشنطن، لوجود موارد النفط في العالم في هذه المناطق التي تسودها الشيعة في الشرق الأوسط.

وربط تشومسكي بين مطاردة أمريكا أسامة بن لادن وإيوائها الإرهابيين المناوئين لكاسترو، وكشف ما بين الموقفين من تناقض.

وأشار المؤلف إلى أن العالم الآن يشهد مواجهة بين ثلاثة مراكز اقتصادية عالمية، هي: الولايات المتحدة، وأوربا، وشمال شرقي آسيا، وتتفوق الولايات المتحدة في الجانب العسكري فقط.

وأوضح تشومسكي أن نصف الكرة الأرضية الغربي من فنزويلا إلى الأرجنتين بدأ يخرج عن نطاق سيطرة أمريكا، لوجود حكومات تمثل يسار الوسط.

ويعد الرئيس الفنزويلي تشافيز لوناً من الاستقلال الذي تراه الولايات المتحدة تحدياً لها، كما كان الحال مع فيدل كاسترو.



بنك الفقراء

نموذج رائد لمحاربة الفقر

نوزاد عبدالرحمن الهيتي

الدوحة-قطر

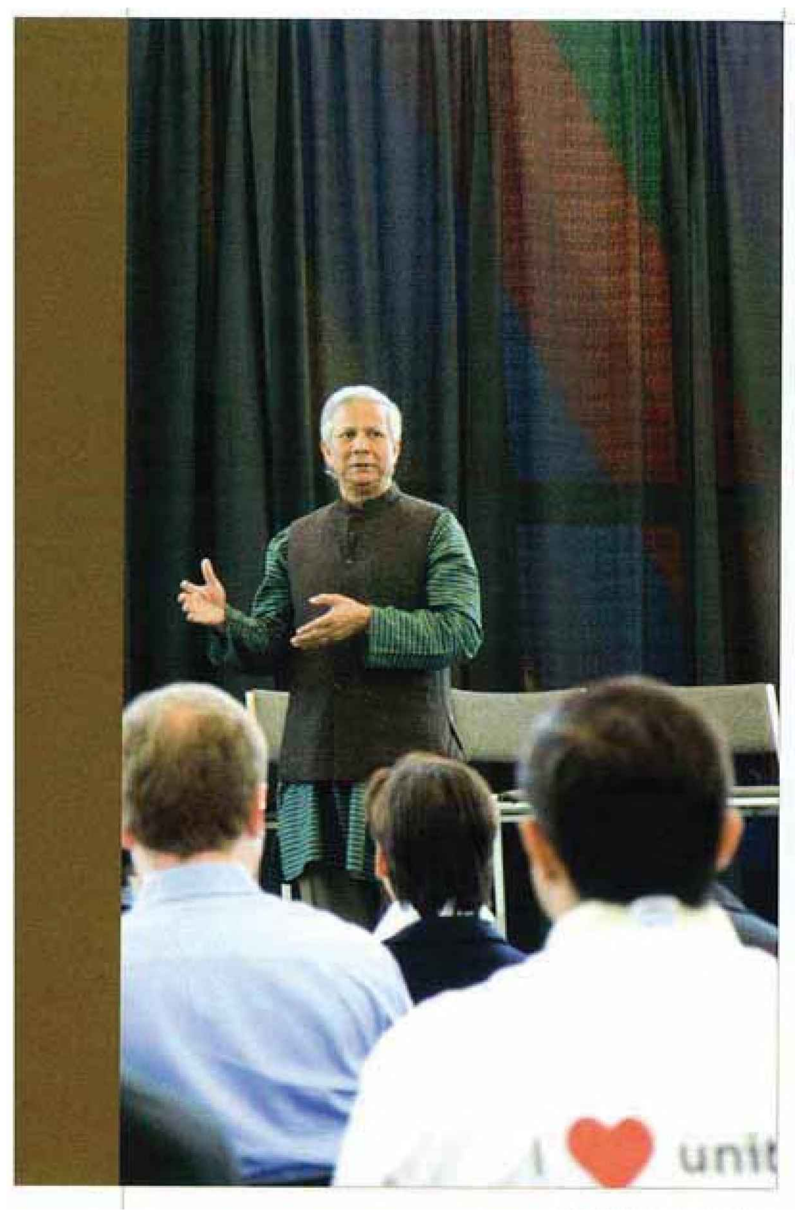
ترجع الخلفية التاريخية لنشأة بنك الفقراء إلى عام ١٩٧٦م، حين قام أستاذ الاقتصاد البنغالي محمد يونس - الذي كان رئيساً للبرامج الاقتصادية الريفية بجامعة شيتاجونج في بنغلاديش - برحلة عمل ميدانية مع طلابه إلى ريف بلاده، حيث قتلت المجاعة في ذلك العام آلاف الأشخاص، فغيرت تلك التجربة حياته، إذ أدرك أن ما يدرسه لطلبته في كلية الاقتصاد لا يحل مشكلات الفقراء، ولا يعود عليهم بالفائدة.

وبدأ عمله الميداني بمشروع البحث عن عمل في قرية جوبري قرب الجامعة، بالاستناد إلى الفرضية التالية: إذا تم تزويد الفقراء برأس مال للعمل لمدد بسيطة وشروط سهلة فيمكن أن يولدوا إنتاجية بتشغيل أنفسهم من دون مساعدة خارجية. وبدأ تنفيذ البحث بنفسه، إذ أعطى امرأة فقيرة قرضاً قدره ٦ دولارات كي تستطيع أن تشتري المواد الخام لصناعة السلال ثم تبيعها، وفوجئ يونس بعد فترة قصيرة بأن المرأة استغلت القرض، وقامت بصناعة السلال وبيعها، واستطاعت أن ترد المبلغ كاملاً، ثم توسع بعد ذلك في تقديم القروض، وكانت النتائج باهرة.

لقد خرج مشروع «البحث عن عمل» الذي قام به البرفيسور يونس وطلابه بجملة من القضايا والموضوعات المهمة، نجملها في الآتي:

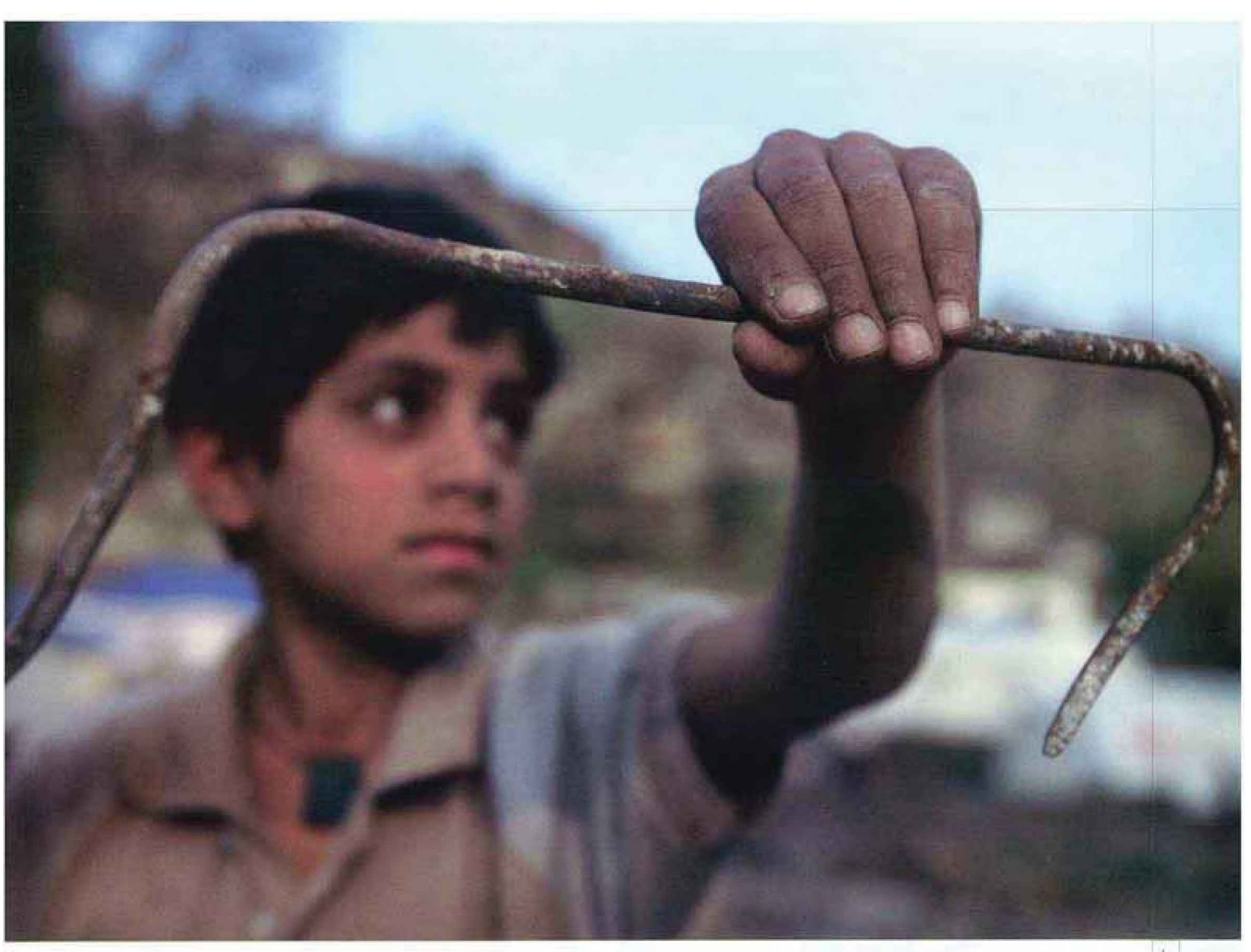
١- توسيع التسهيلات البنكية للفقراء من الرجال والنساء.
٢- إلغاء استغلال المقرضين المال.
٣- خلق فرص العمل الذاتي للموارد البشرية غير المستخدمة، أو التي قيد الاستخدام.
٤- وضع الناس غير المستفيدين ضمن مجموعات في كيان تنظيمي، حيث يمكن أن يفهموا ويعملوا ويستطيعوا إيجاد قوة سياسية اجتماعية واقتصادية من خلال الدعم المتبادل.
٥- معاكسة دورة الحياة الشريرة بالدخل المنخفض والمدخرات القليلة والاستثمارات المنخفضة - إلى نظام واسع بدخل منخفض، وضمان استثمار، ودخل أكثر، وضمان أكثر، واستثمار أكثر، ودخل أكثر [1].

إن نجاح مشروع البحث كان مشجعاً على إقناع الحكومة والبنك المركزي، والحصول على موافقتهم في أكتوبر عام ١٩٨٣م على إنشاء بنك مستقل يملكه الفقراء لخدمة الفقراء،



الدكتور يونس يشرح فكرة البنك

سمي بنك جرامين Grameen Bank (بنك القرية باللغة البنغالية): بهدف توسيع التسهيلات البنكية، وتحسين تزويد فقراء الريف بالسُّلف، وتطور البنك خلال فترة قصيرة حتى بات اليوم يضم ١١٧٦ فرعاً، يعمل فيها جميعاً ١١٧٧٧ موظفاً، لخدمة قرابة مليونين ونصف المليون من العملاء المقترضين من مجموع ٤١١٨٧ قرية، نسبة النساء منهم ٩٥٪، وقد بلغ إجمالي



بنك جرامين من أجل إبعاد الفقر عن الملايين

القروض التي منحها منذ تأسيسه ٧ر٣ مليارات دولار. استفاد منها نحو ٦ر٦ ملايين فرد ، ٩٧٪ منهم من النساء في نحو ٧٠٠ ألف قرية. ويشترط أن يتم سداد القرض بالكامل قبل منح أي قرض جديد، وبلغت نسبة سداد القروض فيه ٩٩٪. وهو مؤشر يدل على نجاح القروض التي يقدمها البنك، والتي استثمرت في أنشطة اقتصادية واجتماعية متنوعة [٢].

وفي أواخر عام ١٩٨٠م تم الشروع في بلورة فكرة إنشاء شبكة يمثلها المقترضون: كي يتسنى لهم السيطرة على الفقر خلال فترة زمنية قصيرة من ناحية، وليساهموا في تحسين أداء الاقتصاد البنغالي من ناحية أخرى. وتفعيلاً لهذا الشبكة، بدأ العمل بمشروعات تنموية صغيرة على مستوى الري وحفر الآبار، والنهوض بقطاع الصيد البحري. وتم التركيز في ذات الوقت في تأهيل بعض القوى العاملة الراغبة في الانضمام إلى مؤسسة جرامين من مختلف دول العالم. واتضح أن إنجاز مشروعات هذه الشبكة وتوسعتها تحت مظلة مؤسسة رئيسة واحدة سيشكل عبئاً ثقيلاً عليها، لذلك تم في عام ١٩٨٩م إنشاء هيئات مستقلة على مستوى كل قطاع، مثل: مؤسسة جرامين للأسماك، ومؤسسة جرامين كريش الخاصة بالري. وغيرهما من القطاعات

النساء هن الأكثر فقراً؛ ومن الحكمة معالجة مشكلة الفقر بتضمين المرأة في برنامج الضمان الصغير

إذا تم تزويد الفقراء برأس مال للعمل لمدد بسيطة وشروط سهلة فيمكن أن يولدوا إنتاجية بتشغيل أنفسهم من دون مساعدة

والأنشطة الأخرى. وكذلك تم وضع برنامج الصحة العالمي تحت مسؤولية جرامين. وقد لوحظ أنه كلما تطورت خدمات المؤسسة ومشروعاتها، اكتسبت المزيد من ثقة الأفراد والمؤسسات المحلية والعالمية، وهذا الأمر منح المؤسسة الثقة بالدخول في أي مجال حتى تقديم خدمات شبكة الإنترنت. وأصبحت المؤسسة بعد ذلك تحمل اسم عائلة جرامين ويعمل تحت لوائها الكفاءات العالية التي تتسم بالسلوك الإداري المتميز، والخلق الرفيع.

وتتمثل الافتراضات الأساسية لطريقة الضمانات الصغيرة لبنك جرامين بالآتي:

١- الضمان للحد من الفقر هو حق إنساني أصلي. كما أن الفقر ذاته ينكر كل حقوق الشخص الإنسانية.

٢- يجب أن يذهب البنك إلى الناس بدلاً من أن يأتي الناس إلى البنك.

٣- يجب أن يصالح برنامج الضمان بالنسبة إلى الفقراء حصراً؛ من أجل الفقراء بآلية تسليم تغطية مناسبة لهم.

٤- الفقر هو أكثر قضايا النساء؛ ومن الحكمة معالجة مشكلة الفقر بتضمين المرأة في برنامج الضمان الصغير.

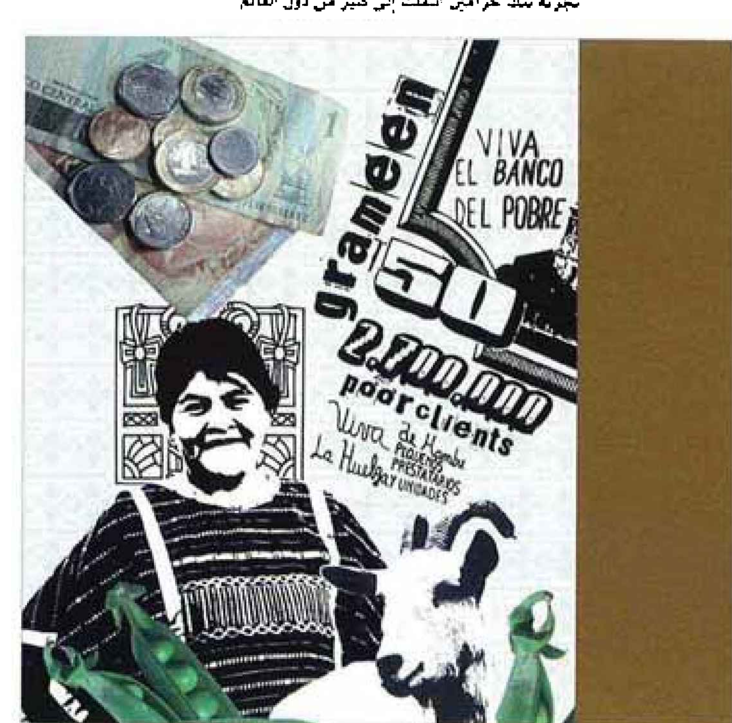
وغني عن البيان أن تجربة بنك جرامين قد انتقلت إلى كثير من الدول النامية، ومنها بعض الدول العربية التي تعاني معدلات عالية للفقر، مثل: مصر والأردن، ولبنان، واليمن، كما تبنى كثير من الجمعيات والمنظمات الأهلية في المنطقة العربية الفكرة، وطورتها بما يتفق مع احتياجات الفقراء في المنطقة، حيث تقرض بعض المنظمات من دون أخذ فائدة.

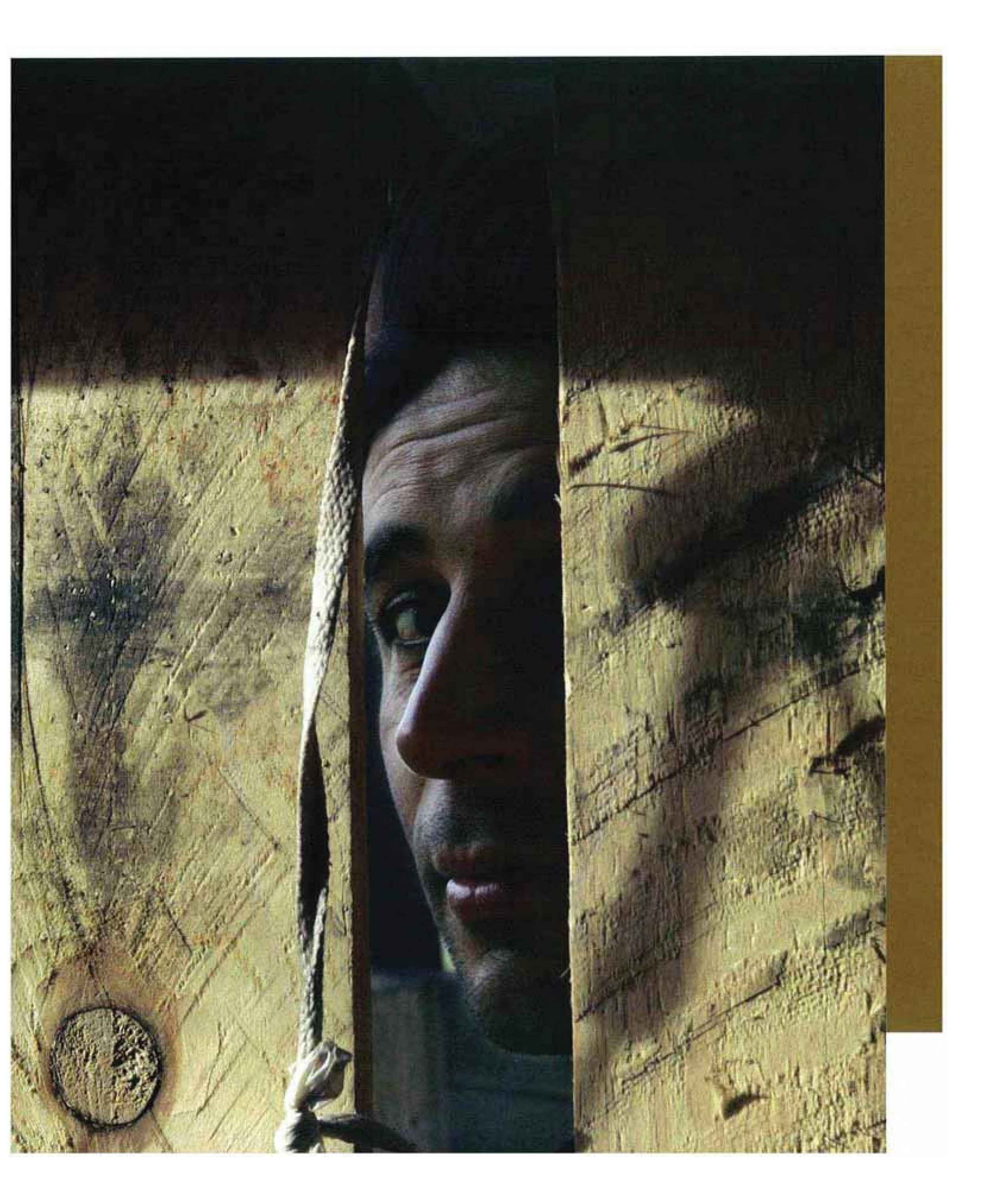
ويخدم بنك جرامين نحو ٦ر١ ملايين مقترض في بنغلاديش، وتأسست مؤسسة جرامين التابعة للبنك عام ١٩٩٧م، وكونت شبكة عالمية ضمت ٥٢ شريكاً في ٢٢ دولة، وقدمت العون لنحو ١١ مليوناً في آسيا وإفريقية والأمريكيتين[٣].

إن سر نجاح فكرة بنك جرامين يعود - في الأساس - إلى الفلسفة الاجتماعية التي ارتكز عليها مؤسسه محمد يونس أكثر مما يعود إلى الرؤية الاقتصادية، أو مجرد فكرة اقتصادية توافرت لها أسباب النجاح، إنها الفلسفة التي قامت على تحرير الإنسان من الفقر المذل بمنحه مالاً في صورة قروض؛ ليدخل به سوق العمل والتجارة، فيكسب عيشه، ويسترد كرامته، ويبتعد عن ساحة الجريمة، وذلك معنى الحرية والسعادة.

لقد حاول مؤسس بنك الفقراء بهذه الفلسفة العملية أن يجعل حق الفرد في الحصول على القروض من الحقوق التي يجب أن تضاف إلى وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كأنه يذكرنا جميعاً بالحرب التي أعلنها ديننا الحنيف (الإسلام) على الفقر، إذ جعل محاربته من أهدافه الخالدة، ألم يستعذ رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الفقر؟ ألم يقل الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»؟.

تجربة بنك جرامين انتقلت إلى كثير من دول العالم





لقد نفذ البروفيسور محمد يونس هذه الرؤية الإسلامية على أرض الواقع في محاربته الفقر في كتابه الشهير: (عالم بلا فقر)، إذ ساهم من خلال إنشائه بنك الفقراء في النهوض بقطاع الحرفيين، وتحسين الوضع المعيشي والاجتماعي للفقراء، وخصوصاً النساء، من خلال تقديم القروض الصغيرة التي تمكّنهم من الحصول على دخل دائم يؤمن لهم الحصول على الخدمات والعيش والأمن [٤].

إن جهود بنك جرامين في بنغلاديش ومؤسسه محمد يونس في إبعاد خطر الفقر عن الملايين هي ما أكسب البنك لقب «بنك الفقراء»، وهي التي دفعت لجنة جائزة نوبل للسلام إلى جعل الجائزة لعام ٢٠٠٦م مناصفة بين محمد يونس والبنك؛ للجهود التي بذلت لخلق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الطبقات الدنيا، وقال رئيس لجنة نوبل: «السلام الدائم لن يتحقق إلا إذا تمكنت جماعات كبيرة من السكان من كسر قيد الفقر، والقروض الصغيرة من الوسائل التي تحقق ذلك، وتنمية القطاعات الدنيا تخدم دفع الديمقراطية وحقوق الإنسان إلى الأمام» [٥].

لقد أثبت محمد يونس للمجتمع الدولي والمؤسسات الدولية - من خلال تأسيسه صيغة بنك جرامين (بنك القرية) التي تطبق الآن في أكثر من أربعين دولة - أن القضاء على البؤس مسألة إرادة، وأنه يجب المزج بين المتطلبات الاقتصادية والأخلاقية.

الهوامش

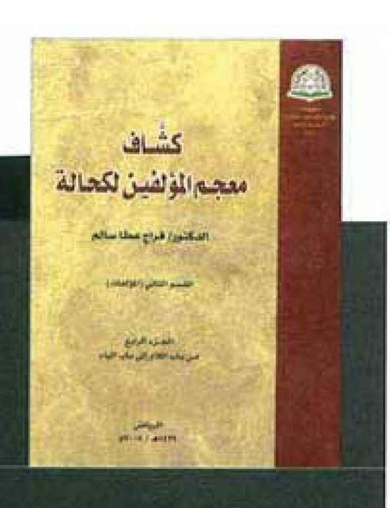
١- نرجهان بيجم، بنك جرامين: خبرات في الضمانات الصغيرة، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الدور التكاملي للمنظمات غير الحكومية والحكومية والدولية في التنمية المستدامة، الدوحة، مارس ٢٠٠٣م، ص ١ - ٣.

٢- للمزيد من التفاصيل انظر: موقع بنك جرامين على شبكة الإنترنت: www.grameenfoundation.org

٣- مازن عبدالرزاق بليلة، بنك الفقراء مقارنة ببنوكنا الفقيرة، جريدة الوطن، العدد (٢٢١٣)، ٢١ أكتوبر ٢٠٠٦م.

٤- للمزيد من التفاصيل انظر: محمد يونس، عالم بلا فقر، ترجمة محمد محمود شهاب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥- للمزيد من التفاصيل انظر الموقع الآتي: www.nobelprize.org



كحالة، محمد رضا / كشاف معجم المؤلفين لكحالة، إعداد: فراج عطا سالم، مج ٣و٤ من القسم الثاني (المؤلفات) .- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢٩١٥ ص.

يحتوي هذا الكشاف على الجزأين الثالث والرابع من القسم الثاني (المؤلفات)، ويشمل الجزء الثالث، الذي يبدأ من باب الشين إلى باب الكاف، ٨٠٢ صفحة، وتحتوي كل صفحة على نحو ٠٢ مؤلفاً. ويبدأ الجزء الرابع، الذي يحتوي على ٤١٧ صفحة، من باب اللام إلى باب الياء، وقد أعقب المؤلف هذا الجزء ببيان المصادر والمراجع التي رجع إليها.

وقد فرغ المؤلف ما في المعجم من مؤلفات ورتبها ترتيباً هجائياً، ونسب كل مؤلَّف إلى كاتبه أو مؤلِّفه، وأورد بعد ذلك تاريخ مولد المؤلف وتاريخ وفاته هجرياً وميلادياً، ثم أعقب ذلك بالإشارة إلى مكان وجود هذا الكتاب أو المؤلف في الأجزاء الخمسة عشر من معجم المؤلفين، إضافة إلى المستدرك الذي أخرجه كحالة بعد المعجم بنحو عشرين سنة، كما أشار إلى تكرار وجود المؤلف في أكثر من موضع في المعجم أو المستدرك إن كان ذلك مكرراً.

وشرح المؤلف في المقدمة الصعوبات التي واجهته في سبيل إخراج هذا العمل الموسوعي المهم، كما تناول أهمية الكشافات عموماً.

ويعكف المؤلف حالياً - بعد موافقة إدارة مكتبة الملك فهد الوطنية - على إصدار القسم الثالث من هذا الكشاف بعنوان كشاف معجم المؤلفين (الأعلام) عن سنوات الوفاة، ويحتوي على ترتيب سنوات الوفاة من قبل الهجرة النبوية الشريفة، والمؤلفين الذين ظهرت لهم مؤلفات فيها، ثم ما بعد الهجرة، على حسب السنوات الهجرية من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر للهجرة، أي وفاة العالم الجليل محمد رضا كحالة، وقد قدر أن يخرج هذا العمل بإذن الله تعالى في أربعة أجزاء.

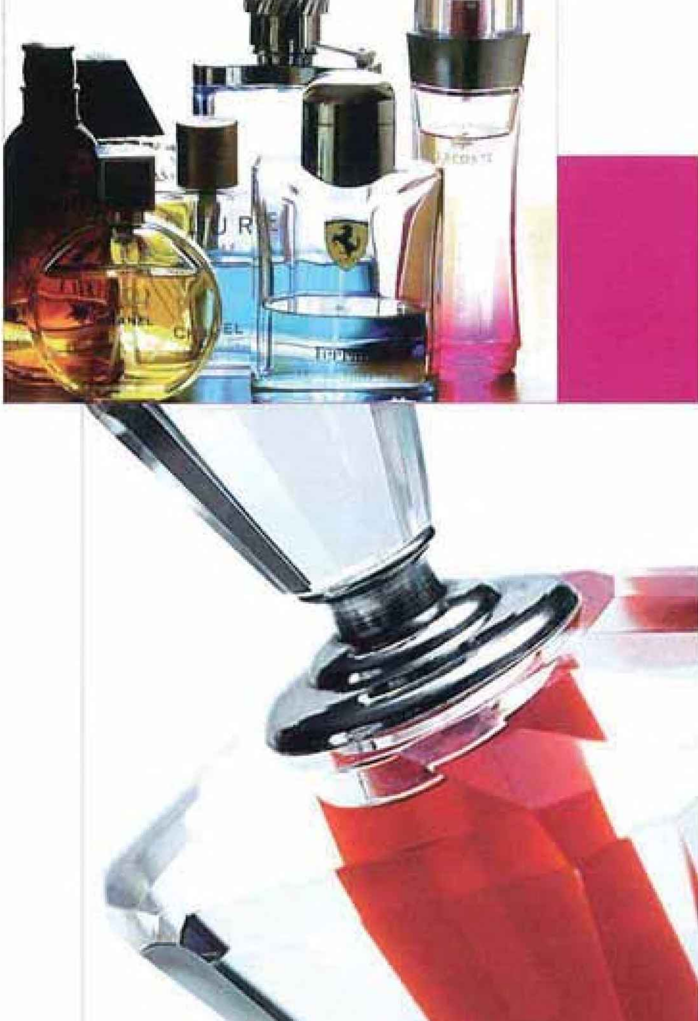
العطور

اقتبس الغرب أسرارها من المسلمين

مجدي إبراهيم
القاهرة - مصر



منذ أقدم العصور، استعان الإنسان بما يتوافر لديه من خامات في صنع معدات للتجميل، ومواد للزينة، فصنع من الأحجار والمعادن حُلياً متعددة الأشكال، كما استخرج من بعض النباتات أصباغاً لتلوين بعض أجزاء بشرته، أو عطوراً تضفي عليه رائحة ذكية.. وقد عرف الإنسان أنواعاً من العطور، كالزيوت والشحوم أو الدهانات العطرية، وتعدّ الأزهارُ والثمارُ ولحاءُ الأشجار وأوراقها من أهم مصادر العطور، إذ كانت تعصر جيداً، وتوضع خلاصتها في محاليل كحولية أو زيوت، ومن أهم الأزهار التي تستخلص منها العطور: البنفسج، والنرجس، والسوسن، والزنبق، والمرسين، والنارنج، والياسمين، والفلّ، وغيرها، في حين تستخلص الدهانات العطرية من بعض أجزاء من الحيوانات، ومن أهمها العنبر والمسك.



ارتبطت بمظاهر الحياة اليومية

ولا نبالغ إذا قلنا: إن صناعة العطور تعدّ واحدة من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان، والتي يقال: إن أول من أرسى أسسها الهنود والصينيون، وذلك لتوافر النباتات العطرية لديهم، وقد استعملت كل شعوب العالم القديم العطور، إذ ارتبطت ببعض مظاهر الحياة اليومية، وطقوس العبادة والمراسم الجنازية لدى كثير من الشعوب، ومازالت بين أيدينا نقوش كثيرة تبيّن صناعة العطور، ومن أمثلتها نقش جداري من إحدى مقابر بني حسن في صعيد مصر، يعود إلى عصر الدولة الوسطى (عام ١٩٠٠ إلى١٨٥٠ق. م)، وتظهر فيها عملية عصر الزهور لاستخلاص المواد العطرية منها، كما يحتفظ متحف اللوفر بباريس بنقش آخر فرعوني يمثّل المنظر نفسه، كما عثر على عطور محفوظة في آنيتها في بعض مقابر الفراعنة، وقد وجدت عطور عثر عليها في مقبرة الملك المصري القديم «توت عنخ آمون» محتفظة بأريجها على الرغم من مرور آلاف السنين على صناعتها.. ونستدل كذلك على جودة صناعة العطور وإتقانها من قصة القائد الفرعوني «سنوحي»، الذي يعبرّ عن سعادته لعودته إلى مصر من الشام حتى يتطيّب بأطيب العطور، وعدّت درجة من مظاهر التكريم، كما جرت العادة عند دفن الموتى أن توضع فوق رؤوسهم أقماع من دهون عطرية تنبعث منها روائح ذكية، وفي العصر الروماني بلغ الحرص على اقتناء العطور أنها كان يخصص لها تجاويف في خواتم الأصابع، وفي القلائد، ومن ذلك ما ورد عن الملكة كليوباترا التي يحتفظ بالعطور في خواتمها وقلائدها، كما اشتهرت بلاد العرب قبل الإسلام بعطورها، حتى قال المؤرخ اليوناني «ديونيزيوس»: إن المرء يشم شذا الطيب فيها في كل مكان، سواء كان البخور أو المر، وكان العطر يرمز لديهم إلى التصالح والتصالح، إذ ورد أنه عندما اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة في دار ابن جُدعان لتصفية خلافاتهم، والاتفاق على مناصرة بعضهم بعضاً، غمسوا أيديهم في وعاء به طيب، وحلفوا يمينهم على ذلك، ولذلك أطلق عليهم لقب المطيّبين.

الطيب في القرآن والسنة

وردت في القرآن الكريم خمسون آية، جاءت فيها مادة «طيب» بمعانيها ومجازاتها المختلفة، مثل: «طيبات»: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ

الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غافر: ٤٦.
و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف: ٣٢ .

«الطيبون»: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ النور: ٦٢ .

«طوبى»: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ الرعد: ٩٢ .

وكذلك الأحاديث الشريفة. مثل: «مثل المؤمن كمثل النخلة أكلت طيباً ووصفت طيباً» (رواه ابن حنبل).

وعن البخاري أنه كان لا يرد الطيب. «وإن الله طيب يحب الطيب. نظيف يحب النظافة. كريم يحب الكرم، وجواد يحب الجود».

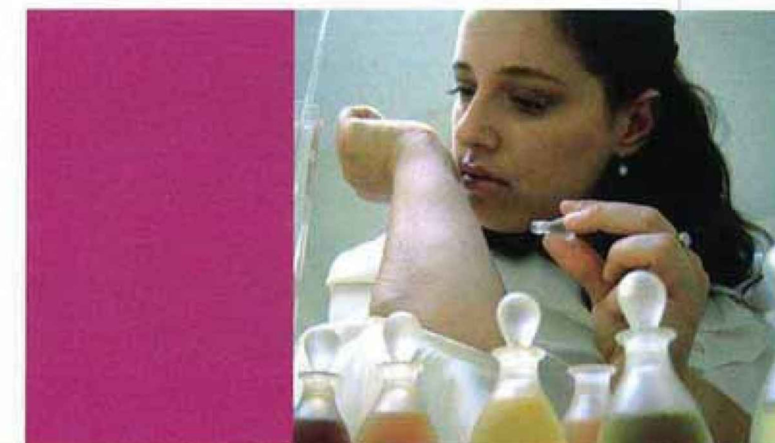
وروي أن عمار بن ياسر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب». وعن عائشة زوج النبي - رضي الله عنها - أنها قالت: «كنت أطيِّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لإحرامه قبل أن يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت».

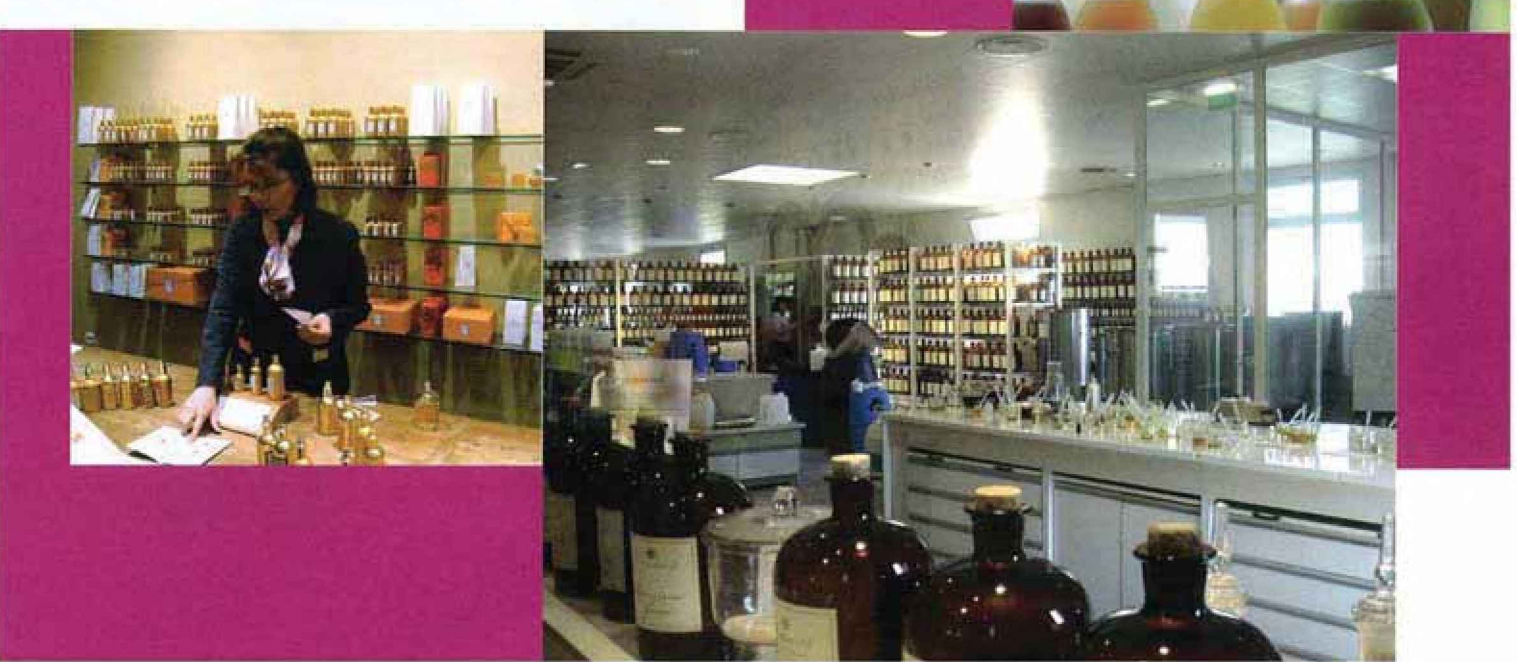
وكان النبي يحث أهل بيته على الإكثار من الطيب واستعماله، حتى أمر أن يجعل في جهاز ابنته فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - عند زواجها بعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في ثيابها، ويصرف من مهرها عليه الثلثان، فقال صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا ثلثين من الطيب وثلثاً من الثياب». وعن الفاروق عمر - رضي الله عنه - قال: «لو كنت تاجراً ما اخترت على الطيب، إن فاتني ربحه لم تفتني ريحه».

وقد وجّه عمر إلى ملك الروم بريداً، فاشترت امرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - طيباً بدينار. وجعلته في قارورتين، وأهدته إلى امرأة ملك الروم، فرجع البريد بملء القارورتين من الجواهر، فدخل عليها عمر وقد صبّته في حجرها، فقال: من أين لك هذا؟ فأخبرته، فقبض عليه وقال: هذا للمسلمين، فقالت: كيف وهو عوض من هديتي، قال: بيني وبينك أبوك، فقال علي: لك منه دينارك، والباقي للمسلمين؛ لأن بريد المسلمين حمله.

ويمكن الاستدلال على ارتباط العصر في العصر الإسلامي بالمناسبات مما ورد من رسوم على التحف التطبيقية أو في تصاوير

العطور صناعة لها أسرارها وخبراؤها





عثر على عطور في مقبرة توت عنخ آمون تحتفظ بأريجها على الرغم من مرور آلاف السنين على صناعتها

المخطوطات الإسلامية، إذ تجد قنينات العطور موضوعة في مجالس الأمراء والسلاطين، وفي مجالس مساجلات الشعراء، ومناظر حلقات ذكر الصوفية، إذ كان أحد الأشخاص يقوم بتعطير بقية الأشخاص، كما كانت العادة أن ترش العطور على المدعوين في الاحتفالات، والمواكب، مثل موكب رؤية هلال شهر رمضان، أو موكب خروج الخليفة أو السلطان لصلاة الجمعة أو العيدين، أو في المواكب، التي تقترن ببعض المناسبات الخاصة، ومن ذلك ما أورده الجبرتي عند وصفه للموكب الذي عمل لنقل التابوت الخشبي المطعم بالأبنوس والصدف، الذي أمر بصنعه الأمير حسين كتخدا عزبان الجلفي ١١٢٤هـ/١٧١٢م، ليوضع في المشهد الحسيني بالقاهرة، بعد أن قام بأعمال إصلاح وتوسيع للمشهد، فلقد وضع التابوت على قفص من جريد، وحمله أربعة رجال تتقدمهم طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم، وبين أيديهم المباخر الفضية، وبخور العود والعنبر، وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس.

كما كان المتَّبع خلال شهر رمضان المبارك صرف أنواع البخور من العود الهندي والكافور لتوقد في المساجد، وكذلك المسك لتطييب المصلين، وقد امتد الأمر لدى المسلمين ليشمل مياه الشرب، فقد حرص المسلمون على تعطير مياه الأسبلة بماء الورد، أو عطر زهر الليمون.

وتدل الإشارات التاريخية على أن عطور الشرق كانت تتميز بجودتها، حتى أعجب الأوربيون بها، وحرصوا على نقلها كهدايا إلى أهلهم وذويهم، وبخاصة في أثناء فترة الحروب الصليبية، إذ حظيت بالتقدير، وهذا الأمر دفع الأوربيون إلى تعرف أسرارها، كما عملوا على تصنيعها في بلادهم، حتى وصلت لديهم هذه الصناعة إلى درجة عالية من الإتقان، حتى أصبح أهل الشرق يحرصون على اقتناء العطور الغربية، وبخاصة الفرنسية منها، وما هي في الحقيقة إلا أحد التأثيرات الشرقية التي انتقلت إلى الغرب ضمن كثير من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التي أخذ الغرب بأسبابها، وكانت أساساً ارتكزت عليه حضارته الحديثة.

العرب وكيمياء العطور

برع العرب والمسلمون الأوائل في علم الكيمياء، ويُعدّ جابر ابن حيان مؤسس علم الكيمياء، وخلّف لنا يعقوب بن إسحق الكندي، والرازي، والبيروني أبحاثاً وكتباً ورسائل كيماوية رائعة، ويعدّ البحث في مجال الكيمياء العربية متعدد الجوانب، غزير الفحوى، عميق المعلومات، خصوصاً أن العرب والمسلمين قد كتبوا في الكيمياء العضوية كتباً كثيرة في هذا المجال، وعدّ ابن النديم في كتابه «الفهرست» أكثر من عشرة كتب في العطور والطيب، فضلاً عن كتب أخرى مذكورة في الفهارس والكتب التراثية.

وتصنف العطور أصنافاً أربعة، هي:

أولاً - العطور الحيوانية: وهي التي يحصل عليها من الحيوان كالمسك، والعنبر، وعددها قليل.

ثانياً - العطور النباتية: هي التي يحصل عليها من النباتات بصورة مباشرة، أو من الزيوت الطبيعية.

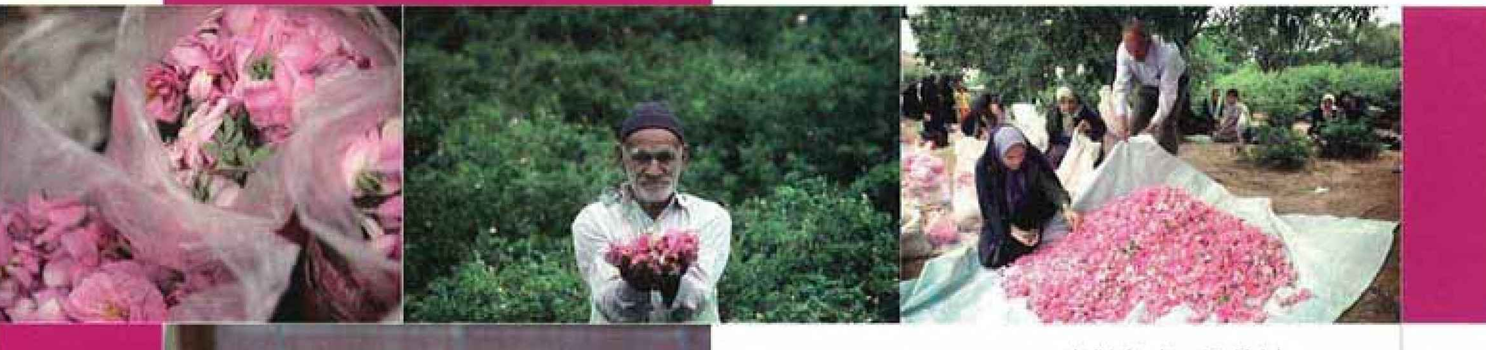
ثالثاً - العطور المركبة: تحضر من مزج عدة مواد عطرية أو خلطها بعضها ببعض.

رابعاً - العطور الصناعية: التي يحضرها الكيميائي في مختبره بطريقة كيماوية، ظهر هذا الصنف من العطور منذ أواسط القرن الثامن عشر للميلاد.

قنينات العطور عبر العصور

ويرتبط بالعصور الأواني التي تحفظ فيها، وأقماع تعبئتها، ومكاييل كيلها، وتعد قنينات العطور في مختلف العصور تحفاً فنية رائعة، وتتخذ شكلاً جمالياً رائعاً يتناسب مع ما يحفظ فيها من عطور.

وقد وصلت إلينا أعداد كبيرة من قنينات العطور وأوانيها ترجع إلى عصور مختلفة، مصنوعة من مواد متنوعة، حتى يجد كل ما يناسبه منها، فمنها قنينات مصنوعة من الالبستر (المرمر)، أو من البلّور الصخري (الكريستال)، ومن الخزف، ومن المعدن،



مراحل كثيرة تمر بها صناعة العطور

وبخاصة النحاس، ولكن أكثر المواد استعمالاً في صنع قنينات العطور هو الزجاج، وقد مرّت قنينات العطور بمراحل من التطور، وكان لها في كل منها شكل مختلف يتفق والغرض الذي صنعت من أجله، ويعبّر عن الأفكار والمعتقدات السائدة.

كانت قنينات العطور الفرعونية تشكّل على هيئة الإله «بس»، بوصفه إله المرح المنزلي عند قدماء المصريين. تنوعت في العصر الروماني أشكال قنينات العطور، التي استمرت خلال مدة طويلة من العصر الإسلامي تشكّل على الشكل نفسه، إضافة إلى ما استحدثه المسلمون من أشكال جديدة للقنينات. وتزخر المتاحف العالمية بأعداد كثيرة لقنينات العطور التي ترجع إلى العصر الإسلامي، تتميز بتنوعها، سواء من حيث المادة المصنوعة منها، أو في شكلها العام، أو في طرز زخرفتها.. وتوجد قنينات من الزجاج على شكل طيور، أو حيوانات، أو أسماك، كما توجد قنينات من الزجاج كروية منتفخة، ولها رقبة قصيرة، وقاعدة مسطحة، حيث يسهل وضعها، أو أن يكون لها قاعدة من تشكيلها نفسه، ولها ثلاث أرجل بارزة أو أربع.

ومنذ القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، انتشر نوع من القنينات ذات بدن منتفخ ،وتثبت على حامل على شكل حيوان. كما وجدت قنينات ذات بدن مبطط مستدير ورقبة صغيرة، وكانت مثل هذه القنينات تعد لكي يحملها الرجال والنساء معهم؛ إذ كانت توضع بين طيات العمامة أو حزام الوسط.

وشاع في العصر الإسلامي أوان من الخزف أو المعدن ذات بدن كروي ورقبة طويلة تضيق كلما ارتفعت نحو الفوهة، وكانت مثل هذه الأواني تستخدم في الاحتفالات والمواكب إذ يتولى بعض الأشخاص رشّ العطور، فتساعد هذه الرقبة الطويلة الضيقة على تنظيم نزول العطر، كما تساعد على نثر العطر لمسافة أطول لتشمل عدداً أكبر من الناس.

ولم تقتصر مظاهر الجمال في أواني العطور على شكلها العام - بل كان يهتم بزخرفتها بالزخارف المتنوعة؛ مما أضفى عليها مزيداً من جمال المنظر. ومنها زخارف كانت تنفّذ عن طريق النفخ في القالب؛ حيث تؤخذ قطعة من الزجاج الساخن وتنفخ بالأنبوب في داخل قالب خشبي، أو معدني مكوّن من قطعتين، تشتمل جدرانه الداخلية على زخارف متنوعة. فإذا ما تم نفخ قطعة الزجاج الساخنة، أخذت جدرانها الخارجية شكل الزخارف المنقوشة في داخل القالب، كما زخرفت بطريقة الختم، وهي عبارة عن زخارف تنقش على ختم من المعدن، أو الخشب، ويضغط به على سطح الزجاج قبل أن يتجمد تماماً.. وقد تنوعت الزخارف المنفذة بطريقة الختم: فمنها أختام تشتمل على أشكال طيور أو حيوانات، أو زخارف هندسية ونباتية، أو شارات (رنوك) تدل على وظائف الأشخاص الذين عملت لهم، إذ كان لكل وظيفة من الوظائف المهمة في الدولة شارة تدل عليها. وكانت توجد بعض قنينات عطور مصنوعة

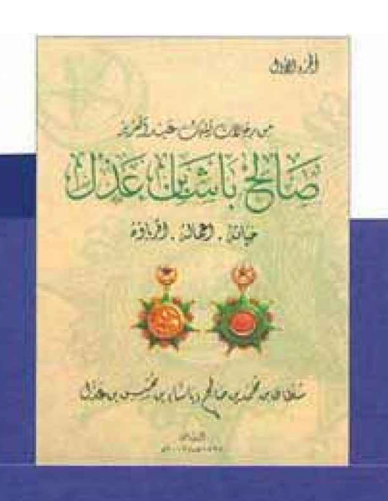
من زجاج سميك، وفي هذه الحالة تزخرف بطريقة النحت أو الحز أو التقطيع، ويتم ذلك بعمل زخارف بواسطة آلة حادة بعد أن يبرد الزجاج. كما استخدم أسلوب الخيوط الزجاجية المضافة، التي يختلف لونها عن لون الإناء، إذ يتم سحبه على الجدار الخارجي لبدن القنينة ورقبتها بشكل زخارف بارزة. وقد يضغط في جسم الإناء مكوناً زخرفة على هيئة خطوط دائرية أو متكسرة (زجزاجية) بطريقة منتظمة.

ومن أساليب زخرفة أواني العطور الزخرفة بمادة البريق المعدني، أو التمويه بمادة المينا.. هذا بالنسبة إلى الأواني الزجاجية. أما بالنسبة إلى الأواني المصنوعة من البللور الصخري (الكريستال) فقد كانت ترصع بالأحجار الكريمة، ومن أجمل أمثلتها مِعْطَرة محفوظة في متحف طوب قابي سراي بإسطنبول تعود إلى القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي - ومحفور عليها اسم السلطان المملوكي حسن بن السلطان محمد بن قلاوون.

وكما تهاجر أنواع من النباتات والطيور، تهاجر العطور بين القارات. وأشهر أنواع الزهور المهاجرة هي «الفانيلا» أو زهرة الأوركيدا التي تحمل اسم «الوعاء الأسود» بين السكان الأصليين في تاهيتي، وأول من أعطاها هذا الاسم هو إمبراطور الأزتيك «مونتيزوما» الذي أمر بإضافتها إلى الشيكولاتة لتقديمها إلى الفاتح الإسباني كورتيز في أطباق من الذهب. وكان انتشار هذه الزهرة في أوربا والعالم سريعاً، وهي تدخل إلى المطابخ والمطاعم أكثر مما تدخل إلى محلات بيع الزهور.

هذه وقفة سريعة تعرّفنا خلالها قصة العطور وحكاياتها، وإن كان قد خبا عنا شذاها فقد تبقّى لنا من قنيناتها تراث فنيّ بديع، يدل على رقة الصنعة، وجمال الزخرف، ويعبّر عن ميل الإنسان إلى التزين والتجمل منذ أقدم العصور.

تزخر المتاحف العالمية بأعداد كثيرة لقنينات العطور التي ترجع إلى العصر الإسلامي، تتميز بتنوعها، سواء من حيث المادة المصنوعة منها، أو في شكلها العام



العذل، سلطان بن محمد بن صالح/ من رجالات الملك عبدالعزيز، صالح باشا بن عذل: حياته، أعماله، أقرباؤه.- الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٢مج (١٧٣٣ص).

يعرف هذا الكتاب بـ :صالح «باشا» بن محسن بن عذل وأقربائه، وتفاصيل حياته، والبيئة التي عاش فيها، ودور أسرة العذل في المجتمع السعودي. ويتألف الكتاب من ثمانية أبواب في جزأين، يتضمن الباب الأول تعريفاً بالمصطلحات والمختصرات الواردة في هذا الكتاب،. إضافة إلى معلومات مهمة عن قبيلة العُجمان ومحافظة الرّس. وفي الباب الثاني تسلسل كل فرد بدءاً من جاسر «المعروف بالعميل» حتى الوقت الحاضر، مُبينين حسب الأجيال التي ينتمون إليها. وفي الباب الثالث أسماء بعض الأحياء من أفراد العائلة مُرتبين حسب تواريخ ميلادهم. ويشتمل الباب الرابع على تقرير متكامل مفصل لنسب كل فرد من أسلاف صالح «باشا»، وأحفاده، وأقربائه. وفي الباب الخامس صمّمت شجرة نسب توضح العلاقة بين أسلاف صالح «باشا»، وأحفاده، وأقربائه. ويحوي الباب السادس تقويماً زمنياً لأفراد العائلة، متضمناً أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في زمن كل فرد. وفي الباب السابع جمعت المصادر التاريخية المستخدمة في هذا الكتاب، ورتبت حسب تسلسلها الزمني. أما الباب الثامن والأخير ففيه ثَبت «ألبوم» فوتوغرافي لبعض أفراد الأسرة.

وهدف المؤلف من هذا الكتاب إعطاء فكرة عن مهمة العائلات السعودية، وطبيعة تكوينها، والعلاقة بين أفراد العائلة الواحدة، وعلاقة العائلة بالمجتمع. إذ يحوي الكتاب تصوراً مختصراً عن مدى تشابه العائلات السعودية أو اختلافها عن العائلات في مختلف أنحاء العالم. قدّم للكتاب صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.





إلى الراحل العظيم الملك «فيصل» في ذكراه

حيدر الغدير

الرياض - السعودية

كان الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - أمة في رجل. ظهرت شخصيته الفذة في ظروف صعبة محلياً وإقليمياً وعربياً وإسلامياً ودولياً. وكان للدعوات الضالة من اشتراكية وقومية وبعثية وناصرية وعلمانية ويسارية بريق خلاب، وكانت لها انتصارات مزعومة تخدع السذج فتحملهم على تبنيها؛ وهذه كارثة.

أما الكارثة الأخرى فهي أن هذه الانتصارات المزعومة كانت بمنزلة الغطاء الذي يُخفي عن الناس التخريب المريع الذي تفعله هذه الدعوات الضالة: فيمر دون أن يفطن إليه أكثر الناس الذين تشغلهم الأوهام عن الحقائق، والصورة عن المضمون، والشعار عن الفعل.

وثمة كارثة ثالثة تتصل بهاتين الكارثتين، وهي أن هذه الدعوات الضالة كانت ترفع شعارات حميدة يحبها كل مسلم، وكل عربي، وكل غيور على دينه وأمته وبلاده، ومنها دعاوى دحر الصهاينة، ومقاومة الاستعمار، واستكمال التحرير، وبناء الوحدة، وإعادة المجد، وتحقيق المساواة، وإقامة العدل، وتعمير الوطن، ونشر العلم، ومحاربة الجهل، وإنصاف الفقراء، وتكافؤ الفرص، وغير ذلك. فإذا جئت إلى التطبيق العملي وجدت تجاهلاً لهذه الشعارات، أو تهميشاً لها، أو محاربة لها، وتكون النتيجة مرعبة حين يصحو الناس من أحلامهم على مطارق الحقيقة: فيستبدّ بهم يأس مرير، وينصرفون عن المبادئ النبيلة، والهموم العامة، وتفشو بينهم جراثيم الأثرة والفردية والسلبية والتشاؤم، وربما توهموا أن أعداءهم أرحم بهم من حكامهم، وربما تمنى بعضهم عودة الاستعمار، أو ترحّم عليه؛ لأنه وجد الحكم الوطني الذي تلاه أسوأ منه، وهو ما يمكن تسميته «الاستعمار الطوعي»، وهو شر أنواع الاستعمار.

وفي مثل هذه الأحوال يصبح الحكم الوطني الذي يظلم ذويه كالحكم الأجنبي سواء بسواء، فهو نوع من الاستعمار يمارسه أبناء الوطن في حق بعضهم. وقد أبدع الشاعر اليمني عبدالله البردوني - رحمه الله - في تصوير هذا الحال حين يقول في بيت ساخر موجع يصف فيه معاناة الناس من حكامهم الوطنيين الذين حكموا البلاد بعد رحيل الاستعمار:

فمن مستعمر غازٍ ... إلى مستعمرٍ وطني

والدرس الأكبر الذي يمكن استخلاصه هنا هو أن العمل السياسي والاجتماعي والعسكري والإصلاحي والثقافي -

عندنا نحن المسلمين - ينبغي أن ينطلق من دين الأمة، ويحترم ثوابتها، ويصون هويتها، ويقوده المؤمنون الشرفاء الأسوياء، وإلا كان مغامرة خطيرة تعود علينا بأفدح الأضرار، وتجارب الأمة - خصوصاً في القرن الماضي - أقوى دليل على ذلك.

أعلنت هذه الدعوات الضالة التي كانت شائعة آنذاك، والتي مكنت لها قوى داخلية وإقليمية وعالمية، الحرب على الإسلام والعروبة والفضيلة والاستقرار، وألصقت بمخالفيها عامة ودعاة الحل الإسلامي خاصة أسوأ التهم، وحرّضت عليهم العامة والدهماء وأهل الأهواء، فكان من المألوف أن يوصف الواحد منهم بأنه عميل ومأجور، أو رجعي جامد، أو خائن للأمة، أو معاد للتقدم.

وأوقدت هذه الدعوات نار الفتن والصراع الطبقي داخل المجتمع الواحد، ونار الفتن والتخريب بين المجتمعات المتجاورة والمتباعدة، وأفسدت على الناس دينهم ودنياهم، وأدخلتهم في مغامرات حمقاء، وحروب دامية، ومشروعات وهمية.

وحين صحا الناس من خُمار هذه الدعوات وحصادها المر كان التخريب قد بلغ مداه في شتى الميادين، ومنه سقوط القدس بين أيدي اليهود عام ١٩٦٧م.

هذا هو المناخ الذي واجهه الملك فيصل - رحمه الله - فقابله بالصبر والعزيمة والإيمان والنظر البعيد، وأدرك نجاحاً كبيراً برز أكثر ما برز في تبني الحل الإسلامي، والتصدي للدعوات الضالة ومحاصرتها، والتصدي للطغيان الصهيوني، وحشد جهود العرب والمسلمين ضده، ويشهد له الجميع بأنه كان من أبرز صانعي نصر رمضان سنة ١٣٩٣هـ/ عام ١٩٧٣م.

وظل فيصل يعمل لقضايا المسلمين عامة، ولقضية فلسطين والقدس خاصة، حتى شرَّفه الله بالشهادة التي تمناها؛ فكان بحق «شهيد القدس» بإذن الله.

بدأ الفيصل ملكاً للمملكة العربية السعودية، وانتهى - رحمه الله - ملكاً على أفئدة المسلمين أجمعين، رحل عن الدنيا بعد أن صار من أبرز رجال عصره، وممن وضعوا على عصرهم بصمات باقية، وتركوا ذكراً أطيب من الطيب، وما عند الله



خير وأبقى.

إليك أيها الفيصل العظيم هذه القصيدة التي أرجو أن تفي بحقك على عشاق الريادة والإصلاح وأنت منهم، وعلى محبيك وأنا منهم.

وعذراً على التأخير، فللشعر أحوال وأحكام، وإذا كانت هذه القصيدة قد تأخرت أكثر من ربع قرن - وهو مدى طويل يمثل المسافة بين استشهادك وظهورها - فلقد ظلت طوال هذه الفترة ساكنة في أعماقي حتى ظهرت الآن دفعة واحدة.

أجدّ فيه قوافيك امتداحا — وصفْها كالسَّنا لاحتْ ولاحا

وأطلقْها شواردَ سائرات — غوالي تملأ الدنيا صُداحا

تسير بها الشفاه بكل فجّ — زَئيراً أو هَديلاً أو صُباحا

أدرْها من فنون المُزن أصفى — بواسم لا ترى فيها كلاحا

وأنشدْها وأسمعْها البرايا — وضيئات نقيات صباحا

ليمسن مع الوضاءة ثوبَ طُهر — فجئن سواحراً زهراً ملاحا

وتزداد المحاسن حين تُكسى — ذكاءً أو عفافاً أو سماحا

وقلْ في فيصلٍ غُرّ القوافي — وفاءً قد أرادت لا امتناحا

فإن الشعر يعشق من تسامَوا — ونالوا ذروة الدنيا طماحا

وكانوا للمبادئ غاليات — جُذاها والأسنة والصفاحا

وزانتهم وزانوها وكانوا — لها هضماً أبت إلا الجماحا

وفيصل في ذؤابتهم مُجلٌّ — ولا تعجب فقد عشق الكفاحا

وغالي المجد والقمم العوالي — وقد كانت لوثبته المراحا

فسلْ عنه ذراها فهي أدرى — به مذ نال أوعرها وصاحا

بغُرّ قد أضلتهم دعاوى — زوائفُ كنّ مثل الجُرح قاحا

أحبّوا زيفها فأتوه طوعاً — وقد ظنوه من سفه فلاحا

فردّ ضلالها وطوى أذاها — وعرّاها وفي الشمس افتضاحا

وأدماها وأرجعها خزايا — كسيرات حسيرات قباحا

❖❖❖

سألت الشمس والتاريخ عنه — فقالا إنه الأعلى جناحا

سنذكر ما حيينا يوم نادى — إليّ إليّ وامتشق السلاحا

وخاض الحتف هولاً إثر هول — وأدماه اعتسافاً واجتياحا

وشاد لأمة الإسلام مجداً — جليلاً يملأ الأفق البراحا

إذا ذكرته جدّ لها سرورٌ — كما تُسقي المشوقَ الحبُّ راحا

وقا[illegible] الآمال جذلى — تزيد على وسامتها اتضاحا



فطِرْنَ به وكُنَّ له بساطاً ... وطار بها على الدنيا وراحا

فجاد وساد واقتاد الثرايا ... ونال ذرا الشهادة واستراحا

❖❖❖ ❖❖❖

أغرُّ وفيه أخلاقٌ حِسانٌ ... وعقلٌ جلَّ عُمْقاً واقتراحا

وفيه من شمائله صَباحٌ ... يكون على ملامحه صَباحا

ترى للصمت إيثاراً لديه ... وللأعمال ألسنةً فِصاحا

وإنْ أعيا دُهاةَ الناس أمرٌ ... رأيت له استباقاً وانقداحا

كأنّ ببرده «غفراً»[1] مجيلاً ... رؤاه الغُرُّ عاليةً صحاحا

و«صقر قريش»[2] في حزمٍ عنيد ... إذا اتّقدت عزيمته أشاحا

عن الأخطار والأخطار ظمأى ... فيسقيها الصوارمَ والرماحا

ويُسْرِجُ صبرَهُ في الهول خيلاً ... تجوز به المفاوزَ والبطاحا

وتقتحم الغواشي وهي حُبْلى ... بأرزاء وتستبق الرياحا

وتدرك قمة المجد المُدنّى ... غصوناً أو أبيّاً أو مُتاحا

❖❖❖ ❖❖❖

شهيد القدس إن القدس عِرْضٌ ... ستحميها كتائبنا زِداحا

سنُزْجيها وإن كرهت يهودٌ ... ونجعلهم غُثاءً ولا جُناحا

ونذكر كيف كنت بها حفيّاً ... وكيف غدت لك العِبْء الرُّزاحا

وكيف هتفت إن القدس عهدٌ ... ونحن لها الفداءُ ولا براحا

أموت لأجلها وأنا سعيدٌ ... ولا أرضى حماها مُستباحا

مُناي وليس لي إلا بقايا ... من الأيام تنزاح انزياحا

أصلّي ركعتين على ثراها ... محررة عليها البِشْرُ فاحا

أمامي الهول أبحره نُيوباً ... وأبحره احتشاداً واكتساحا

وأهتف والأماني والمنايا ... تنادمني غبوقاً واصطباحا

«وإيّا كنت يا طرقي فكوني ... أذاةً أو نجاةً أو نجاحا»

سأقطعها وبحميني يقين ... أجلُّ من الذرا وأعزُّ ساحا

وجــدتُ بــه الملاذَ فكان حِصْني   وفي الـغَـمَـرات كـان لِيَ السلاحا

وكـان أعَـزُّ أصحابي وجندي   ومـا كـانـوا الأذلـةَ والشِّحاحا

ولـكـنْ شممت إيمانـاً وأمـنـاً   وأصـفـاني مَـوَدَّتَـه قَـراحا

حبـاني مـن جـداه مـا حباني   فـكـنْ ذخـيرتي لما تلاحى

عُـداتي كـيـف يـؤذوني وكادوا   وصـرَّح حِـقْـدُهـم والشـرُّ تاحا

فـمـا أطبقتُ مـن خـوف جُفوني   ولم أكُ مَـنْ تلبَّث واستماحا

لأنَّ وعـيـدَهُـمْ قـد كـان عندي   نَـقِيْـقـاً أو غُـثـاءً أو نُباحا

وغُـرُّ مُناي أن أمضي شهيداً   فـقـد عاينت في موتي الرَّباحا

◆◆◆

شـهـيـدَ الـقـدسِ إنَّ القدسَ كانتْ   وتـبـقـى في ضـمـائـرنـا جِراحا

تـنـاديـنـا ونـحـن لـهـا صداها   نُجيل لـهـا الأسِـنَّـةَ لا القِداحا

نـكـون لـهـا الـوِقـاء ونـفـتـديها   ونـرخـص دونـهـا هـامـاً وراحا

غـداً تـنـبـيـك وَهْـيَ الـنُّـصْـرُ نَضْراً   بـأن الـغـدرَ مَـرَّ بِـهـا وزاحا

أقـام عـلـى ثـراهـا بـعـض يـوم   غـريـب الـوجـه والـيـد، ثـم طاحا

وكـان حـكـايـةً بَـتْـراءَ تُـروى   كـأنْ مَـرَّ في الـقَـيْـظ الـتـماحا

◆◆◆

شـهـيـدَ الـقـدس في غـدنـا أذان   عـزيـزٌ يـمـلأ الـمـداحَ الفِساحا

يـردده عـلـى الأقـصـى بِـلالٌ   مَـهـيـبَ الـوقـع يـنـداح انـدياحا

نـلاقـيـه هُـدًى ونـراه شُـهْـداً   ويـلـقـاه الـيـهـودُ أذًى بَـراحا

ويـغـدو في مـسـامـعـنـا صُـداحاً   ويـغـدو في مـسـامـعـهم نُـواحا

◆◆◆

سـألـت عـن الـيـهـود الشـمـس يوماً   ومـا ظـلـمـاً أردت ولا مُـزاحا

ألا يـا أمُّ مَـنْ كـانـوا أجيبي   وهـل كـانـوا هُـدًى سَـمْـحاً لِـيَاحا

فـقـالـت سـاعـة ثـم اسـتـطاروا   إلى الـكـفـر الـذي ألِـفـوا بَـواحا

وكـانـوا نـبـتـةً سُـقِـيَـتْ بـإثـم   فـجـاؤوا مـثـلـهـا إثـمـاً وقـاحا



ونقضاً للعهود ولا خباءً ... وغرضاً شامَ في القهر ارتياحا
ودولتُهم على شرٍّ تربَّت ... وفيه نمت وأدمنت السفاحا
فكانت مثلَ أستير مساءً ... وكانت مثلَ راحيلٍ صباحا
ستفنى في غدٍ فالزيفُ شؤمٌ ... أضاف إلى دمامته الطلاحا

❖❖❖

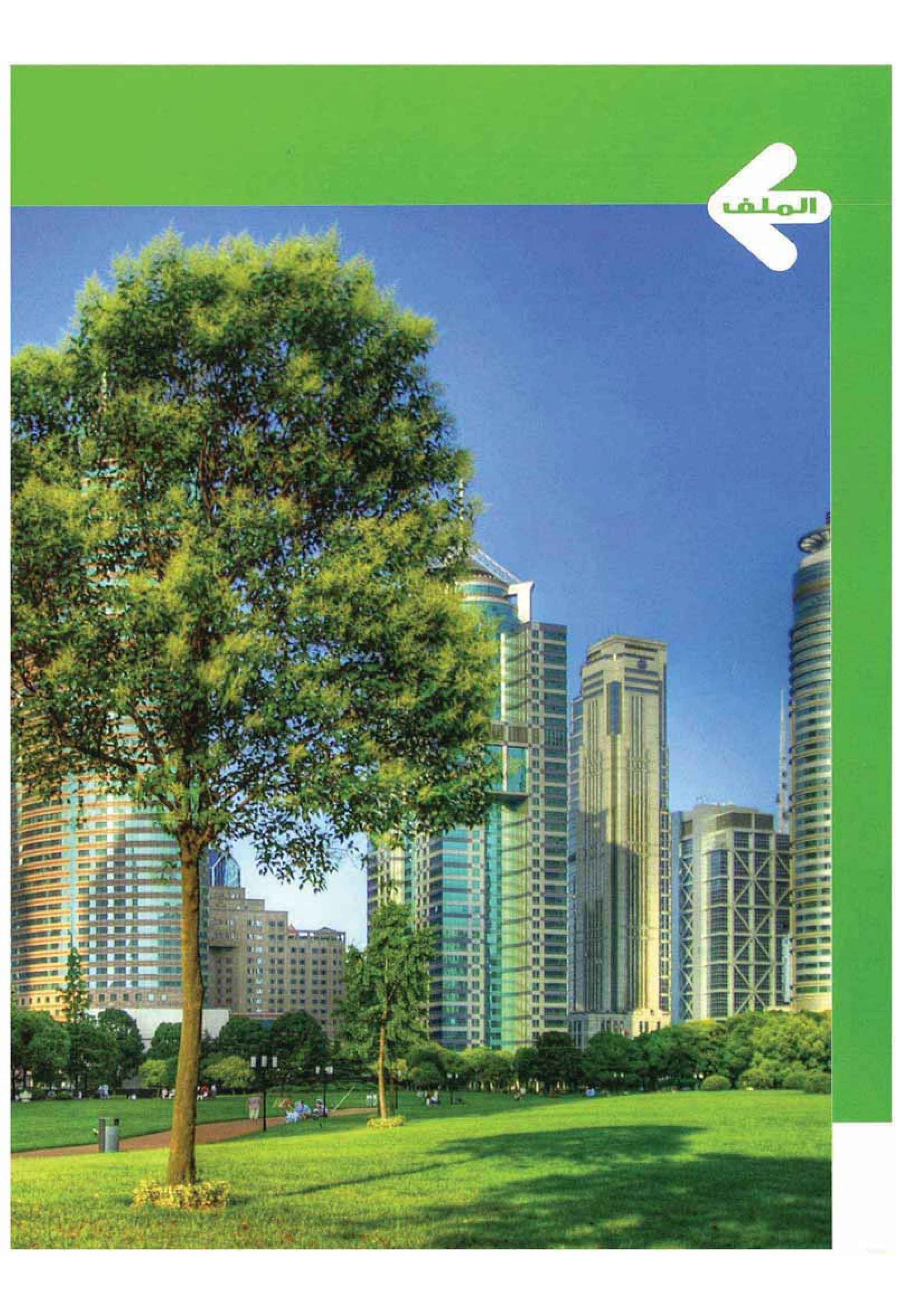
شهيدَ القدسِ موعدُنا صباحٌ ... وضيءٌ كالربيع غداةَ فاحا
نُخبِّرُ فيه ما شادت يهودٌ ... وما أخفاه كاهنُهم وباحا
ونقرأ سورةَ الإسراء[3] شكراً ... فقد كانت لنا وعداً صُراحا
ونهتفُ في الدنى إنا ظفرنا ... بيومٍ عزَّ نصراً وافتتاحا
لنا للقدسِ للثاراتِ جرحى ... لخيلِ الله قد صهلت مراحا

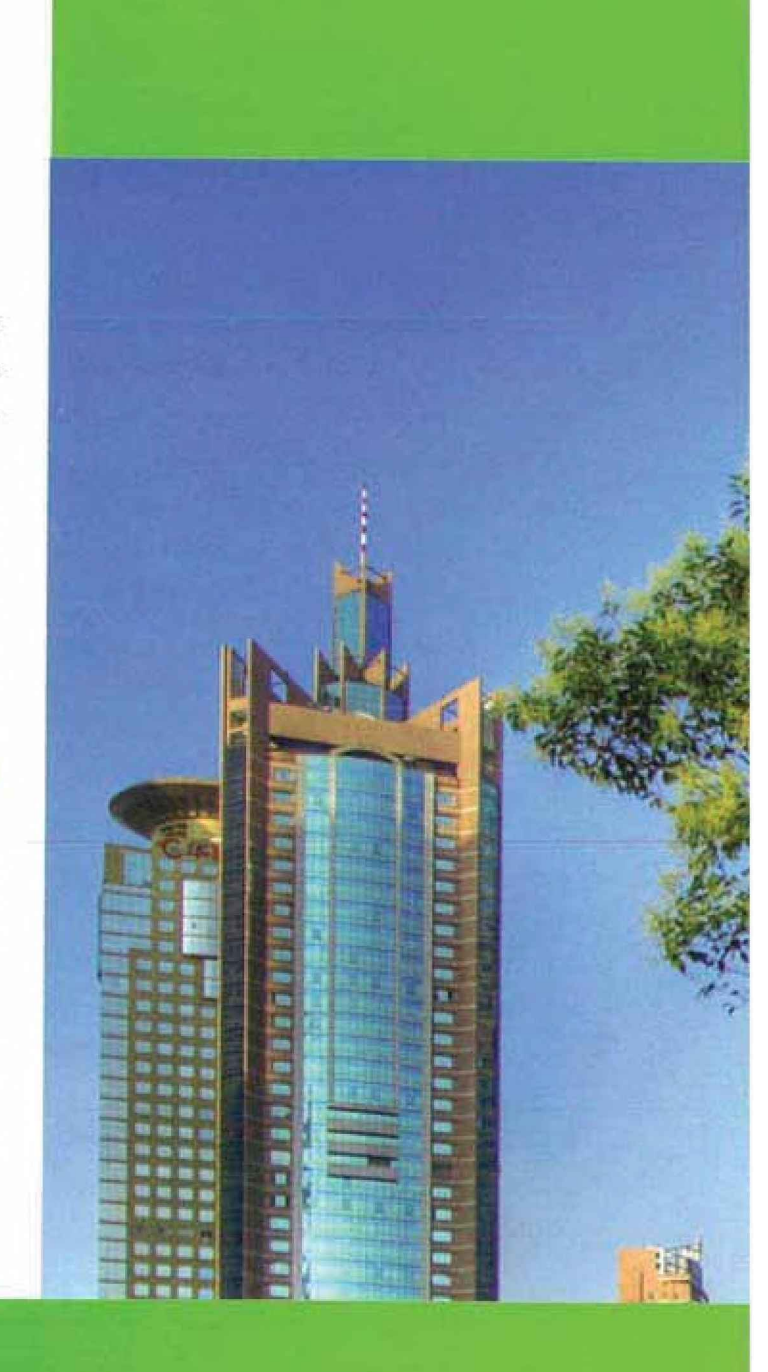
❖❖❖

ونلقى الفاتحَ الفاروقَ[4] فيه ... يعانقُ في بشاشته صلاحا[5]
وحولهما هُمامٌ[6] جاء يُهدي ... مع النصرِ الخزامى والأقاحا
فيا للثلاثة كانوا سيوفاً ... وكانوا في حُلى النصرِ الوشاحا
وأغلى النصرِ نصرٌ لم يشِنه ... ذووه فجاء ممتلئاً صلاحا
فكان وسامةً كُسيت جلالاً ... وكان مهابةً كُسيت سماحا

الهوامش

(١) الصحابي العظيم الداهية عمرو بن العاص.
(٢) الأمير عبدالرحمن الداخل باني الدولة الأموية في الأندلس بعد سقوطها في المشرق.
(٣) في أوائل سورة الإسراء وعد صريح بأن للمؤمنين نصراً حاسماً على علو اليهود وطغيانهم.
(٤) الخليفة الراشد عمر بن الخطاب محرر القدس الأول من الرومان.
(٥) السلطان صلاح الدين الأيوبي محرر القدس الثاني من الصليبيين.
(٦) هو الرجل الذي يعده قدر الله الغالب ليكون محرر القدس الثالث من اليهود.


الملف



شانغهاي
المدينة الساحرة

مختار تساي وي ليانغ

شانغهاي - الصين

هذه المدينة ذات ميزة خاصة، فصدرها كالبحر يستطيع أن يستقبل الأنهار الجارية كافة، ويصعب على الزائر نسيانها؛ لأن فيها وفرة من حكايات التاريخ، وهي لا تكتفي بذلك، فهي تعيش عصرها، وتلفت أنظار العالم كله، إنها شانغهاي الصينية.

تقع شانغهاي في وسط السواحل الذهبية، حيث ينبع نهر اليانغتسي الذي يبلغ طوله أكثر من ستة آلاف كيلو متر، وهي باب الصين الشرقي الذي يوصلها بالخارج، وعن طريقها يتحقق التلاقي بين الحضارتين الصينية والغربية، وبفضل هذا اللقاء الحضاري تتكون في هذه المدينة ثقافة شانغهاي الخاصة التي تتمتع بالجاذبية الساحرة لكل الناس من داخل الصين وخارجها.

إيقاع الحياة

في عام ٢٠٠٢م تحرك في شنغهاي أول قطار مغناطيسي معلق في العالم، ويمكن لمن يركب هذا القطار الذي تبلغ سرعته ٤٣٠ كيلو متراً في الساعة أن يحس بارتفاع سرعة تطور هذه المدينة الحديثة، فيجد أن كل مكان تفوح منه صرعة وحداثة.

إن كثرة عدد السكان، وسعة الأطراف، والتطور المتسارع للاقتصاد كلها عوامل تسهم في سرعة إيقاع الحياة، وكثرة تدفق الناس، مما يتطلب إيجاد نوع جديد من وسائل المواصلات يواكب هذا الإيقاع، فشانغهاي هي أكثر مكان مناسب لصنع

القطار المغناطيسي المعلق، الذي يعدّ «طائرة البر»، فقد كتب ذلك صفحة جديدة في تاريخ تطور المواصلات في العالم.

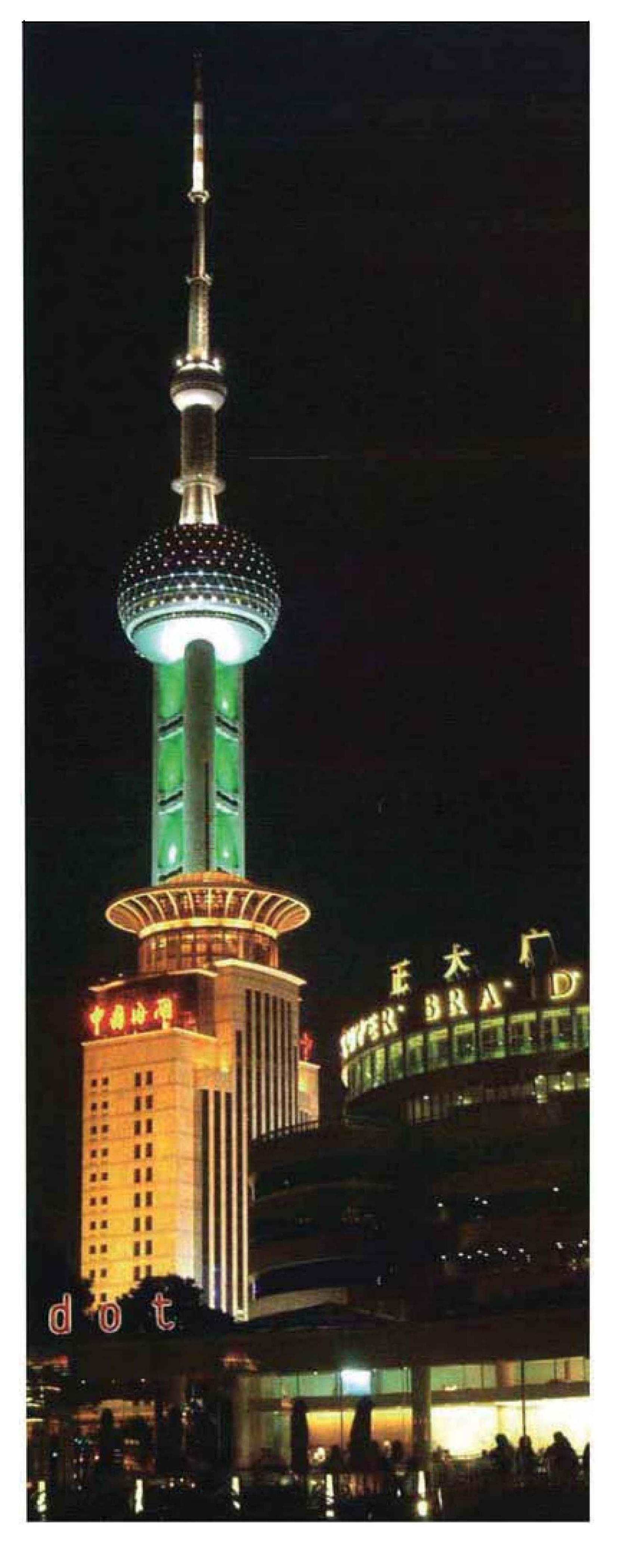
ها هو ذا أول جسر يعبر البحر في الصين - جسر البحر الشرقي الكبير - ويجذب إنشاؤه أنظار العالم، ويمتد الجسر على أمواج البحر بصورة التوائية يشبه التنين بحركاته الحيوية، ويبدو ميناء يانغشان جميلاً ومهيباً إلى حد مبالغ فيه. وإتمام تشييد ميناء يانغشان يمثل قفزة كبرى تحققها شانغهاي في بناء مركز الملاحة الدولية، مما أرسى أساساً قوياً لدفع الصين لتتحول من دولة كبيرة في شؤون الملاحة إلى دولة قوية فيها، موطداً مكانة شانغهاي بكونها مركز الملاحة الدولية.

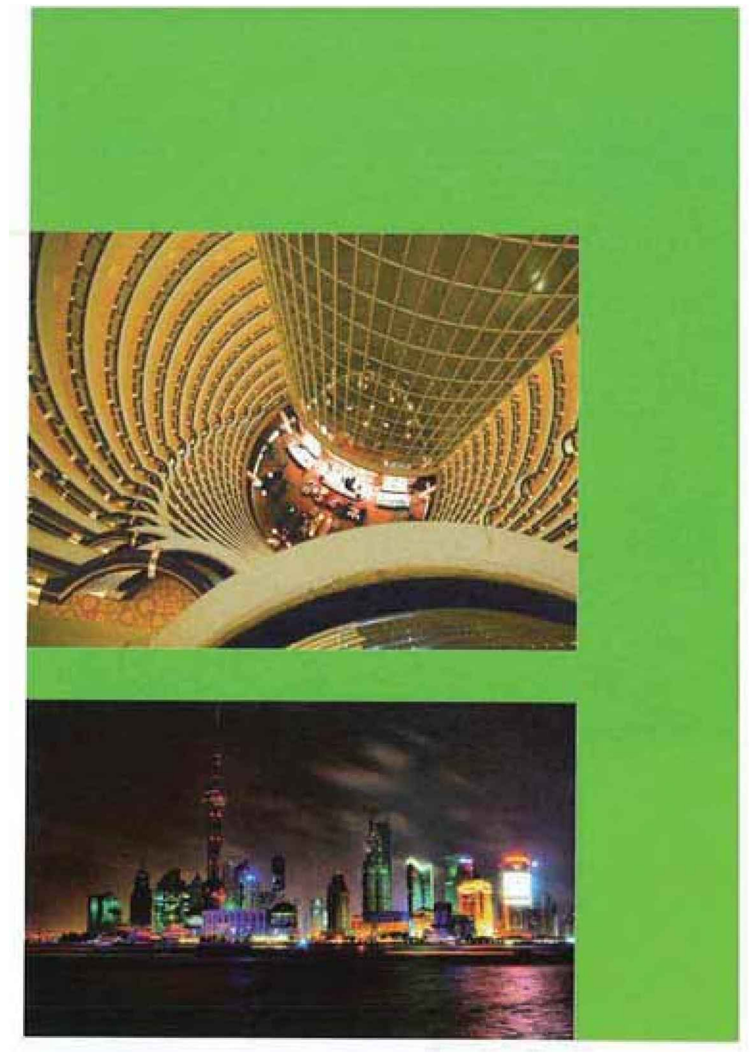
إنه لمن المستحيل أن نتصور كيف ستكون شانغهاي إذا توارت عن الأنظار شبكات الطرق العلوية التي تخترق المدينة عمودية وأفقية، فهذه الشبكات لم تقدم لشانغهاي سهولة المواصلات فحسب، بل أعطت لها جمالاً خاصاً، ولاسيما في الليل، فتبدو هذه الطرق العلوية على أضواء المصابيح الساطعة الزاهرة كأنها سلسلة ملونة معلقة في الفضاء.

الجسور الستة على نهر هوانغبو تربط بين شرق نهر هوانغبو وغربه، ومع كثرة السيارات الخصوصية لأهل شانغهاي تمتد شبكات المواصلات للمدينة باستمرار.

محطة شانغهاي الجنوبية لسكة الحديد أول محطة مستديرة الشكل في العالم، تعد هي الأخرى باب شانغهاي الجنوبي، وبكونها همزة الوصل بين المواصلات داخل شانغهاي وخارجها سيتم فيها تبديل الركاب بين وسائل المواصلات، مثل سكة الحديد، ومترو المدينة، وباصاتها، وباصات طويلة المسافة، ومن ثم سيتم إنشاء حي تجاري جديد بجانب المحطة، فلمستقبل محطة شانغهاي الجنوبي احتمالات لا حدود لها .

مطار بودونغ الدولي ثاني مطار دولي في شانغهاي بعد مطار هونغ تشياو الدولي، ويجسد تصميمه الموضوع الرئيس للقرن الـ ٢١م، ألا وهو الانسجام في الوجود بين «الإنسان والبناء والبيئة»، فالمساحة الكبيرة من البساتين الخضراء، والبركات بمياهها الرقراقة تبرز كلها روعة بناية المطار التي تبدو كأنها نورس يطير، ومن هذا المطار تقلع طائرة وعليه تهبط كل دقيقة ليودع الضيوف الكرام، ويستقبل آخرين من كل أرجاء العالم.




الفخامة سمة شانغهاي

الالتقاء الحضاري

كانت لمدينة شانغهاي مجالات واسعة لإطلاق تأثيرها بفضل موقعها الجغرافي المتميز. فهي تستطيع أن تعانق العالم، وتستفيد من حضارات متنوعة من بلدان العالم كافة، ففي صدرها الواسع صفوة من الحضارات الصينية والأجنبية.

شانغهاي مدينة تذوب فيها حضارات شرقية وغربية، وتنعكس أبنية المدينة، وأنماط حياتها، والأشكال الاجتماعية لها على هذا الذوبان الطبيعي المنسجم.

استفاد شاطئ واي تان من الثقافة الغربية، مع احتفاظه في الوقت نفسه بجمال الثقافة الصينية المبطن الخالد

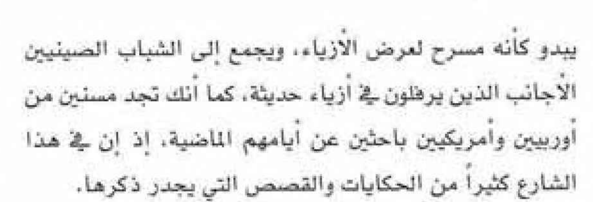
شارع هنغ شان تتشابك فيه البلاتيرة المائية، والأبنية الأوربية، فمن هنا تنتشر رائحة شانغهاي اللينة، والنغمات الأجنبية الرفيعة. وأصبح هذا الشارع موقعاً ليجمع المتفوقين الصينيين والأجانب معاً، وكذلك أصبح أحد النوافذ لمن يريد أن يعرف شانغهاي، ويحس بمودتها وحداثتها. فالتمازج الجميل بين الجو الأوربي وشعور الاشتياق إلى الماضي هو ميزة واضحة لمقاهي هذا الشارع. أطعمة لذيذة من مختلف البلدان، والمطاعم في الأبنية الإفرنجية القديمة المختبئة في ظلال الأشجار المورقة عند وسط الحديقة تشتهر بلذة أطعمتها أولاً، وبأناقة بيئتها ثانياً.

هنا تعرض الحداثة، ومن هنا تجري الصرعات الجديدة، شانغهاي لا تتمتع بعمق الأساس الثقافي فقط، بل تمتاز بكثرة الأماكن الأثرية عند ضواحيها.

تلقب كنيسة شه شان بأول كنيسة في الشرق الأقصى، وهي تقع على قمة جبل شه شان الغربي، وبناؤها ذو أسلوب باروكي، يذوب فيه الفن اليوناني، والفن الروماني، والفن القوطي، ويمكن رؤية هيكل الكنيسة المهيب من على بعد أكثر من ٥ كيلو مترات، وأصبحت منطقة شه شان الآن حي فيلات فاخرة في شانغهاي؛ بفضل موقعها الجغرافي المتميز، ومناظر بيئتها الجميلة. بلدة تشو جيا جياو لا تزال تحافظ على الهدوء والروعة اللذين تمتاز بهما القرية المائية في منطقة جنوب نهر اليانغتسي خاصة، حيث تتشابك الأنهار والجداول، وتمتد تسعة شوارع بامتداد الأنهار، ويقف ألف بناء بأسلوب مينغ وتشينغ على شواطئ الأنهار، ولا تزال الجسور الصخرية القديمة تظهر بروعتها الأصلية، ومن كل هذه يتراءى جمال البلدة المتمثل في افتتان الأنهار، وقدم الجسور، وعجب الشوارع، وهدوء الأزقة. إن مناظر بلدة تشو جيا جياو كأنها نص نثري رقيق الأسلوب، أو رسم فني خفيف الألوان، فنشوة التمتع بها لا تزول مع الزمن.

عندما تتمشى في شارع ناجينغ المزدحم تعرف قوة التيار الجارف من الناس الذين يعيشون في شانغهاي، و يبدأ ازدحام الشارع بعد الساعة التاسعة صباحاً، وقد يبلغ عدد من يمر به يومياً خمسمئة ألف، أما في الأعياد فيصل هذا العدد إلى أكثر من مليوني شخص.

شارع هواي هاي أحب شارع إلى فتيات شانغهاي، وهو



يبدو كأنه مسرح لعرض الأزياء، ويجمع إلى الشباب الصينيين الأجانب الذين يرفلون في أزياء حديثة، كما أنك تجد مسنين من أوربيين وأمريكيين باحثين عن أيامهم الماضية، إذ إن في هذا الشارع كثيراً من الحكايات والقصص التي يجدر ذكرها.

أصبح حي شانغهاي القديم حياً تجارياً قلبه جسر ذو تسع عطفات في حديقة يوي يوان، وهو الحي الذي لا يزال يحتفظ بمناظره التقليدية، حيث تتجانب الدكاكين التجارية واحداً





من معالم شانغهاي

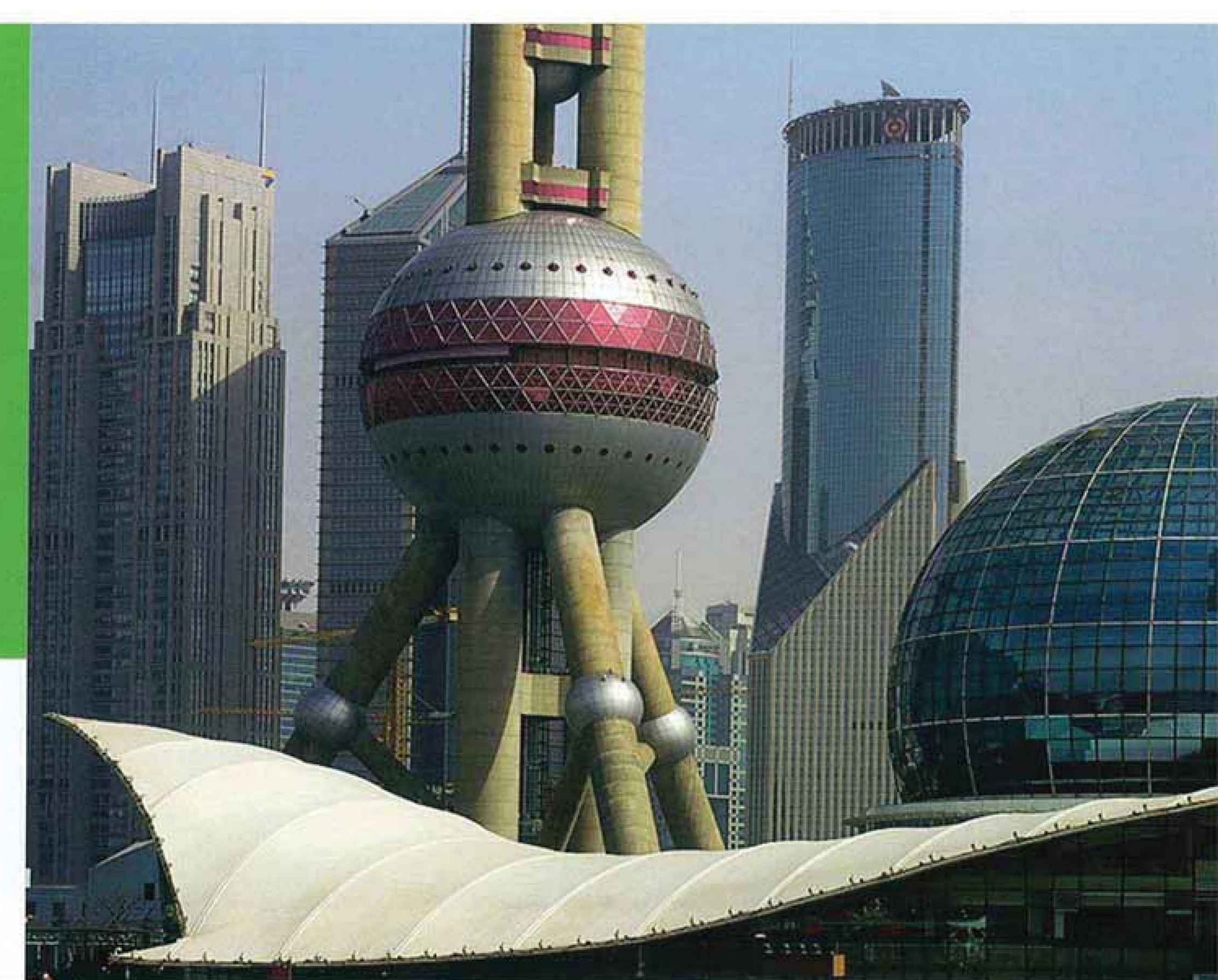
تلو الآخر. ومع كثرة الناس يبدو كأنه رسم صيني مشهور «إلى مهرجان عيد تشينغ مينغ». هنا يطلق عليه شارع الشرق، أو جنة المغامرين. وعلى الرغم من مرور الزمان ظل يحتفظ برائحة خفيفة من الأيام الماضية كأننا قد عدنا إلى تلك الأيام البعيدة عندما كانت تدق ساعة شاطئ واي تان. فمناظر شانغهاي في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي لا تزال باقية.

يرجع تاريخ ساعة عمارة الجمرك إلى ما قبل ١١٠ سنة، فشهد شاطئ واي تان كل ما حدث في شانغهاي في أيامها المنصرمة. ودقات الساعة صاحبت حياة أهل شانغهاي طوال أكثر من قرن، كما شهدت تغيرات هذه المدينة.

وقد استفاد شاطئ واي تان من الثقافة الغربية، مع احتفاظه في الوقت نفسه بجمال الثقافة الصينية المبطن الخالد. فعلى هذا الشاطئ الذي يمتد بطول كيلومتر ونصف قامت أكثر من خمسين عمارة إفرنجية ذات أساليب مختلفة. فتم هنا التمازج بين الثقافتين الصينية والغربية؛ مما جعل واي تان كأنه معرض بنايات لمختلف البلدان. كما جعله رمزاً لمدينة شانغهاي.

إن مناظر واي تان في الليل أجمل من نهاره. وأكثر سحراً. فالأعمدة اليونانية الأسلوب، والإيوانات الرومانية، والمنحنيات الباروكية تظهر في غاية الجمال. بفضل أضواء المصابيح التي تم تركيبها بدقة في التصميم، وليبدو واي تان كقصر في عالم أسطوري.

إذا نظرت إلى شانغهاي من أعلى وجدت كثيراً من الأسقف المغطاة بالقراميد الحمراء. وهي تتراءى بين الأبنية الحديثة، والبناء المسمى بـ «شي كو من» هو الميراث النفيس الذي تركه التاريخ لشانغهاي. ولهذا البناء كثير من حكايات أيام شانغهاي الماضية.



عمارة تعكس الالتقاء الحضاري

عالم جديد

يعد «العالم الجديد» خير نموذج للدمج بين الحداثة والتقليد، فهو يعد بطبيعة الحال علامة شانغهاي الجديدة أيضاً.

والعالم الجديد أصبح الآن أكثر مكان جاذب للتنزه والترفيه. فبناء «شي كو من» الذي تم ترميمه حسب أسلوبه التقليدي قد تجلى فيه جمال الانسجام الصيني والغربي، والتناسق بين الحداثة والقدامة خير تجلٍّ. فيصنع العالم الجديد هو الآخر مظهراً فيه روح حيوية مفعمة بكل ما هو عصري.

كما أن الانطباعات التي يتركها العالم الجديد في الزوار لا تنسى. فإن كبار السن من الزوار يجدون هنا ما مضى. وقد يراه الأجانب صينياً خالصاً. أما الصينيون فيشعرون بأنه إفرنجي تماماً. شانغهاي - على الرغم من سرعة تطورها - لا تزال تحافظ على مناظرها التقليدية. ها هي ذي نخبة ثقافة شانغهاي خاصة.

محطة شانغهاي الجنوبية لسكة الحديد أول محطة مستديرة الشكل في العالم، وهي باب شانغهاي الجنوبي

أسلوب البناء في شانغهاي يعكس بصورة واضحة الجمال الفني المتمثل في التوافق بين المهابة والأناقة، وفي التوحيد بين الثقافتين الصينية والغربية. كما يعكس الجمال السحري للفن المعماري الشرقي.

وناطحات السحاب تم تشييدها واحدة تلو الأخرى، بل



يتجدد أعلاها باستمرار، فيبدو كأن هذه العمارات الشاهقة تسجل كل فترة يمر بها تطور المدينة.

يقع برج اللؤلؤة الشرقية للتلفاز على رأس لوجياتسوي من ضفة نهر هوانغ بو الشرقي مقابل شاطئ واي تان، وبجانب هذا البرج قاعة الاجتماع الدولي بشانغهاي، التي يتكون بناؤها من هيكلين على شكل الكرة الأرضية، لتعطي منظراً جميلاً جداً يتجلى فيه معنى شعري «إلى الطبق اليشمي تتساقط اللآلئ كبيرة وصغيرة».

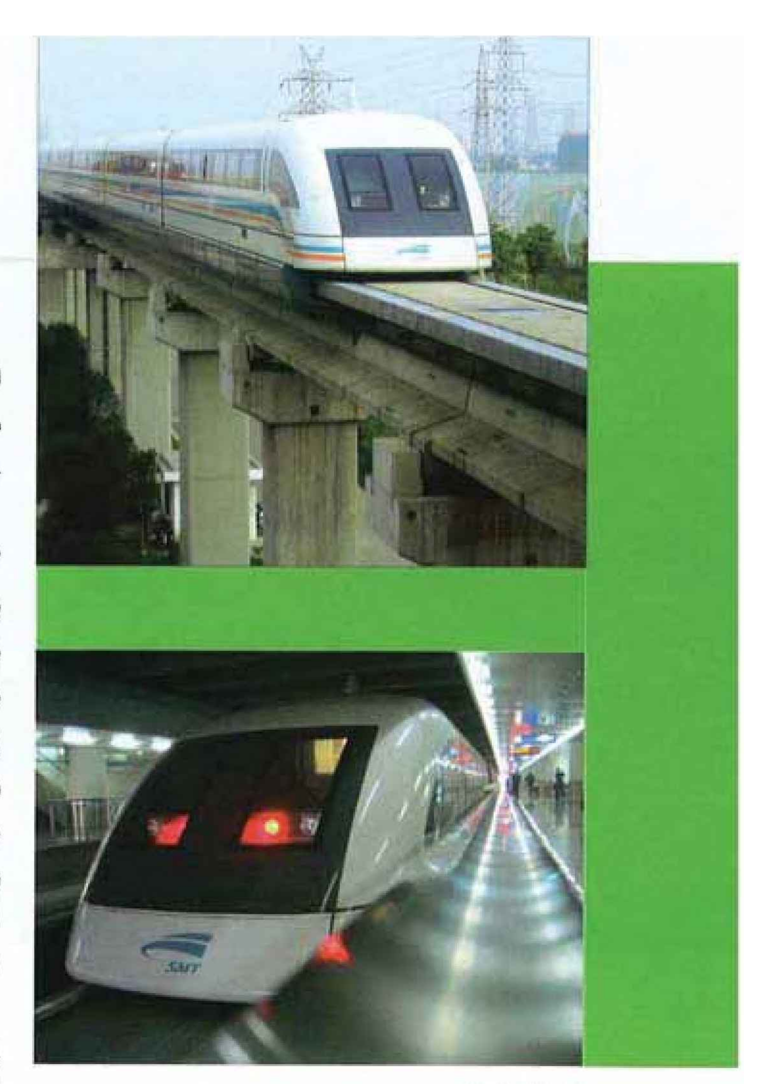
قاعة الفرجة في الطابق الثامن والثمانين من عمارة جين ماو هي أكبر القاعات وأعلاها في الصين، ومن هذه القاعة يستطيع الزوار أن يطلوا على مناظر شانغهاي جميعها، فالعمارات العالية القائمة على ضفتي نهر هوانغ بو مع المراكب والسفن الجارية في النهر تشكل لوحة طبيعية جميلة تترجم معنى شعرياً:

البط مع غروب الشمس يطير   مياه النهرنحوالأفق تسيل

يعد بناء المركز المالي العالمي المتكون من مئة طابق وطابق، بارتفاع ٤٩٢ متراً، الذي سيتم تشييده قريباً هو من أعلى ناطحات السحاب في العالم، فهو مع عمارة جين ماو وبرج اللؤلؤة الشرقية للتلفاز كلها ترسم رونق شانغهاي وبهجتها.

يعد نهر هوانغ بو النهر الأم لشانغهاي وشريانها، وعلى ضفتيه ازدهار المدينة الكبرى، وهنا تم الالتقاء بين نهر هوانغ بو ونهرسوتشو حتى يعانقا بذراعيهما شانغهاي الجميلة، يظهر نهر هوانغ بو عند الشروق والغروب بروعته الخاصة، فهو قد شهد كل ما مضى في شانغهاي، كما يشهد كل ما يحدث فيها اليوم .

متحف شانغهاي متحف كبير لعرض الفنون القديمة للصين، وهو من أكبر متاحف الفنون في الصين بكاملها



قطار شانغهاي الشهير

وفي إحدى ضفتيه قامت ناطحات السحاب الحديثة، بينما عند الضفة الأخرى عدد كبير من الأبنية الأوربية القديمة المفعمة بروح التاريخ. فشانغهاي مدينة تحتفي بالتاريخ، وتتوفر على كثير من الذكريات.

استثمار متسارع الحركة

شانغهاي إحدى نوافذ الصين، فهي تعرض معجزات تطور اقتصادها. ومنذ انفتاح الصين على الخارج أصبحت حركة رأس المال في شانغهاي تساير حركته في العالم. وبسبب كثرة السكان في شانغهاي تزداد احتياجاتها إلى البضائع، مما جعل تجارة شانغهاي متطورة، إذ إن لها تأثيراً بالغاً في مناطق الصين الأخرى. ولكون بضائع شانغهاي بضائع دولية أصبحت هي الأخرى منطقة ساخنة للاستثمارات من جميع أنحاء العالم، فعدد كبير من المؤسسات والشركات الدولية قد نقلت هيئاتها المركزية لشؤون آسيا ودول الباسيفيكي إلى شانغهاي. إن أكثر من مئة عمارة عالية على مستوى القرن الجديد قامت جنباً إلى جنب، فيبدو منظرها مهيباً ورائعاً.

إن لو جياي تسوي أرض ذهبية بكل معنى الكلمة، وهناك ١٢٣ مؤسسة من ٥٠٠ مؤسسة كبرى في العالم قد استقرت في بو دونغ، نقلت ٦٤ شركة عابرة القارات هيئاتها المركزية من مختلف أرجاء العالم إليها، واستقرت في لو جياي تسوي خاصة؛ مما يثبت مشاركتها في التطور السريع لاقتصاد شانغهاي، إضافة إلى ذلك بلغ عدد المؤسسات والهيئات المالية الصينية والأجنبية التي استقرت في لو جياي تسوي ٣٨٠ مؤسسة وهيئة، منها البنوك الأجنبية التي تتجاوز ٤٠ بنكاً، مثل: سيتي بنك، وفوجي بنك، وبنك هونغ كونغ (شركة هونغ كونغ وشانغهاي المصرفية). فأصبحت لو جياي تسوي أكثر منطقة كثافة لرأس المال في الصين برمتها.

إن اقتصاد الصين الذي يظل ينمو بسرعة يتيح للعالم فرصاً أكثر، فقد قال أحد الاقتصاديين المشهورين: «إذا أردت أن تحصل على أكبر فرصة تجارية فاذهب إلى شانغهاي». فما حدث اليوم قد أثبت صحة هذا القول: فشانغهاي مدينة فيها صناعة متقدمة جداً، ومنطقة بودونغ التي تبلغ مساحتها ٣٥٠ كم٢ هي أكبر منطقة تنمية مدنية في الصين. هناك من يصف وجود منطقة التنمية هذه قائلاً: «إنه تماماً كمهد جديد يقلع من الحقول»، فمنطقة لو جياي تسوي للتجارة والأعمال المصرفية، ومنطقة جين تشياو لمعالجة الصادرات، ومنطقة تشانغ جيانغ لصناعة التكنولوجيا العالية، ومنطقة واي قاو تشياو للتجارة الحرة، جميعها تسير بنجاح مع سير التطور الناضج لاقتصاد شانغهاي، فهي تجذب عدداً كبيراً من الشركات الدولية المشهورة للاستقرار فيها حتى توفر قوة دافعة أكبر لاقتصاد شانغهاي وتطوره.

وبفضل التطور السريع لصناعة السيارات بدأ هيكل الاقتصاد المتنوع في شانغهاي يتكامل، فامتلاك العائلة السيارة الخصوصية ليس حلماً كما كان في الماضي، مما جعل نمط حياة أهل شانغهاي يتغير هو الآخر. بلغت كمية الإنتاج السنوي للسيارات في شانغهاي حالياً أكثر من مليون سيارة، وأصبحت شانغهاي وشانغهاي جنرال



الفن طابع يميز المدينة

موتورز أشهر ماركتين للسيارات في المدينة.

قد لفت معرض شانغهاي الدولي للسيارات، الذي يقام كل سنتين، أنظار مؤسسات السيارات المشهورة في العالم، فالاشتراك في المعرض ليس هدفاً نهائياً لها، وإنما الأمر الذي يهمها أكثر هو التسويق في شانغهاي، إذ إنه لن يتحقق النجاح في الحصول على الفرصة التجارية، ولا النجاح في التسويق عند الصين إلا بعد أن يتم نجاح التسويق عند شانغهاي.

معالم من المدينة

شانغهاي في الخريف سماؤها صافية، وسحابها خفيف، وتظهر المدينة أكثر جمالاً ورونقاً بفضل أنواع من الأزهار المتفتحة، والمصافحات في غبطة وسرور، والمحادثات في جو ودي، والمهرجانات العالمية الفاخرة، وقد شهدت شانغهاي كل هذه مرة تلو الأخرى.

يعد معرض العلم والتكنولوجيا في شانغهاي أهم قاعدة لتعميم العلوم والتكنولوجيا، وأهم قاعدة للتنزه والترفيه. الموضوع الرئيس الذي تم تصميم هذا المعرض حوله هو : الطبيعة والعلم والتكنولوجيا، فقد جعل المعرض العرض مع التربية، والبحث العلمي مع التبادل الأكاديمي، والتخزين مع التركيب، والاستراحة مع الترفيه في الهيكل الواحد.

عادة يكون الفن مرتبطاً بتقدم الحضارة الاجتماعية، وأمامنا الآن مركز الفن الشرقي بشانغهاي، الذي يقع في بودونغ، إذا نظرنا إليه من أعلى وجدنا خمسة هياكل على شكل نصف كروي، كأنها خمس نوريات متفتحة، حيث تشكل زهرة «بشارة» الكبيرة، وعندما تقام حفلة موسيقية في قاعته ترقص أضواء المصابيح المحيطة ببناء المركز مع إيقاعات الموسيقا، فيبدو المركز أكثر رونقاً، وأكثر حيوية حتى أصبح قصراً مهيباً يظهر فيه الفنانون الصينيون والأجانب مهاراتهم الفنية.

مسرح شانغهاي الكبير مسرح على المستوى العالمي، ويمكن أن يعرض فيه رقص الباليه، أو أوبرا، أو سيمفونية بأعلى مستوى وطني أو عالمي على حد سواء، فمسرح شانغهاي الكبير في الضفة الغربية لنهرهوانغ بو ومركز الفن الشرقي في الضفة الشرقية له يعدان قصرين فنيين على المستوى العالمي، ويرمزان إلى نجاح الارتباط بين الفن الشرقي والفن الغربي حيث يعزفان

معاً أطرب الإيقاعات، وأروع النغمات.

يتسع ملعب شانغهاي لـ ٨٠ ألف مشجع، وتم بناء هذا الملعب باتخاذ عدد من التقنيات والتكنولوجيات المتقدمة في العالم، وشكل الملعب جميل يعكس الروح الحديثة العصرية، وهو محاط ببساط من الأعشاب الخضراء والأزهار الملونة، فيبدو كأنه زهرة المكنوليا المتفتحة؛ مما زاد شانغهاي روعة وجمالاً.

متحف شانغهاي متحف كبير لعرض الفنون القديمة للصين، وهو من أكبر متاحف الفنون في الصين بكاملها. ويقام بناء المتحف على قاعدة مربعة الشكل، أعلى البناء إطار مستدير حيث يتضمن معنى «الفضاء مستدير والأرض مربعة» على اعتقاد الصينيين القدماء، مبيناً تاريخ الصين الساطع الذي يمتد إلى أكثر من ٦ آلاف سنة .

شانغهاي مدينة جاذبة



في شانغهاي الآن ٦٠ جامعة ومعهداً عالياً، منها جامعات يرجع تاريخها إلى قبل ١٠٠ سنة، ومنها جامعات جديدة التأسيس

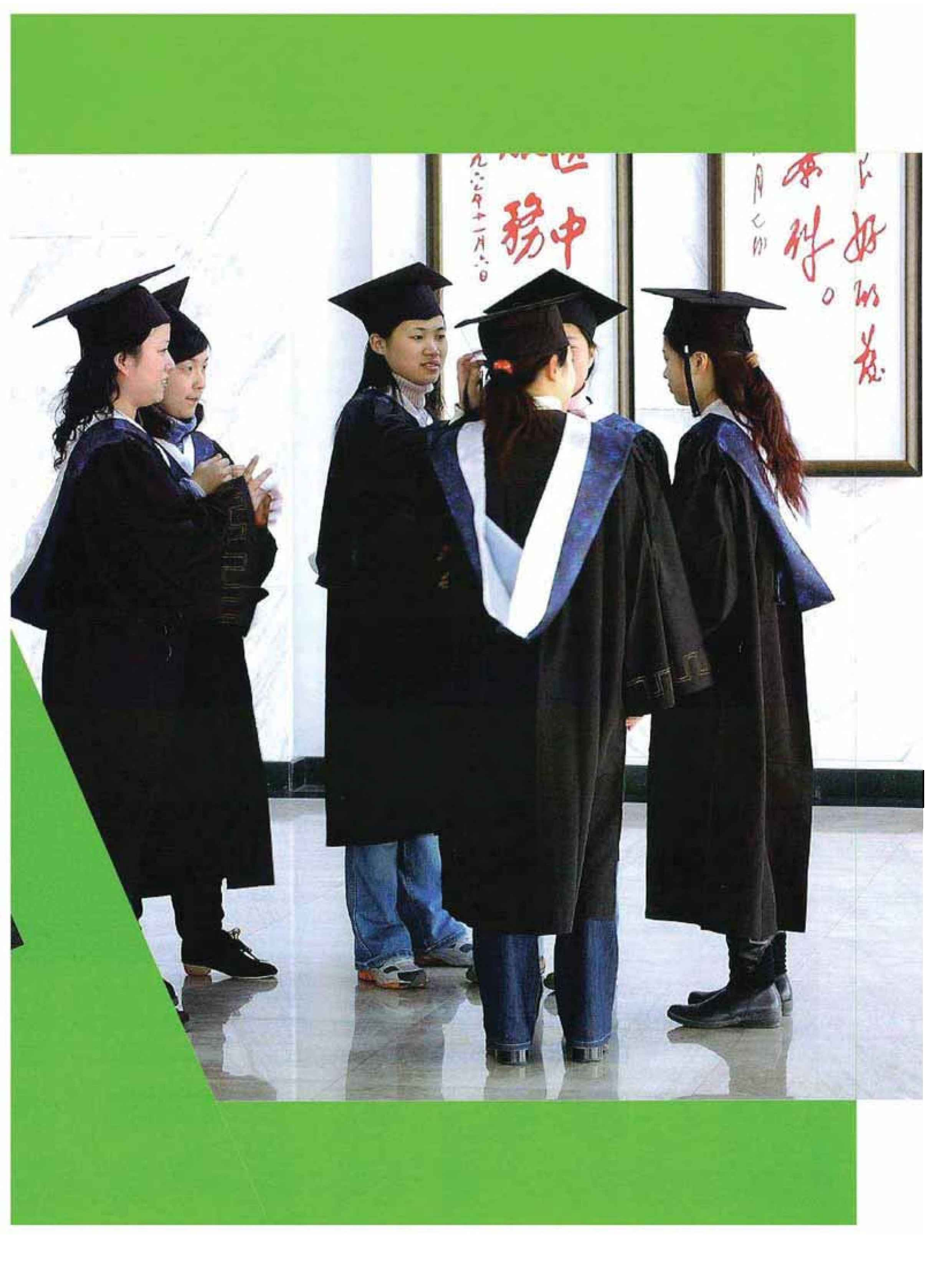
في شانغهاي الآن ٦٠ جامعة ومعهداً عالياً، منها جامعات يرجع تاريخها إلى قبل ١٠٠ سنة، ومنها جامعات جديدة التأسيس، وقد أقيم في شانغهاي عدد من الأحياء الجامعية الحديثة، حيث تتراءى إستيراتيجية التطوير لشانغهاي في تعمير المدينة، وفي بناء المدينة المثقفة عن طريق العلم والتربية.

إن قبة السماء قد فتحت بابها، وخلال ٢٤ ساعة سيتغير لونها، فيتحول من الأبيض إلى الأسود، اللون الأبيض نتيجة وجود الضوء، أما الأسود فهو نتيجة ابتعاد الضوء، إلا أنه ليس في شانغهاي الآن فرق بين نهارها وليلها، إذ إنها محاطة بالأضواء، فعند الليل أصبحت شانغهاي مزينة بالأضواء المزهرة، وحينها يبدو نهر هوانغ بو مثل حزام ملون يطفو على الماء. أما الأبنية ذات الأساليب المختلفة فكأنها تتسابق في الجمال، وفي السماء تتفجر ألعاب نارية لتعكس حماسة المدينة، وبكل هذا تلفت شانغهاي أنظار الناس وتجذبها.

إن الألعاب النارية التي تزين السماء عند ضفتي نهر هوانغ بو تعرض مظاهر باهرة لهذه المدينة الدولية، فالصدر الذي يزداد انفتاحه أكثر فأكثر يجعل المدينة لا ليل لها، فهي مفعمة بالحيوية والنشاط، وتزداد حيوية أكثر ونشاطاً أكبر.

يتجسد في السكن عمران المدينة وتقدمها، ومع نمو العقار في شانغهاي أصبحت لأهل شانغهاي اختيارات كثيرة لسكنهم، فالأساليب المختلفة للبنايات تظهر هي الأخرى سحر ثقافة شانغهاي المتميزة، فالناس جميعهم يعيشون في فرح ومرح في بيئة متجددة، كما يتمتعون بلذة الثمار التي جاء بها تقدم المجتمع وتطوره، وأهل شانغهاي يتمتعون الآن بعدد من الضمانات الاجتماعية، مثل ضمان الشيخوخة الأساسي، والتأمين ضد البطالة، والضمان الطبي الأساسي، والضمان لأدنى المستوى المعيشي، فبدأ يتسع نظام الضمانات الاجتماعية، والرعاية الاجتماعية، ونظام الإغاثات والمساعدات عند الطوارئ شيئاً فشيئاً في شانغهاي؛ مما يجعل أهلها يعيشون في حياة ناعمة ناتجة من تطور المجتمع وانسجامه.

في الوقت الذي تتطور فيه شانغهاي بسرعة عالية يحظى



التخطيط المدني وحماية البيئة باهتمام بالغ، فإقامة آلية التنمية المستديمة أساس تقدم شانغهاي في المستقبل، فنظل مساحة التشجير للمدينة تتسع، وأصبح هواء المدينة صافياً أكثر فأكثر، وقد ظهرت في قلب المدينة كمية لا بأس بها من البقاع الخضراء الكبيرة والمفتوحة؛ مما يشكل البيئة الإحيائية الجديدة بفضل حدائق المدينة ورياضها، حتى يستطيع أهل شانغهاي أن يحسوا باقترابهم من الطبيعة ويحسوا كذلك بصفو الهواء أكثر وأكثر.

وفي الوقت نفسه أصبح حجم المساحة الخضراء لحي السكن عاملاً مهماً يتوقف عليه اختيار أهل شانغهاي سكنهم، وقد بلغ معدل نصيب الفرد من الأرض الخضراء في شانغهاي الآن أكثر من ١١ متراً مربعاً، فتتزين شانغهاي بكل من تشجير العائلة، وتشجير الطريق، وتشجير المدينة.

أسلوب البناء في شانغهاي يعكس الجمال الفني المتمثل في التوافق بين المهابة والأناقة، وفي التوحيد بين الثقافتين الصينية والغربية

الإقامة في شانغهاي تجربة جميلة يمكن الافتخار بها طول الحياة، لذلك يزداد عدد الأجانب الذين يستوطنون في شانغهاي، ومن ثم نشأت عدة مدارس دولية، فمعظم الأجانب الذين يشتغلون في شانغهاي قد اتخذوا هذه المدينة مسقط رأسهم الجديد.

«أفضل حياة في أفضل مدينة» هو الموضوع الرئيس لأكسبو في عام ٢٠١٠م في شانغهاي الصين، وفي عام ٢٠١٠م ستنشأ في المنطقة التي تقع بين جسر نان بو وجسر لو بو حديقة المعرض الدولي التي مساحتها ٥,٢٨ كم٢، وهي تتوزع على ضفتي نهر هوانغ بو اللتين تمتدان نحو ٨,٣ كم٢، ووقتئذ سيتم تدشين المهرجان الناجح والرائع، الذي يصعب نسيانه في هذا المكان. ويعد هذا المعرض الدولي أول معرض يقام في إحدى الدول النامية، وأول معرض دولي يتخذ مدينة موضوعاً رئيساً له. وسيكون عدد الدول المشاركة هو الأعلى بين المعارض، ويتوقع أن يصل رواد المعرض خلال مدة إقامته ابتداءً من مايو عام ٢٠١٠م إلى نهاية أكتوبر أكثر من ٧٠ مليون زائر، وحينها سيعرض هنا تاريخ الحضارة المدنية البشرية حاضرها ومستقبلها. وكذلك سيظهر رونق أساليب البنايات من مختلف البلدان وبهاؤها، كما سيتكشف هنا سحر أنماط الحياة المدنية لمختلف المدن في العالم.

إقامة أكسبو عام ٢٠١٠م في شانغهاي قرار حكيم للمنظمة البعيدة النظر، كما أن شانغهاي هي الأخرى مدينة ذات رؤية بعيدة وعميقة، فالعالم يهب شانغهاي فرصة ذهبية، وشانغهاي سترد للعالم أروع معجزات، كما ستؤثر شانغهاي في هذا العالم أجمل تأثير.



كالتي مرّت.. ونحن ظلالها

محمد إبراهيم يعقوب

جازان - السعودية

كنا طقوساً

حينما فُتن الطريق

ولم نشأ أن يكبر العشاق

رهن شقاوةٍ

قاماتُنا...

كانت فصولاً لا يحيل إلى سماء

كالتي مرّت ونحن ظلالها منذ انتبهنا

غير أن عروقنا

كادت تشابه خلسةً في نبضنا!!

* * *

من ذا سينتخب الصبابة

والمدى يخلو بناصية الكلام

مقيتةٌ تلك السذاجة

في دواخلنا تروّج ذاتها

لا

همّ

إلا أن نمرّغ في النشوء نهارنا

والليل ضوءٌ شاحبٌ

يتأرجح العصفور في أجسادنا

والصمت نصف سريرةٍ ممتدّةٍ حدّ النشيج

وفي الملامح لكنةٌ

كانت تنمُّ بداهةً عن رفضنا

* * *

أه لكم كنا نخيط من الصبايا

رعشةً منذورةً

منها نفائح شبهة السرب البعيد

وأين نحنُ؟

ومن يفكّ إسارنا من مسحة الطهر الأثيم؟

لنرتقي في سلّم الحيرى

إلى شهواتنا

ذابت حناجرنا ونحن نردّدُ الإذعانَ

في أسمائنا وصفاتنا

عبثاً نفتّش في المرايا عن مخابئنا الحميمةِ

لا نرى إلا المرايا

من يصادرنا هناك

ومن يراهن أن أي غريزةٍ بلهى تهزّ ذواتنا؟

* * *

ها قد كبُرنا

من رفات صراخهم

من وقع أقدام التلبث

لم نعد نتقمص الخوف اللذيذَ

ولم نعد

حتى الصبايا يستدرنَ

لعلّ في الظلّ انتظاراً

والأزقة بادرت

مدّت يديها ملء رائحة تشظّت

من تراكمنا الشهيّ

ولم نشأ أن يزهق الزمان

رهن مسافةٍ عضّت على شفة السنين

حواسّ كونيّة أو صوت الشاعر

عبدالله السمطي

الرياض - السعودية

لك أن ترى في عتمة اللحظات
لك أن تبوح ففي فؤادك ألسن
ترى القصيدة في شفاهك مثلما
هذي السماوات العلا أجلستها
ماذا ستلقي الآن: رومانسية؟!
في كون حبرك تستحم الأبجديـ
زوجت كل عبارة بسياقها
جيران شعرك: نجمة أسطورة
للم شرودك. خذ مديح البحر كن
فيْنَ نشيدك. ليس موالا زما
مي معجزات الذهن. حنجرة الخيا
هي سورة نزلت هنالك وحدها
هي روحك المبسوطة الآن المرا
وهي السماء إذا تدحرجها قلبـ
يا من بصرت بلوحة الأقدار هل

يا مشرقا في مطلق الكلمات
قد ضُمّخت ببلاغة الدفقات
ينبوع عشق قد جرى بفلاة
فوق الحصى لتضوع أرض الذات
وحواسنا زمن بلا ميقات؟!
يةُ من رأى الفردوس في صفحات؟
فتنطفت بسلالة الأبيات
وحبيبة تأسو وعين مهاة
أعلى قليلاً من غد الأوقات
ن الناي وافرح كي ترى الأبيات
ل كناية للعرش غيب حياة
لتصالح اللحظات باللحظات
يا في قناع ضل بين صفات
لا شهقة العصفور في الغيمات
عيناك تختبئان خلف الآتي؟





القط الحرامي

كونستانتين باوستوفسكي - روسيا

ترجمة: مرتضى سيد عمروف

لقد وقعنا في ورطة. فنحن لا نعرف كيف نصطاد هذا القط الأصفر، الذي كان يسرق منا كل يوم شيئاً، ثم يختفي بسرعة ومهارة. لذلك لم يره أحد منا بشكل جيد. وبعد أسبوع تقريباً عرفنا أن له أذناً مشقوقة، وأن جزءاً من ذيله الوسخ مقطوع. لقد كان قطاً عديم الضمير، قطاً متشرداً، وكانوا يسمونه «الحرامي».

كان القط يسرق كل شيء: السمك، واللحم، والقشطة، والخبز. فتح مرة بمخالبه (تنكة) علبة صفيح ملأى بالديدان التي جمعناها لصيد السمك. ولم يأكلها، ولكن تجمعت الدجاجات حول العلبة المفتوحة ونقرت كل ما جمعناه من الديدان، ثم رقدت هذه الدجاجات منتفخة البطون تحت الشمس وتأوهت. وكنا نمشي وندور حولها، نسبها ونشتمها، فقد أفسدت علينا صيد السمك.

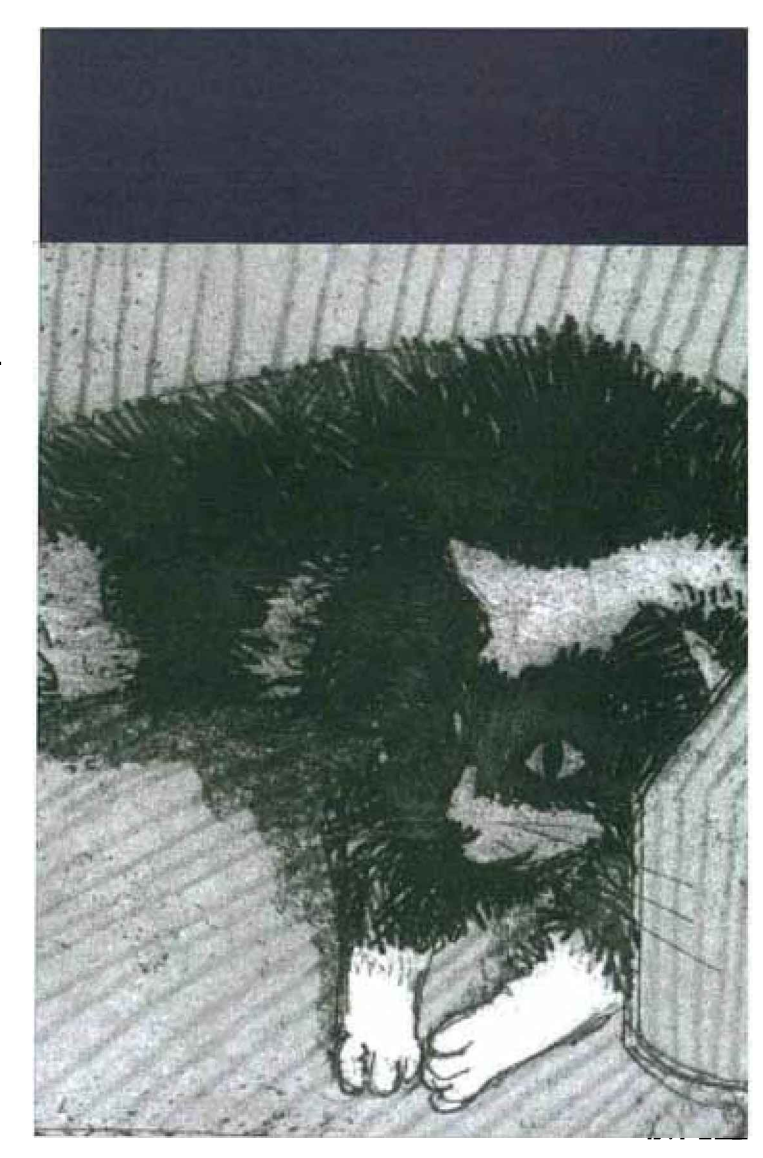
مر شهر تقريباً ونحن نبحث عن القط الأصفر، وساعدنا على ذلك أولاد القرية. وذات يوم جاؤوا إلينا وقالوا: إنهم رأوا القط صباحاً وهو يتسلل عبر المزارع، ويمسك بين أسنانه لفافة فيها سمك. أسرعنا إلى القبو، واكتشفنا فقدان عشر سمكات كانت هناك مربوطة وملفوفة بقطعة قماش، وقد اصطدناها من نهر «بروروفا». إن هذا لم يكن سرقة، بل كان سلباً وسطواً في وضح النهار، وأقسمنا أن نمسك بالقط، وأن «ننفخه» عقاباً على تصرفاته الإجرامية!.

وفي مساء اليوم نفسه وقع القط في الفخ، فقد سرق قطعة من اللحم كانت على المائدة، وتسلق بها الشجرة هارباً، بدأنا نهز الشجرة بعنف، فأسقط القط قطعة اللحم، فوقعت على رأس «روفيم»، ونظر القط إلينا من مكانه بعيون متوحشة، وهو يموء بغضب، ولم يكن لديه مجال للفرار، فعزم القط على تصرف يائس: قفز من الشجرة بموائه المرعب، وسقط على الأرض مثل الكرة، وأسرع يختبئ تحت البيت.

كان بيتاً صغيراً في حديقة لا يعتني بها أحد، وكانت توقظنا كل ليلة ضربات التفاحات البرية وهي تسقط من الشجرة على سقف البيت. لقد كان البيت مملوءاً بالسنانير، وحب الخردق لبندقية الصيد، والتفاح، والأوراق الجافة. كنا نبيت فيه فقط، أما النهار من الفجر إلى حلول الظلام فكنا نقضيه على شواطئ البحيرات والأنهار، حيث نصطاد السمك، ونشعل النار بين الأعشاب الطويلة. كنا نضطر إلى أن نفتح زقاقاً ضيقاً بين الأعشاب العالية، نمشي خلالها، وسنابلها تهتز فوق رؤوسنا، وتسقط غبار زهورها الصفراء على أكتافنا، لكي نصل إلى شاطئ البحيرة. وفي المساء نعود متعبين ومرهقين، وقد لوّحتنا أشعة الشمس، وأصابتنا الخدوش من أغصان شجر الورد البري، وكنا نحمل في أيدينا ربطة من الأسماك الفضية، وكل مرة يستقبلوننا بقصص جديدة عن مغامرات القط الأصفر.

وأخيراً، وقع القط في أيدينا، فقد دخل تحت البيت من فتحة ضيقة وحيدة، ولم يكن ثمّة مخرج، فوضعنا أمام الفتحة شبكة لصيد السمك، وبدأنا ننتظر، ولكن القط لا يخرج، وهو يموء بصوت مزعج مثل الأشباح، كان يموء دون انقطاع وبلا تعب، وقد مضت ساعة، وساعتان، وثلاث ساعات... وحان وقت النوم، ولكن القط يموء ويسب من تحت الأرض، وهذا يثير أعصابنا.

عندها دعونا «ليونكا» ابن إسكافي القرية، الذي اشتهر بجسارته ومهارته، وكلفناه إخراج القط من تحت البيت، فأخذ حبلاً حريرياً وربط في طرفه سمكة صغيرة، اصطدناها نهاراً، وأدخلها من الفتحة إلى القط تحت البيت، فتوقف المواء، وسمعنا



قرمشة وعضاً متوحشاً، عض القط بأسنانه رأس السمكة بقوة، وبدأ «ليونكا» يسحب الحبل، والقط يقاوم بإصرار، ولكن «ليونكا» كان أقوى، والقط لا يريد أن يترك السمكة اللذيذة. وبعد دقيقة ظهر رأس القط من الفتحة وهو يمسك بأسنانه السمكة، وأمسك «ليونكا» القط من رقبته ورفعه فوق الأرض، ورأيناه لأول مرة بهذا الشكل الجديد!.

أغمض القط عينيه، وأرخى أذنيه، وأدخل ذيله بين رجليه، ورأيناه، على رغم سرقاته الدائمة، نحيفاً أصفر، وعلى بطنه آثار حرق.

نظر «روفيم» إلى القط وسألنا متخيلاً:

- ماذا سنفعل به؟

قلت:

- سنضربه!.

فقال «ليونكا»:

- هذا لا ينفع؛ لأن هذه طبيعته من طفولته. جربوا إطعامه بشكل جيد!.

كان القط ينتظر مغمضاً عينيه، واتبعنا النصيحة، وأدخلناه إلى مستودع صغير، وقدمنا له عشاء رائعاً: قطعة لحم خنزير مشوية، وسمكة مع الصلصة، وجبناً وقشطة. وظل القط يأكل أكثر من ساعة. ثم خرج من المستودع وهو يهتز. وجلس على عتبة الباب، ولعق نفسه بلسانه، ونظر إلينا وإلى النجوم في السماء بعينين قادحتين، وبعد ذلك نخر طويلاً. ومسح رأسه بالأرض. يبدو أن ذلك يعني الفرح. ثم انقلب على ظهره، وأمسك ذيله بأسنانه وعضه، وبصق، وتمدد بجانب المدفأة، ونام هادئاً.

ومنذ ذلك اليوم صار يعيش معنا، وترك السرقة. وفي اليوم التالي قام بتصرف كريم وغير متوقع: وقفت الدجاجات عل المائدة في الحديقة وأخذت تنقر الطعام في الصحن، وهي تتدافع وتصيح، وانتفض القط ساخطاً، واقترب من الدجاجات، وقفز على المائدة بصيحة نصر قصيرة. وانتشرت الدجاجات بصيحات اليأس، وقلبت جرة الحليب، وهربت من الحديقة وريشها يتساقط.

واندفع القط مسرعاً خلف الديك الغبي السمين الساقين، سميناه «أبا الحلق»، وطارده على أرجله الثلاث، وبالرابعة الأمامية كان يضرب الديك على ظهره، فينتشر الغبار ويتطاير الريش من الديك. كنا نسمع صوت الضربات وكأن القط يضرب كرة!. وبعد ذلك رقد الديك بضع دقائق في نوبة إغماء، ورفع عينيه إلى أعلى، وتأوه بهدوء، وسكبنا الماء البارد عليه، وثاب إلى رشده، ومنذ ذلك الحين امتنعت الدجاجات عن السرقة، وصارت إذا رأت القط تجري لتختفي تحت البيت وهي تتدافع من الخوف.

كان القط يمشي في البيت والحديقة كأنه صاحبه وحارسه، وكان يمسح رأسه بأرجلنا كمن يطلب الشكر، فيعلق بنا بعض شعره، وغيّرنا اسمه من «الحرامي» إلى «الشرطي»، وعلى رغم أن «روفيم» كان يقول: إن هذا ليس من باب الأدب، إلا أننا واثقون من أن رجال الشرطة لن يغضبوا منا بسبب هذه التسمية!.

print media messe

drupa

تقرير

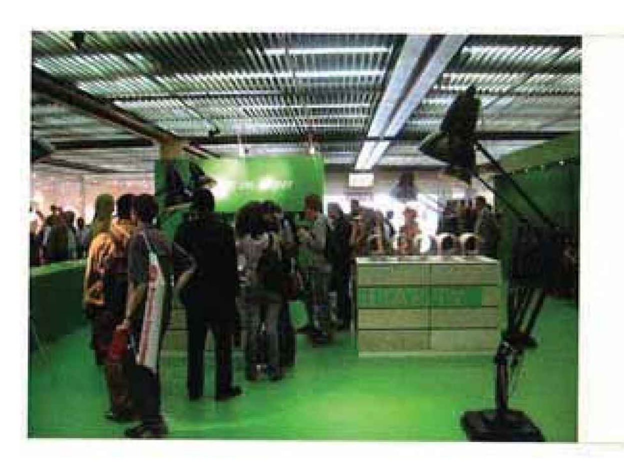


معرض دروبا

الطباعة بين يديك

حسين حسن حسين
تصوير: الوليد دينار
قسم التحرير

عندما وصلنا إلى دويسلدورف بعد رحلة طيران استغرقت ٧ ساعات، و٤ ساعات انتظار، كان ظننا أننا سنخلد إلى الراحة بقية اليوم، ولكن ما إن وطئت أقدامنا خارج المطار حتى دبّ فينا نشاط واضح، بفعل الجو الجميل، والهواء المنعش الذي حاولنا أن نستنشق أكبر قدر منه، لتعويض ما عانيناه في الطائرة (الكورولا) على حسب وصف أحد الرفقاء: لصغر حجمها.



كانت الحقيبة الثقيلة سبباً كافياً لتغليب فكرة الراحة، وعندما أردنا استئجار تاكسي استكثرنا السعر، فما كان من السائق ومعه زملاؤه إلا أن دلّونا على حافلات حمراء كبيرة مخصصة لزوار معرض دروبا للطباعة، وركوبها بتذكرة المعرض نفسها.

ركبنا الحافلة دون أن يسأل أحد عن تذكرة وغيرها، ووجدنا أن الأفضل ما دامت الأمور ميسرة الذهاب إلى المعرض مباشرة، وقد كان.

كان الاحتفاء بالمعرض بادياً في لافتات الشوارع، التي اكتست باللون الأحمر الذي بدا لنا أول مرة جميلاً، فتمازج مع الخضرة التي تميز شوارع المدينة الأنيقة في كل شيء.

لم يكن دخول المعرض بالحقائب صعباً: فالتفتيش يتم آلياً، والاستقبال بوجوه حسنة دائمة الابتسام، وأينما تلفّت وجدت المساعدة، والإجابة عن سؤالك.

عندما دخلنا من القاعة السادسة وجدنا وجوهاً عربية يعرفها رفيقنا الدائم الحضور في المعرض، وعندما تعمقنا قليلاً بدت وجوه من أنحاء شتى من العالم، ومندوبو الشركات يتفحصون كل تلك الوجوه، لعلهم يفوزون بصفقة.

كان التناوب على الحقائب حلاً، مع أن هناك مكاناً مخصصاً،

زوار من كل مكان في المعرض

ولكننا استسهلنا الأمر، ووجدنا أن إطلالة سريعة تكفي اليوم، لنعاود غداً استكمال الأجنحة الأخرى، إلا أن ما يجده المرء من الجديد المثير في عالم الطباعة يستوقفه، ويحثه على الإمعان في استخدام غريزة حب الاستطلاع، يساعد على ذلك تلك الأريحية التي يتعامل بها العارضون؛ فالآلات تعمل كما لو كانت على الطبيعة، لا للتجريب وإعطاء فكرة، وكل آلة تعرض تقدم حلولاً مبتكرة، وكلما أمعنت في التأمل أدركت أن العاملين في عالم الطباعة لا يعرفون التثاؤب، ودار في خلدي ما يقال عن اندثار الكلمة المطبوعة أمام زحف الإعلام الإلكتروني، ليزداد يقيني أن الكلمة المطبوعة لها جمالياتها، وتأثيرها الطاغي، وهي باقية ما بقيت الحياة، بل إنها تستفيد مما يحدث من تقدم تقني في تطوير آليات بقائها حية.

دوسلدورف.. الطبيعة والفن والاقتصاد

عندما قررت السفر إلى معرض دروبا استقيت معلومات عن دوسلدورف، وقرأت كثيراً عن سحر طبيعتها، ولكن كان الواقع أجمل، وكان الشاعر الألماني الكبير هاينرش هاينه محقاً وهو ينثر قصائد عشقه لها.



المحرر في أحد مراكز المعلومات المنتشرة في المعرض

وجمال الطبيعة يكون حيث يكون الماء، ولعل هذا نابع من عشقي للنيل، الذي تتبعته من الخرطوم إلى القاهرة وما بعدها من مدن الوجه البحري في مصر؛ لذا وقعت في عشق نهر الراين، الذي يحتضن دوسلدورف ناثراً أنواعاً من الجمال، الذي يمكن تلمسه في رحلة نهرية تتمتع فيها بسحر الطبيعة على جانبي النهر، وإطلالة الوجوه الحسنة، وهذا ما سأستفيض فيه عند تناول المدينة القديمة في دوسلدورف.

وتشهد المدينة انتعاش الحركة الاقتصادية، ويبدو ذلك في وجود أكثر من ٣ آلاف شركة عالمية عملاقة، وبورصة لها حضورها على مستوى العالم، إلى جانب حيوية الحركة الثقافية والفنية، التي تتبدى في متاحفها، ومعارضها الفنية، ومسارحها.

ويعد معرض دروبا الذي يقام كل أربع سنوات من أهم الأحداث التي ينتظرها سكان دوسلدروف؛ لأنه يفتح أبواباً واسعة للرزق، إذ تدب الحياة في المدينة على نحو غير مألوف، وتكتظ الفنادق بالزوار ممن يحترفون الطباعة، الذين يقدمون إليها من كل فج عميق، وتمتلئ المقاهي، وتزدهر الأسواق، وتتحول المدينة إلى عالم مصغر؛ لما تشتمل عليه من جنسيات متعددة، يجمع بينهم الانتماء إلى مهنة الطباعة، التي تشهد ازدهاراً وتحولاً في تقنياتها وإمكاناتها.

الدورة الكبرى

أقيمت فعاليات الدورة الرابعة عشرة لمعرض دوسلدورف الدولي للطباعة والورق (دروبا) بألمانيا في المدة من ٢٩ مايو حتى ١١ يونيو عام ٢٠٠٨م. ويعد هذا المعرض أكبر معرض للطباعة التقليدية والرقمية وصناعة الورق والكارتون والتغليف ومستلزماتها، وتبلغ مساحته ١٧٥ ألف متر مربع، ويضم ١٩ قاعة، وبلغ عدد الزوار أكثر من ٤٠٠ ألف زائر.

وتعد هذه الدورة هي الكبرى منذ انطلاق المعرض في عام ١٩٥٠م. وشارك في معرض هذا العام ١٩٧١ شركة من ٥٢ دولة، ويصنف دروبا الأول من نوعه في هذا المجال على مستوى العالم.

وشهد المعرض تنافساً قوياً بين الشركات العملاقة الخاصة بمكنات الطباعة الرقمية، وأجهزة التصوير، وبرامج الإخراج في الصحافة، والكتب، والملصقات، والكتالوجات، وفصل الألوان، والدمج بين وسائط المعلومات.

وعلى الرغم من العدد الكبير للشركات، وضخامة المنتجات المعروضة، وتعدد الأجنحة، إلا أن كل شيء كان يمضي بنظام عجيب، ودقة متناهية، فلا تجد شكوى من أحد، بل الجميع منبهرون بروعة الإخراج الفني، وإبداع الشباب من الفنانين الذين أضفوا لمسات جمالية تأخذ الألباب في كل ركن وجناح، على طريقة السهل الممتنع، مع الجرأة في استخدام الألوان وتوظيفها.

وهذا ما يجعل المعرض فرصة لمنظمي المعارض لاكتساب الخبرة في طريقة العرض والتنظيم، كما أنه يتيح مجالاً للفنانين ليستوحوا طرائق فنية مبتكرة في التصميم.

أما المشاركات فقد كانت على النحو الآتي: شغلت الشركات الألمانية المساحة الكبرى في المعرض، وبلغت ٧١ ألف متر مربع، وتبعتها الشركات الإيطالية بمساحة ١٤ ألف متر مربع، وجاءت الشركات الأمريكية في المرتبة الثالثة بمساحة ١٣ ألف متر مربع، وتلتها الشركات السويسرية التي احتلت مساحة ١٢ ألف متر مربع، واحتلت الشركات الصينية مساحة ٦٧٠٠ متر مربع، وتلتها الشركات الهندية بمساحة ٢٥٠٠ متر مربع.

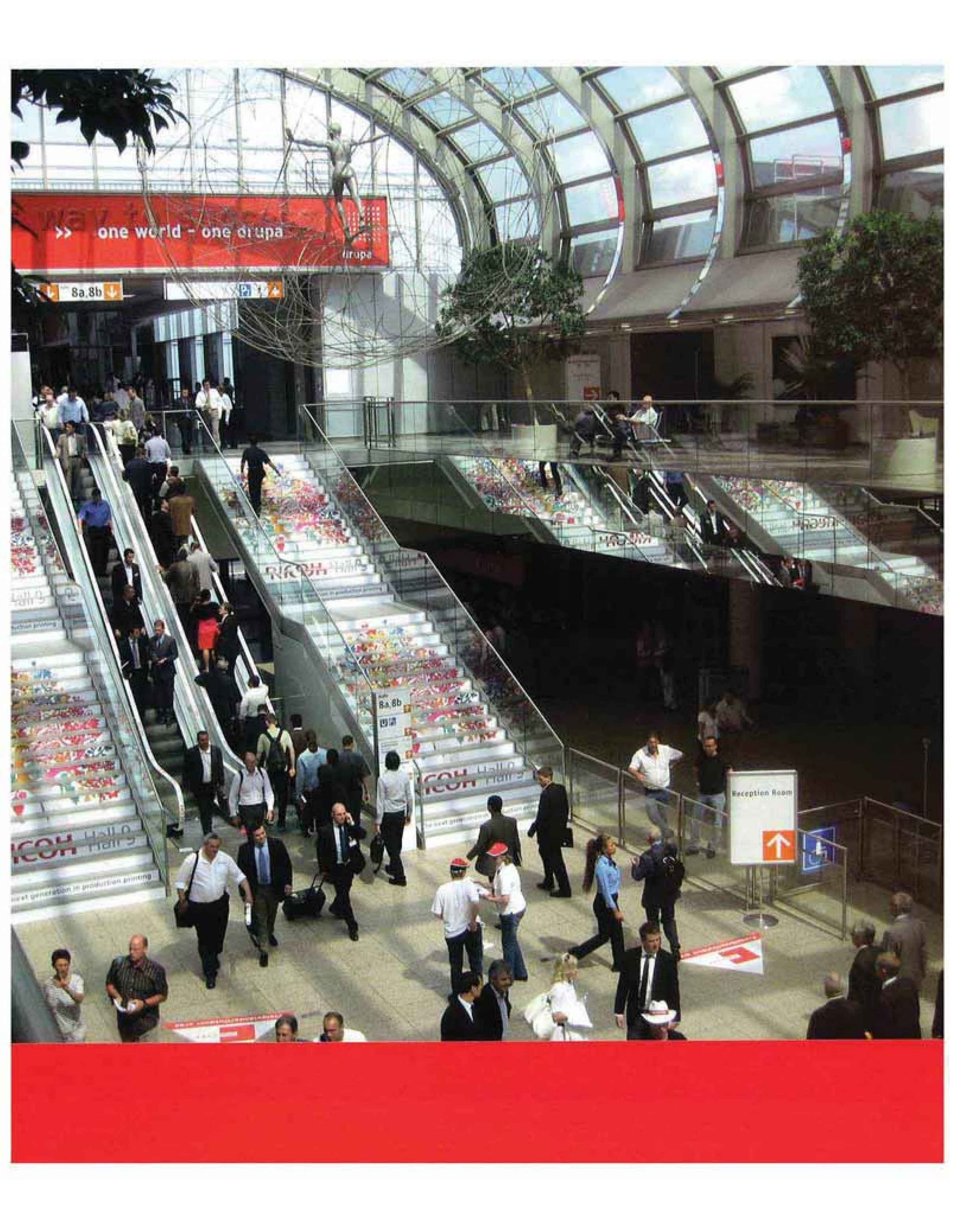
ومثل العرب في هذا المعرض سبع شركات من مصر والإمارات والسعودية، هدفت إلى الحصول على توكيلات من شركات الطباعة العالمية، أو شراء مكنات متطورة للطباعة أو التغليف.

ويمثل المعرض حدثاً ذا أبعاد اقتصادية لألمانيا، فهي تعول عليه لزيادة حجم صادراتها من تقنيات الطباعة وصناعة الورق المقدرة بنحو ٦ مليارات يورو، وهي تمثل ٨٠٪ من إجمالي صادراتها التقنية، لتستمر بذلك ريادة ألمانيا في عالم الطباعة التي بدأت منذ خمسة قرون ونصف القرن، إذ سبقت العالم إلى اختراع الطباعة على يد يوهان جوتنبرج.

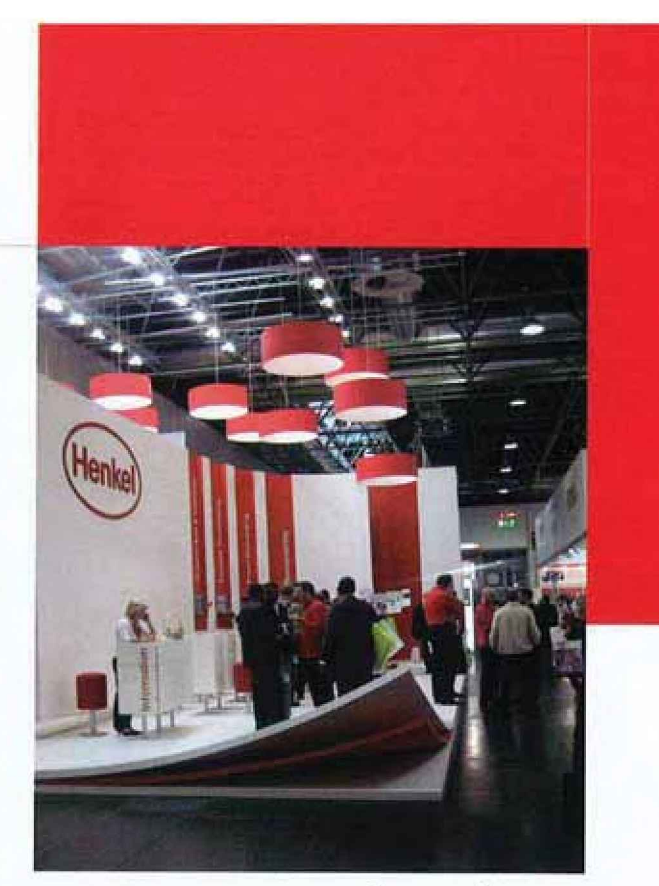
وتعول ألمانيا على التقديرات التي تشير إلى ارتفاع حجم استهلاك الورق المطبوع عالمياً من ٣٨٠ مليون طن في عام ٢٠٠٧م إلى ٤٤٠ مليوناً في عام ٢٠١٥م.

الآلات تعمل كما لو كانت على الطبيعة، لا للتجريب وإعطاء فكرة، وكل آلة تعرض تقدم حلولاً مبتكرة

فرضت قضايا البيئة، وارتفاع أسعار الطاقة نفسها على الندوات المتخصصة المصاحبة للمعرض



>> one world - one drupa
drupa
8a,8b
Reception Room



إخراج متميز لأركان المعرض وأجنحته

طباعة حديثة وصديقة للبيئة

يبدو أن التغيرات المناخية أصبحت عاملاً مشتركاً في كل الصناعات، وغدت الشركات في مختلف المجالات تحاول تقديم صناعات صديقة للبيئة، من ناحية قلة استهلاك المواد الخامة، وتخفيض نسبة تلوث البيئة؛ فقد طرحت شركات الطباعة والورق في معرض دروبا تقنيات ومواد خامة بيئية، تمثلت في مكنات الطباعة الاقتصادية في استخدام الطاقة، وأنواع الورق، والكرتون، والأحبار، وألوان الطباعة الملائمة للبيئة.

وكانت قضايا البيئة، وارتفاع أسعار الطاقة قد فرضت نفسها على الندوات المتخصصة المصاحبة للمعرض.

كما قدمت هايدلبيرج الألمانية، كعادتها، أحدث المنتجات الطباعية الرقمية والتقليدية، وقد طوّرت آلات طباعة بمقاييس مختلفة مزودة بأنظمة متطورة متكاملة للطباعة؛ أي: بدءاً من مرحلة ما قبل الطباعة، ومروراً بمرحلة الطباعة، وانتهاءً بمرحلة ما بعد الطباعة، التي تعرف بمرحلة (التشطيب). ومن بين آلاتها الحديثة مكنة الطباعة سبيد ماستر إكس إل ١٦٢، التي يبلغ طولها ٤٠ متراً، ووزنها ١٨٠ طناً، وهي أسرع آلة طباعة في العالم؛ فهي تطبع خلال ساعة واحدة ٣٠ ألف متر مربع من الورق المقوى بمستوىً عالٍ من الدقة والجودة.

كان ما قدمته شركة إم إيه إن رونالد الألمانية من أحدث ما عرض، إذ أنتجت مكنة لطباعة الصحف، للإنسان الآلي فيها دور كبير، فهو يجمع كل النسخ المطبوعة من على خط الإنتاج خلال ثلاث دقائق فقط.

وسجلت الشركات الأمريكية حضوراً، من خلال مكنة طباعة رقمية للصحف والمجلات والكتب أنتجتها إتش بي الأمريكية، فهي تطبع ٢٢٠٠ صفحة في الدقيقة الواحدة.

وعرضت شركة زيروكس تقنية جديدة للطباعة تعتمد على (جل) ممالح، يتيح الطباعة على أي سطح، كالبلاستيك والمعادن، كما يتيح للطابعات الرقمية أن تنافس في قطاعات جديدة كصناعة التغليف مثلاً، وطباعة الأوفست التقليدية، التي يقدر حجمها بنحو ٤٠٠ مليار دولار أمريكي.

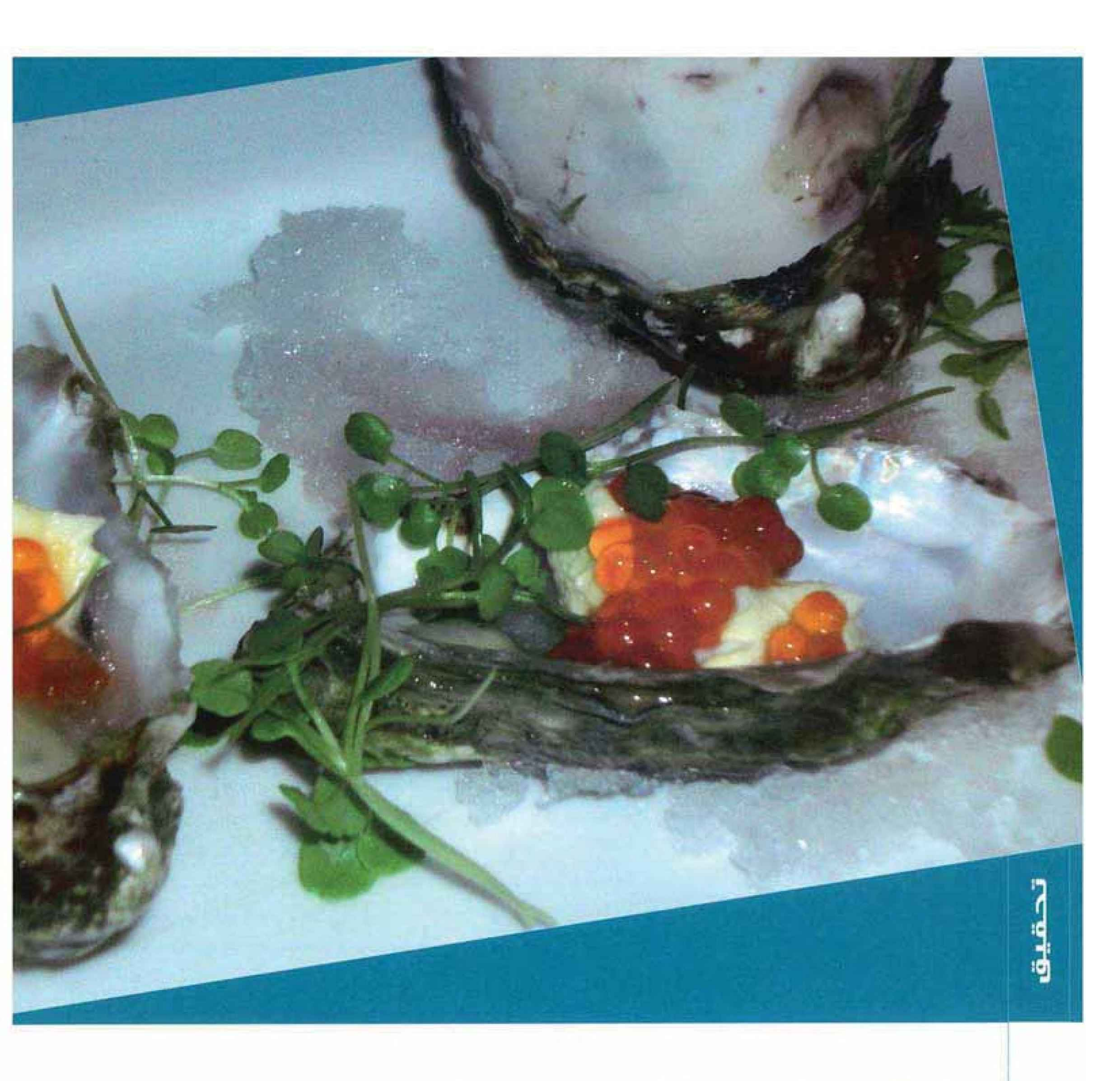
ولا تعتمد أحبار (الجل) الممالح على الماء كالأحبار التقليدية؛ لذا فهي تتميز بالديمومة، إلى جانب السرعة في الطباعة، وتتمتع رؤوس زيروكس الطباعية، التي تحدد حجم القطرة، ومتانة النظام، وسرعة الطباعة بعمر افتراضي أطول عشر مرات من رؤوس نفث الحبر الحرارية.

ساحة الإبداع

في إطار المعرض، أقيمت (ساحة دروبا للإبداع)، على مساحة ٣٣٠٠ متر مربع، بمشاركة ١٣٠ عارضاً، تم تقسيمهم إلى سبعة أقسام، فقدم الشباب عروضاً رائعة، تركزت - بشكل رئيس - في العلاقة بين الطباعة والإنترنت، وقدم هؤلاء نظماً وبرمجيات وحلولاً مبتكرة عن تطبيقات الطباعة الرقمية، مازجين بين عالمي المطابع والإنترنت.

صفقات بـ ١٠ مليارات يورو

عند انتهاء العرس الطباعي الأضخم في العالم، أعلن رئيس المعرض البريشت بولتز شوينمان في البيان الختامي أن حجم الصفقات المعلنة التي تمت بين الشركات بلغ ١٠ مليارات يورو، ووصف هذا المبلغ بأنه رقم قياسي، وقال: إن هذا يعكس حجم النمو المتوقع في صناعة الطباعة والإعلام والورق في العالم في الأزمان المقبلة، وقد شارك في تغطية فعاليات المعرض أكثر من ٣ آلاف صحفي وإعلامي من ٨٤ دولة.

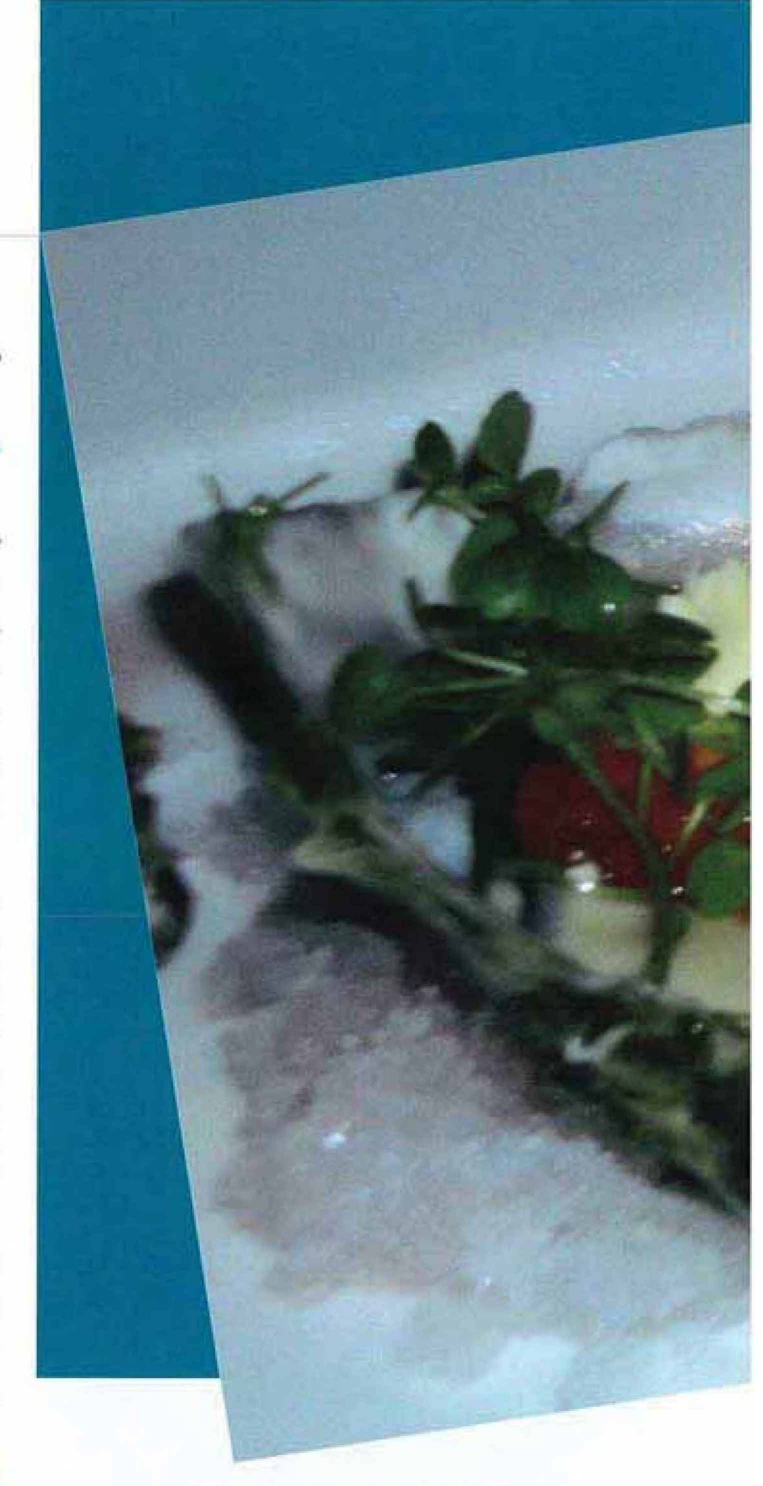


الكافيار

لؤلؤ أسود لا يعرفه إلا الأثرياء!

حسام فتحي أبو جبارة

دبي - الإمارات



كثيرون منا سمعوا بالكافيار، غير أن أغلبنا لم يسبق أن تذوق طعمه قط، فهو طعام المترفين والأثرياء، وأولئك الذين يملكون القدرة على تناول طبق منه، إذ قد يصل سعر الكيلو غرام الواحد من أجود أنواعه في الأسواق الأوربية إلى ٤٠٠٠ يورو. وأسعاره قابلة للارتفاع يوماً بعد آخر، بسبب خطر الانقراض الذي يهدد هذه الثروة التي تتقاسم إنتاجها دول لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة؛ ومن هنا فقد عُرف باسم «اللؤلؤ الأسود»؛ لندرته وارتفاع ثمنه.

ما الكافيار؟

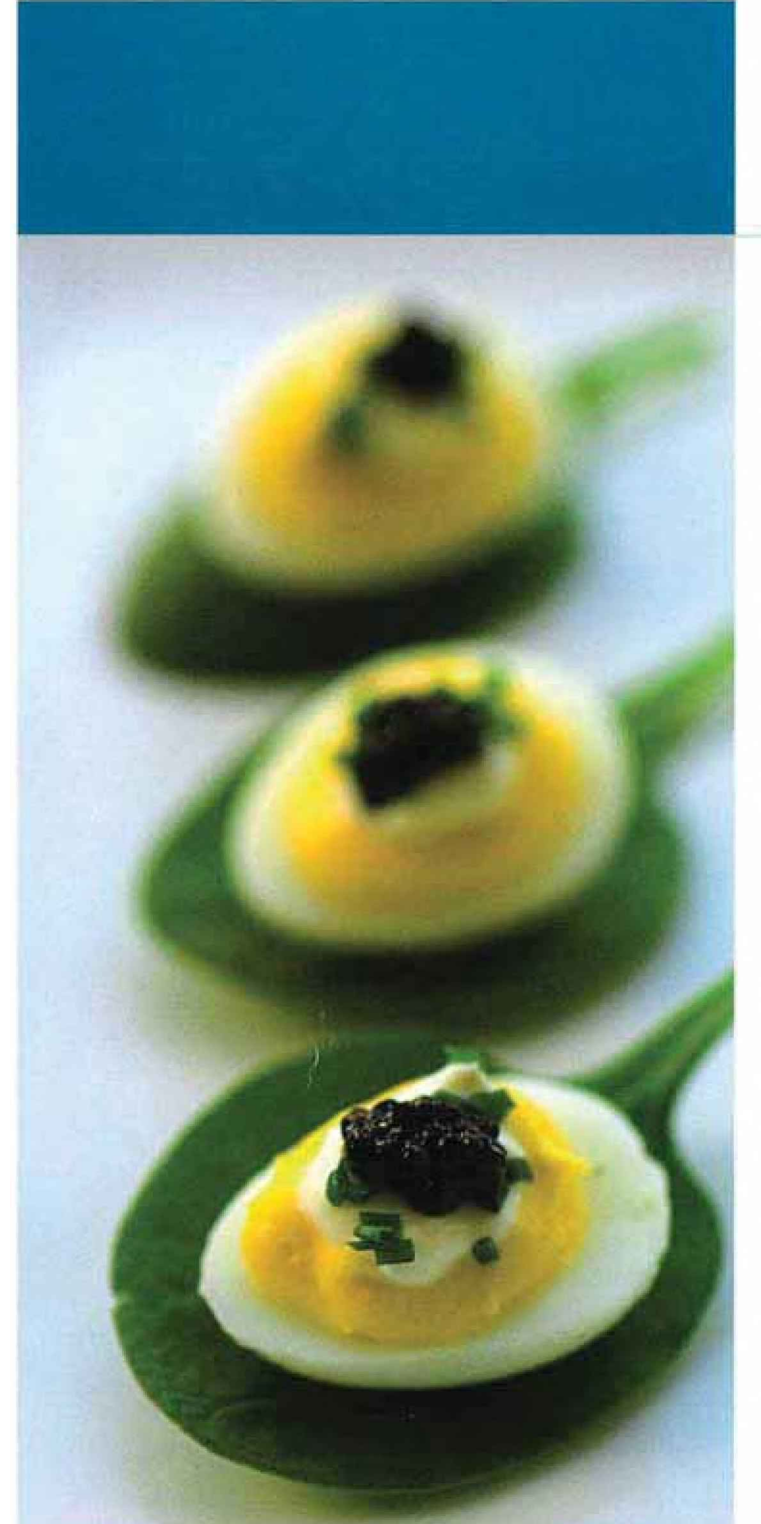
الكافيار هو بيض سمك الحفش، الذي يعيش بشكل أساسي في المياه الباردة، وخصوصاً في بحر قزوين، الذي تطل عليه خمس دول هي: إيران، وروسيا، وأذربيجان، وتركمانستان، وكازاخستان، وهذه الدول وحدها تستأثر بنحو ٨٠-٩٠ بالمئة من إنتاج الكافيار الأصلي في العالم؛ وذلك لأن بيئة بحر قزوين تعدّ المكان الأمثل لإنتاج أفضل أنواع سمك الحفش. كما أن إيران وحدها تستحوذ تقريباً على نصف إنتاج دول بحر قزوين، حيث تنتشر أسماك الحفش بكثرة قبالة الشواطئ الإيرانية.

ويتنوع لون الكافيار بين الأسود، والرمادي، والأخضر، والأصفر، والبني، ويرجع الاختلاف في ألوانه إلى نوع الطعام الذي يتناوله السمك. ويتم تصنيف الكافيار إلى ثلاث درجات: أولى، وثانية، وثالثة، حسب لونه وطعمه وحجم بيوضه، وأفضل أنواعه وأغلاها سعراً هو ذلك المستخرج من السمك الذي تجاوز عمره مرحلة البلوغ الجنسي وهي ١٢ عاماً. أما أردأ الأنواع فهو الكافيار الأحمر، المستخرج من سمك السلمون الموجود في شمال المحيط الأطلسي.

إذا لم يسبق لك تناول الكافيار، ونلت فرصة تذوقه أول مرة، ربما تتساءل في نفسك: ما سر هذا الهوس به؟ فالكافيار أولاً وأخيراً ليس أكثر من بيض سمك مملح. ولكنك ستكون مخطئاً إذا فكرت بهذه الطريقة، فهو سيظل من أغلى الأطعمة، وأكثرها التصاقاً بحياة الأثرياء، ورمزاً لذوق النخبة، مهما تعاقب الزمن.

تاريخ الكافيار

اسم الكافيار الذي أطلق على بيض الحفش، وصل أوربا من إيران من خلال تركيا. كما دخل اللغة الإنكليزية من كلمة «خافيار» التركية أواخر القرن السادس عشر. غير أن كبار اللغويين في القرن العشرين يعتقدون أن أصل الكلمة إيراني، وتحديداً من كلمة «تشاف - جار» الفارسية، التي تعني بالعربية «كعك القوة». ويعتقد أن الأذريين والفرس الأوائل كانوا أول من تذوقوا بيض السمك وعدّوه دواءً لكثير من الأمراض.



وأول ذكر صريح للكافيار كان في العصور الوسطى. وتحديداً في القرن الثالث عشر في روسيا. فقد استولى المغول بزعامة باتو خان (حفيد جانكيز خان) على موسكو عام ١٢٤٠م. وبعدها ببضعة أشهر، خرج باتو خان من قصره مع زوجته يلدز لتفقد رعاياه في بلدة مجاورة. وقد أعد الروس لاستقبال حاكمهم المغولي وليمة عامرة، كان بين أطباقها سمكة حفش كاملة مشوية. وكان الطبق الختامي الذي قدمه الفلاحون الروس لإظهار احترامهم له مربى تفاح ساخن فوقه بيوض حفش مملحة. ويقال: إن يلدز شعرت بالتقزز الشديد من رائحة الكافيار الساخن، لدرجة أنها اضطرت إلى ترك الوليمة والذهاب إلى غرفتها من دون أن تتذوق هذا الطبق. غير أن باتو خان أجبر نفسه على أكل ما قُدم إليه. ولا بد أنه أعجب جداً بمذاقه لدرجة أنه احتفظ بوصفة تحضيره في مذكراته.

أسباب ارتفاع سعره

يأتي سبب ارتفاع ثمن هذا النوع من بيض سمك الحفش لعدة أسباب، منها:

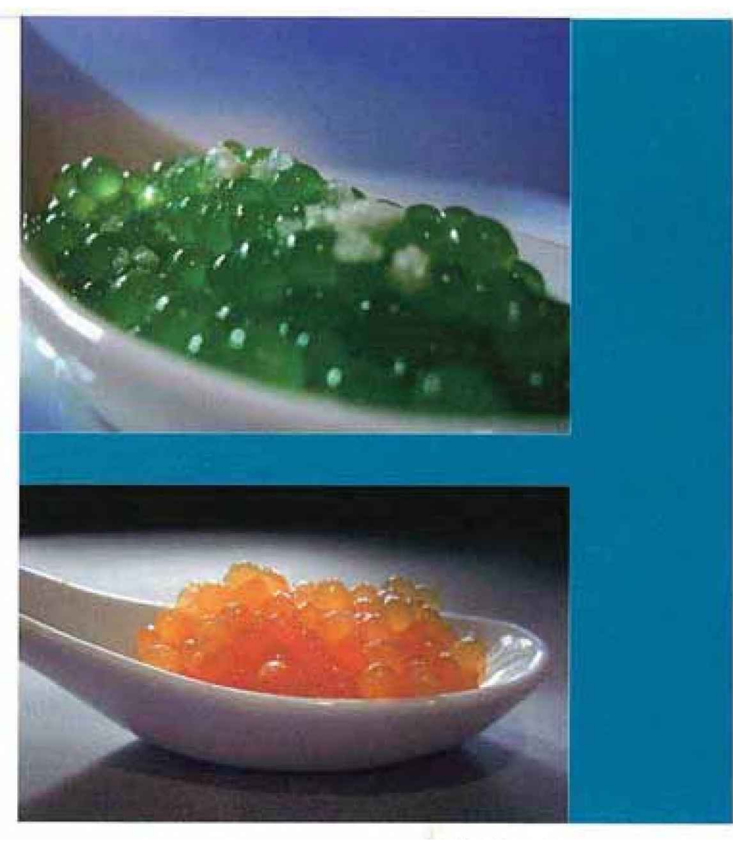
- احتواؤه على مجموعة ذات قيمة غذائية عالية جداً من الطاقة تقدر بـ٢٨٠٠ سُعر حراري، و٢٨ بالمئة من البروتين، إلى جانب كونه منشطاً جنسياً فعالاً.
- صعوبة استخلاصه، فالحفش بطيء جداً في إنتاجه، حيث يستغرق من الزمن كالإنسان تماماً ليصل سن النضج الجنسي. ومع أن كل سمكة تحمل في بطنها ملايين من البيض، فإن المعدل المحتمل هو أن يبلغ فرخ واحد منها فقط سن البلوغ.
- تناقص الكميات المستخرجة، ومخاطر الانقراض التي تهدد سمك الحفش، وهذا ما أدى إلى اتباع آلية المحاصصة في صيده بين الدول الخمس المطلة على بحر قزوين، إذ يجب ألا يزيد الصيد السنوي لهذه الدول مجتمعة على ١٥٠ ألف طن.

كيفية الحصول عليه

حتى الآن تم تحديد ٢٥ فصيلة من سمك الحفش، ثلاث منها فقط تنتج الكافيار، وكلها تعيش في بحر قزوين، وهي:

- بيلوغا (هوسو هوسو): يزن البيلوغا عادة بين ٧٥ و١٠٠ كيلو غرام، أما طوله فيصل إلى المترين، وتنتج السمكة نحو ٢٠ كيلو

اختيار التوقيت الدقيق أمر أساسي لصيد الحفش، إذ يجب على الصيادين الإمساك بالسمكة قبل أن تصبح جاهزة لوضع البيض



للكافيار أنواع وأشكال

غراماً من الكافيار، ويصل متوسط عمره إلى ١٠٠ عام تقريباً.

- أسيترا (أسيبينسر إس بي): معدل وزن الأسيترا ٢٠ كيلو غراماً، وطوله ١,٥ متر، وينتج بين ٤ و٧ كيلو غرامات من الكافيار، ويعيش حتى ٥٠ عاماً.
- سيفروغا (أسيفينسر ستيلاتوس): معدل وزن هذه السمكة ١٠ كيلو غرامات، وطولها بين ١ و١,٤ متر، وتنتج نحو ٢ كيلو غرامات من الكافيار، وتعيش حتى ٣٠ عاماً.

ويعدّ اختيار التوقيت الدقيق أمراً أساسياً لصيد الحفش، إذ يجب على الصيادين الإمساك بالسمكة قبل أن تصبح جاهزة لوضع البيض، ويعتقد أن أفضل الكافيار يأتي من الأسماك التي يُمسك بها قبل ٤ أيام من وضع البيض. وإذا ما أمسكوا بسمكة قبل وقت مبكر جداً من وضعها للبيض، فإنهم يبقونها حية حتى ينضج بيضها؛ لأن البيض يصبح أخف وأطيب مذاقاً كلما اقترب موعد وضعه. وفي هذه الحالة يضع الصيادون السمكة في قفص عائم في الماء من دون تمكينها من الحصول على أي غذاء، وهكذا تضطر السمكة الجائعة إلى استهلاك الغذاء المخزن في بيضها، وعندما يُستهلك هذا الغذاء تصبح البيوض جاهزة للأكل. ويعد فصل الربيع أكبر موسم للصيد خلال السنة؛ إذ يستحوذ على نسبة بين ٧٠ و٨٠ بالمئة من إجمالي حصيلة الصيد سنوياً.

بعد صيد سمك الحفش، يقوم الصيادون باستخلاص البيض منها، ثم يغسل عدة مرات، وتفرط حباته، وتملّح، وتعبأ في عبوات خاصة ذات أحجام مختلفة، بعد التأكد من سلامتها وخلوها من أي ميكروبات. ويحفظ بعد ذلك في درجة حرارة تراوح بين ٢ و٣ درجات مئوية، وعند الحفظ في هذه الظروف يمكن أن نحافظ عليه فترة طويلة تراوح بين شهرين وسنة، وذلك في حال أن تكون العبوات مغلقة تماماً، وعندما يتم فتح العبوات يجب استهلاكها بسرعة في غضون أيام قليلة.

وغالباً ما تشبه رائحة الكافيار الجيد النوعية رائحة الماء المالح، كما يجب أن يكون له غشاء خارجي رقيق لماع وغير مخدوش لكل بيضة. أما الزيت داخل البيضة فيجب أن تكون لزوجته شبيهة بلزوجة العسل كما في درجة الحرارة العادية، علماً بأن أغلى البيوض سعراً هي تلك التي يكون لونها أصفر ذهبياً.

أنواع الكافيار

هناك عدة أنواع من الكافيار، أشهرها وأغلاها تلك المستخرجة من أسماك بحر قزوين، وهي:

- بيلوغا: المنشأ من إيران وروسيا وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان، وهو من أغلى الأنواع وأندرها، تكون البيوض كبيرة، وطرية، ولها قشرة رقيقة، ولونها رمادي فاتح أو رمادي غامق، ويبلغ سعره نحو ٤٠٠٠ يورو للكيلو غرام الواحد في الأسواق الأوربية.
- الأسيترا: يأتي أيضاً من إيران وروسيا وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان، وتكون البيوض متوسطة الطول وأصلب من سابقتها بعض الشيء، ويكون لونها برونزياً أو ذهبياً، وهي مشهورة بطعمها الشبيه بالبندق أو الفواكه الجافة، ويبلغ سعر الكيلو غرام الواحد منها بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ يورو.
- سيبروغا: وهو كذلك من الدول المطلة على بحر قزوين، ويكون طول البيضة صغيراً بعض الشيء، ولونها رمادي غامق. أما

مذاقها فقوي، وبه طعم اليود، ويبلغ سعره نحو ٢٠٠٠ يورو للكيلو غرام الواحد.

- بايري: مصدره فرنسا، وتكون بيوضه رمادية اللون، وهو طري قليلاً، أما مذاقه فيختلف حسب المكان الذي ينمو فيه، ويبلغ سعر الكيلو غرام الواحد منه بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ يورو.

- ترانسمونتانوس: ينتج في شمال إيطاليا وفي كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتكون بيوضه صلبة تقريباً، ولونها غامق، ونكهته خفيفة. ويعدّ من أجود أنواع الكافيار الناتج من التربية، ويبلغ سعره نحو ١٤٠٠-١٦٠٠ يورو للكيلو غرام الواحد.





طرائق تقديم الكافيار تخضع للذوق الشخصي

وهناك كافيار مقلد تنتجه بعض الدول من بيوض سمك القد والسلمون، وغيرهما. غير أن الذواقين يقولون: إنه لا مجال للمقارنة أبداً بينه وبين الكافيار الأصلي.

أجواء تناوله

إن اختيار أفضل الطرائق لتقديم الكافيار أمر يعود إلى الذوق الشخصي عموماً. غير أن فن الموائد يقضي بعدم تعريض النوعية العالية الجودة منه لأي معالجة نهائياً، وأن يُستمتع به وحده من أجل طعمه حصراً. وفكرة التمتع بالكافيار من أجل مذاقه الطبيعي الخاص أفرزت طريقة تقليدية في تقديمه، وهي أن يُؤكل مع مواد غير مملحة، مثل: الخبز الأبيض، والبيض المسلوق، والأرز. أما الأطعمة التي تقدم إلى جانب الكافيار فهي أيضاً يجب ألا تؤثر في مذاقه الفريد، مثل: الأفوكادو، والكريمة الحامضة، والزبدة غير المملحة. ولكن القاعدة العامة هي ضرورة عدم طهي الكافيار كثيراً؛ لأن ذلك سيجعله قاسياً، ويفقده نكهته الأصلية. ويأخذ الكافيار أفضل مذاق له حين يضاف إلى الوصفات في اللحظة الأخيرة من الطهي؛ لأن ذلك يجعله يضفي مذاقاً مميزاً على أنواع الحساء والصلصات.

يمكن تقديم الكافيار في أي مناسبة يرغب المضيف في جعلها خاصة أو نخبوية، يتذكرها الضيوف طويلاً. وغالباً ما يستمتع من يتناول الكافيار بوصفه أحد متع الحياة الرائعة والراقية. كما يجدر الاحتفاء بأطباقه بقليل من الرسميات أو الانتباه للتفاصيل.

وللتأكد من جودة الكافيار الذي تشتريه يقدم الخبراء بعض الإرشادات، منها مثلاً: عند فتح علبة الكافيار يجب التحقق من لمعان البيض في الضوء، والتحقق أيضاً من وجود رائحة طيبة شهية، وأن تكون الأغشية المغلفة لحبيبات الكافيار متماسكة وخالية من الخدوش، والحبيبات منتظمة ومتماثلة الحجم وبعضها غير ملتصق ببعض، وكذلك أن يكون اللون متماثلاً ومنتظماً.

إماراتية.. ملكة الكافيار

تسعى الإماراتية حمدة الحريزي، صاحبة شركة «بلاك بيرل»، إلى اعتلاء عرش تجارة الكافيار، والوصول إلى لقب «السيدة الأولى» في السوق العالمية بعد أن أحكمت قبضتها على سوق الخليج مدعومة بخبرتها التي تجاوزت ١٧ عاماً في هذا المجال.

بدأت علاقة حمدة بالكافيار عام ١٩٨٨م بعد أن ادخرت ٧٥٠٠ درهم فقط، جمعتها طوال سنوات من العمل الذي بدأته منذ أن كان عمرها ١٢ عاماً. سمعت عن الكافيار من صديق لوالدها كان يعمل في تجارته، إذ استخدمها لديه للعمل مقابل ٥٠٠ درهم شهرياً في أيام العطلة الصيفية، ومع الأيام نمت معرفتها وخبرتها في هذا المجال، فقررت إنشاء عملها المستقل.

بدأت الحريزي مشروعها باستئجار محل في سوق مرشد في أواخر عام ١٩٨٨م، وأخذت تلتقي فيه التجار الإيرانيين، وتشتري منهم الكافيار، وتعيد بيعه، وفي الوقت نفسه، كانت تقوم بمساعدة هؤلاء التجار على شراء حاجاتهم من المحلات المنتشرة في دبي مقابل نسبة معينة متفق عليها.

نمت أعمال حمدة، وزادت فروع محلاتها، وأنشأت مصنعاً لتعليب الكافيار، بعد أن حصلت من الحكومة الإيرانية على الحق الحصري في توزيعه في منطقة الشرق الأوسط، وهي تمتلك عزيمة قوية، وإرادة كبيرة للوصول إلى المكانة التي تتطلع إليها في مجال الكافيار.

أشهر بائع كافيار

يعدّ أرمان بطروسيان، أشهر بائع كافيار في العالم، فهو معروف في كل مكان، ولا يمكن التحدث عن الكافيار من دون المرور به، يملك شركته الخاصة في إحدى مناطق العاصمة الفرنسية «باريس»، ويتداول فيها ما مجموعه ١٠-١٥٪ من مجمل كافيار العالم».

يتحدث أرمان عن بدايته قائلاً: «بعد أن فر أبي وعمي من روسيا التي كانت واقعة تحت النظام البلشفي عام ١٩٢٠م وجدا ملاذهما في فرنسا، التي حملا إليها في حقيبتهما مجموعة من علب الكافيار كي يُعرّفا الفرنسيين به.. حينها بدأ كل شيء».

ويمتلك بطروسيان أيضاً سلسلة من المحلات والمقاهي والمطاعم والمخابز، في فرنسا، والولايات المتحدة، يتوافر فيها جميعاً الكافيار بأشكال وأنواع مختلفة.



أرمان بطروسيان هو أشهر بائع كافيار في العالم، فهو معروف في كل مكان، ولا يمكن التحدث عن الكافيار من دون المرور به

السعداوي تفسد احتفالية مدبولي



شنّ بعض المثقفين هجومًا عنيفًا على الحاج مدبولي صاحب أشهر مكتبة في القاهرة بعد إتلافه كتابين للدكتورة نوال السعداوي اعترض عليهما الأزهر، مسوغًا ذلك بأنهما يحملان إساءة للإسلام، وطعناً في الذات الإلهية. وفي أثر هذا الهجوم ألغى مدبولي احتفالية كان قد قرر إقامتها بمناسبة مرور خمسين عاماً على افتتاح مكتبته. وأكد الناشر الشهير وجود من يحاول إفساد الاحتفال باليوبيل الذهبي لمكتبته بمحاولة إثارة الموضوع على الرغم من مرور عام كامل على إتلافه نسخ الكتابين. وقال: إن هناك من يحاول التنكر لمسيرته في خدمة الثقافة والمثقفين على مدى نصف قرن.

الكتابان اللذان أتلفهما مدبولي هما: راوية «سقوط الإمام»، و مسرحية «الإله يقدم استقالته من اجتماع القمة».

وقال مدبولي: إن إتلافهما كلفه ٦٠ ألف جنيه، وكان حرصاً منه على ألا يقترف ذنباً يحاسب عليه، ولم تكن هناك أي ضغوط دينية أو أمنية، وأشار إلى أن المؤلفة قبل مغادرتها إلى بلجيكا قد تفهمت دوافعه، وقررت نشرهما في دار نشر أخرى.

وفاة سامي خشبة

شيعت في ٢٥ جمادى الآخرة الماضي جنازة سامي -خشبة الناقد المصري الكبير- عن عمر ناهز الـ ٦٧ عاماً بعد إصابته بذبحة صدرية فارق على إثرها الحياة. ولد الكاتب الراحل في محافظة الغربية عام ١٩٣٩م، وهو ابن المترجم الراحل دريني خشبة. أحد الذين ترجموا الإلياذة والأوديسة وأعمالاً عن الروسية لمكسيم جوركي، وأنطون تشيكوف، وليو تولستوي. وكان خشبة قد تعرض للسجن ضمن جماعات اليسار الذين اعتقلوا في مطلع عام ١٩٥٩م. وبعد خروجه من المعتقل عمل في صحيفة (الجمهورية)، ثم (الأهرام) التي أصبح نائباً لرئيس تحريرها، ثم تحول إلى كاتب مقال أسبوعي. كما كان رئيسًا لتحرير مجلة (الثقافة الجديدة).

بدأ سامي خشبة حياته العملية صحفيًا في مؤسسة دار الهلال. فعمل مع الناقد الراحل رجاء النقاش في أثناء رئاسته تحرير مجلة (الكواكب). ليعمل معه بعد ذلك في مجلة (الدوحة) القطرية. وقد ترجم خشبة أكثر من عمل ينتمي إلى مسرح العبث. وكان في أخريات حياته يعكف على ترجمة رسالة دكتوراه للدكتورة العنود محمد الشارخ عنوانها: «الغضب الناعم». وتتناول الكتابات النسائية في العالم العربي.

وسيصدر هذا الكتاب عن المركز القومي للترجمة بمصر، الذي تولى خشبة قبل أيام من وفاته الإشراف على سلسلة يصدرها المركز باسم «دراسات ثقافية». ومن مؤلفاته المهمة كتاب: «نموذج البطل في أدب المقاومة»، «وتحديث مصر».

حظر كتاب «الجهالة الإسلامية» في كردستان

أمرت وزارة الثقافة في حكومة إقليم كردستان بمصادرة كتاب باللغة الكردية يسيء إلى الإسلام، ووزعت تعميمًا على مديريات الثقافة في جميع المدن والمحافظات الكردستانية بضرورة جمع النسخ الموزعة على المكتبات العامة والأهلية.

الكتاب بعنوان: (الجهالة الإسلامية والعالم المعاصر)، لمؤلف مجهول الهوية، وهو يسيء إلى الدين الإسلامي بشكل واضح وصريح.

وكان عدد من علماء المسلمين في إقليم كردستان قد قاموا بحملة موسعة لجمع التوقيعات في الأوساط الشعبية قبل أسابيع، وتقديم مذكرة احتجاجية إلى رئيس الإقليم مسعود بارزاني للتدخل لوقف الهجمات المتكررة على الدين الإسلامي، والتطاول عليه من بعض الكتاب والشعراء الأكراد.

عربية لرائعة الإسبان «لاثاريو دي تورميس»

قام إدريس الجبوري ومحمد المساري مؤخرًا بترجمة الرواية الإسبانية: «حياة لاثاريو دي تورميس: حظوظه ومحنه» إلى اللغة العربية، وقدم لها الدكتور جميل الحمداوي بدعم من وزارة الثقافة الإسبانية.

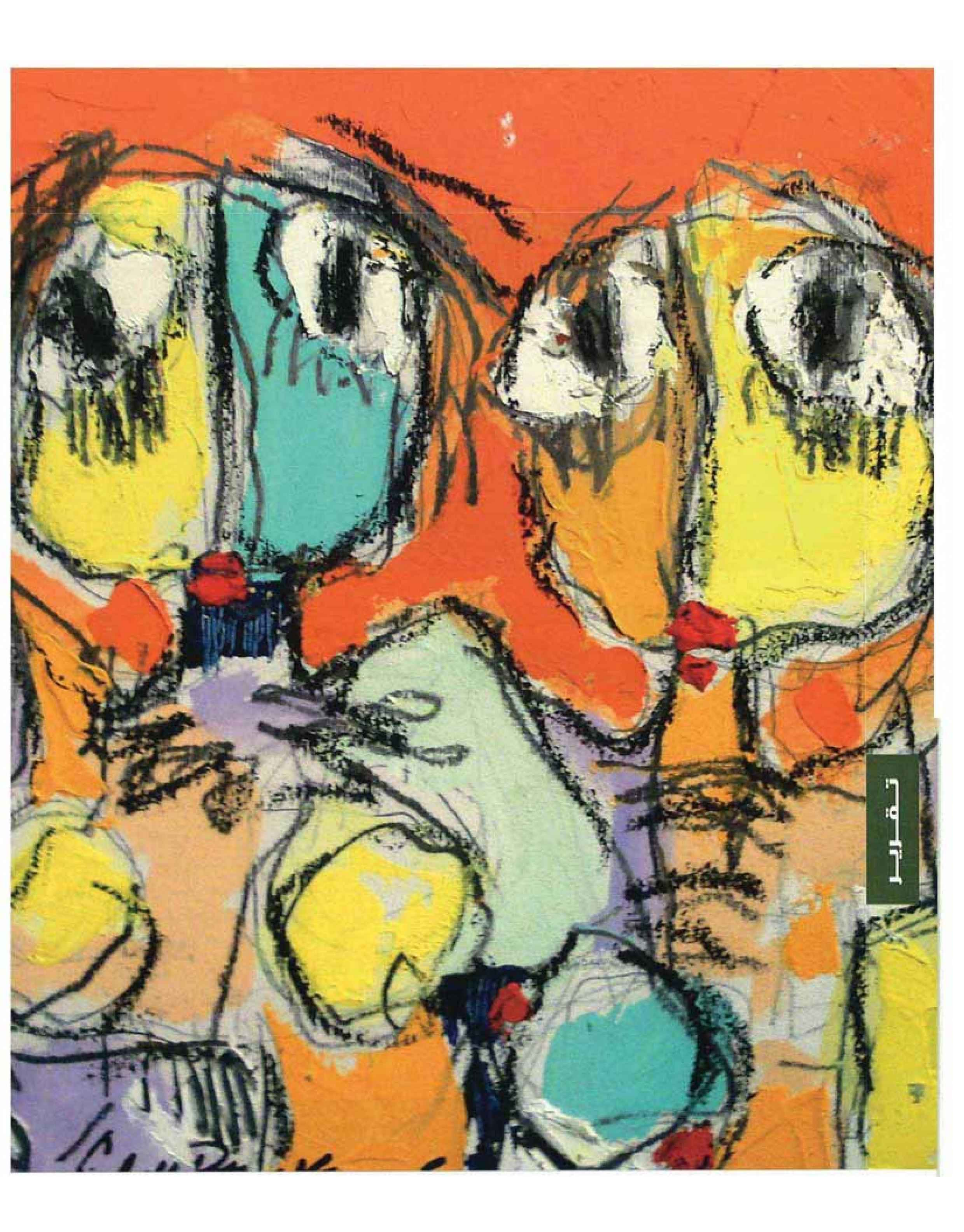
وتعد ترجمة هذا العمل الذي يعود إلى القرن السادس عشر إنجازًا مهمًا في إطار التواصل الثقافي والحضاري بين الأدبين العربي والإسباني، فهو - على الرغم من مرور قرون - لا يزال يحتفظ ببريقه وجاذبيته، ويستهوي الباحثين المهتمين بالدراسات المقارنة في مجال الأدب.

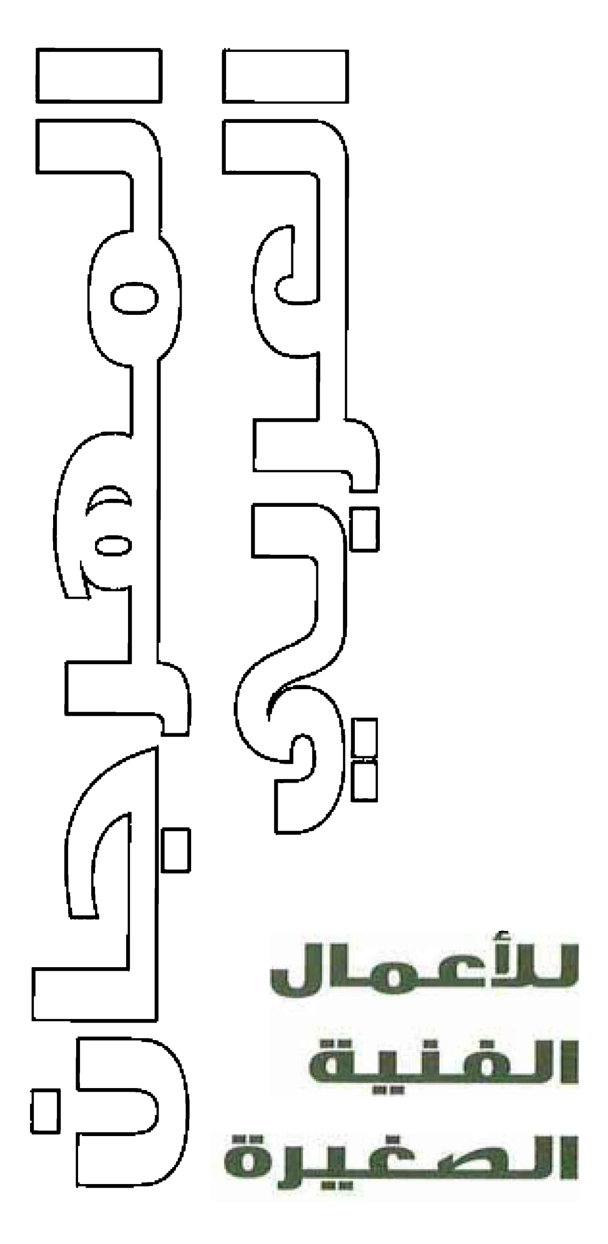
وقد ظهرت الرواية إلى الوجود في عام ١٥٥٤م لمؤلف مجهول، وأسست بذلك لميلاد جنس روائي جديد يسمى الرواية البيكاريسكية، التي غالبًا ما يكون بطلها صعلوكاً، وشحاذاً، ومخادعاً يجنح إلى المكر والحيلة والدهاء في سلوكه.

رواية سعودية عن احتلال الأندلس

صدرت عن دار الساقي في لندن مؤخرًا رواية جديدة بعنوان: «سلامٌ»، من تأليف الكاتب والروائي السعودي هاني النقشبندي، وتعكس الرواية الصراع بين الغرب والإسلام من خلال تناول تاريخ الأندلس، المتمثل في قصر الحمراء بغرناطة، ومحاولة استنساخه في هذا العصر، ويدعو المؤلف إلى ضرورة أن يتوقف الصدام، ويتحول إلى حوار.







علي عبد الله مرزوق

الرياض - السعودية

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز - محافظ محافظة جدة - المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة بمركز الملك فهد الثقافي في جدة مؤخراً، الذي حوى بين جنباته أكثر من ١٥٠٠ لوحة صغيرة أبدعها ٢٧٠ فناناً من التشكيليين والتشكيليات العرب يمثلون السعودية، والمغرب، والسودان، واليمن، والأردن، والعراق، وقطر، وتونس، وعمان، والبحرين، ومصر، وفلسطين، والإمارات، وسورية، ولبنان، والكويت، والجزائر.

هذا المعرض الفريد من نوعه جمع كثيراً من التقنيات والاتجاهات التشكيلية المختلفة؛ كأعمال الحفر (الجرافيك)، والرسم، والتصوير التشكيلي، وأعمال التركيب، والمجسمات، والكولاج، والخزف. وقد أشرف على تنظيمه صالة روشان للفنون الجميلة، وقام بالتنفيذ والإعداد والإخراج فريق عمل متخصص، كما بذل فيه الفنان نابل ملا المنسق العام للمهرجان، وصاحب فكرته جهداً كبيراً، وهو امتداد - كما يقول - لمهرجان الأعمال الصغيرة الذي أقيم في عام ٢٠٠٣م وشارك فيه ٥٥ فناناً وفنانة من السعوديين والمقيمين، ونتيجة للنجاح الذي لقيه المهرجان أقيم مرة أخرى ليشمل أغلب الدول العربية.

أهداف وطموحات

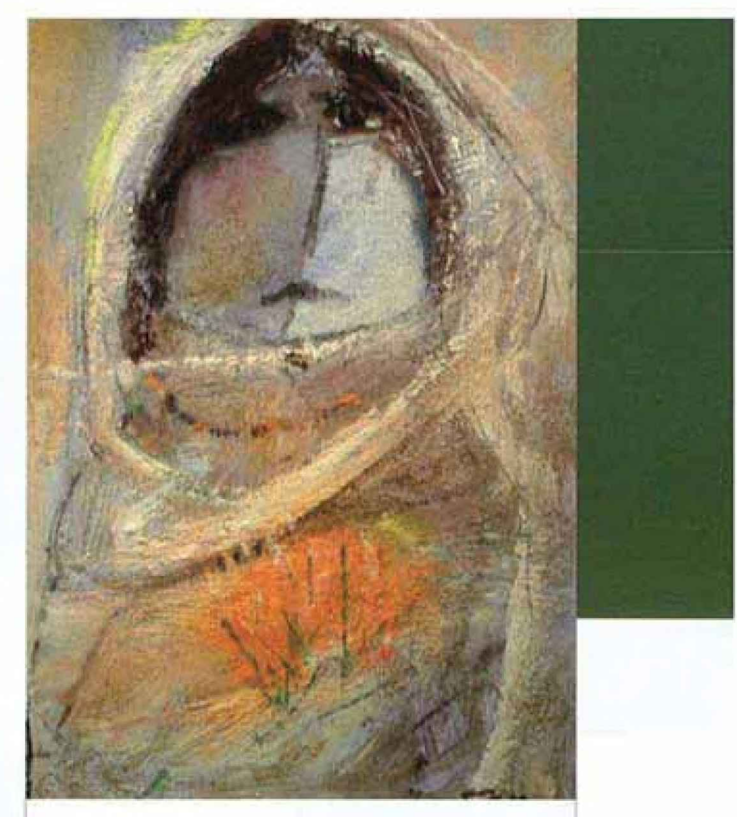
لعل من أهم أهداف مثل هذه التظاهرة التشكيلية كما أوضح نابل ملا تحقيق السبق للمملكة في تنظيم مثل هذا المهرجان، الذي يعدّ الأول من نوعه على المستوى العربي، وإيجاد قاعدة عربية عريضة من عشاق الأعمال الصغيرة، وتقريب وجهات النظر، وتبادل الأفكار والرؤى من خلال عرض أهم التقنيات الحديثة في عالم الفنون التشكيلية، وفتح آفاق جديدة لزوار المهرجان من متلقين ونقاد، وغرس مفاهيم الفنون الجميلة في أذهان المتذوقين، ونشر ثقافة الأعمال الصغيرة بين أفراد المجتمع السعودي، والحث على التفاعل معها واقتنائها، ومن ثم العمل على تحقيق نشر الفنون الجميلة بين المجتمع، ومن ثم العمل على رفع الذائقة الفنية الجمالية.

أسماء ومشاركات

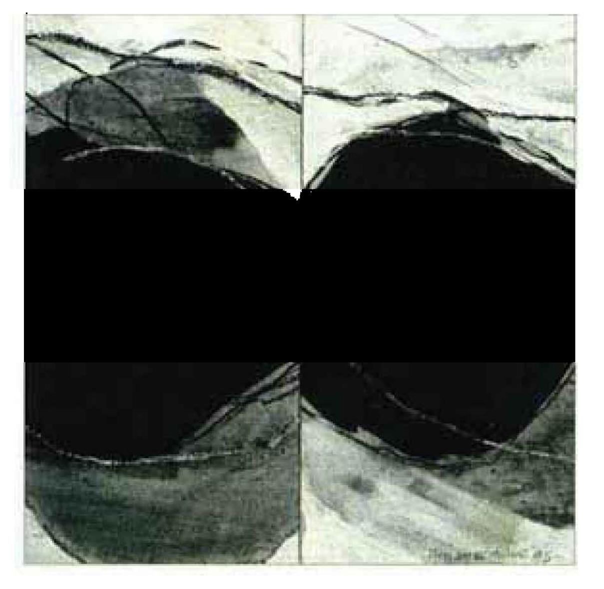
شارك في هذه التظاهرة التشكيلية نخبة من فناني الدول



عبدالعزيز بوبي عشر (الصومال)



فائق (العراق)



حسن الشاعر (المغرب)

العربية يمثلهم من السعودية: الدكتور خالد المرمش، وعبد الرحمن السليمان، وعبد العزيز عاشور، وطه صبان، وشريفة السديري، وسليمان باجبع، وعبد الله إدريس، وفهد خليف، وعبد الرحمن مغربي، وعلا حجازي، وحنان حلواني، وأحمد البار، وياسمين خياط، ونبيل نجدي، وعلي مرزوق، وغيرهم. ومن العراق: سعدي الكعبي، ونوري الراوي، ومحمود العبيدي، وهاشم حنو، وعالية الوهاب. ومن المغرب: الدكتور فريد الزاهي، وعبد الله حريري، وحسان بورقية، وعبد الكريم الوزاني، وخديجة طنانة. ومن السودان: الدكتور راشد دياب، والدكتور أحمد عبد العال، وأحمد عبد الله عتيي، وعوض أبو صلاح، وزينب التيجاني. ومن الصومال: عبدالعزيز بوبي عشر. ومن البحرين: راشد العريفي، وحامد البوسطة. وعبد الكريم العريض، وعباس يوسف. ومن فلسطين: هاني زعرب، وسمير سلامة، ودينا غزال، ونبيل عناني. ومن مصر: الدكتور سعد العبد. والدكتور صلاح المليجي، ومحمد الطحان، وإسلام زاهر، والدكتور نبيل عناني. ومن الأردن هليدا حياري، ومحمد العامري. والدكتور خالد خريس، وأيمن يسري. ومن لبنان: وجيه نحلة. والدكتور عماد أبو عجرم. وعزت أبو مزهر، وجورج الزعتيني، والدكتورة فاطمة الحاج. ومن عمان: حسين عبيد. وفخر تاج. وأنور سونيا. ومن قطر: يوسف أحمد. وعلي حسن. وأمل الغانم، وحسن الملا. ومن اليمن: الدكتورة آمنة النصيري. وعبد الله الأمين. ونصر عبد الله. ومن تونس: علي عيسى. وخليل قويعة. ونجمي الزردومي. ومن الجزائر: الطاهر ومان، وعبد الحميد سكندر. وإبراهيم مردوخ. وشمس بوطبة. وإلهام نسرين.

مشاعر تسكن المساحات الصغيرة

تعد اللوحة الصغير نتاجاً فنياً إبداعياً يتطلب خبرة ودراية وقدرة على التلخيص اللوني والشكلي، بعكس الأعمال التشكيلية ذات المساحات الكبيرة، التي تريح الفنان التشكيلي، وتجعله يتعامل معها بكل حرية: لذا فإن التعامل مع اللوحات التشكيلية المصغرة يعد تحدياً للفنان في كيفية تلخيص عمله بما يتناسب مع هذه المساحة الصغيرة، هذا التحدي يقول عنه الناقد عمران القيسي: يضطر الفنان في كثير من الأحيان إلى تحويل المصطلح التصويري الصغير إلى فعل تحدٍّ للمساحة الكبيرة. وإلى حالة تشكيل مركز وقابل لمنح ذاته كاملة دون نقصان.

أما بالنسبة إلى اللوحة الصغيرة فإنها ستتحول من صورة إلى حالة من حالات الكثافة النوعية، وهنا سنكتشف معاً: لماذا عمد كثير من فناني عصر الباروك إلى رسم مساحات صغيرة وتوزيعها «ديكورياً» ضمن النظام العام للمكان. بينما عمدت الخطابية الثورية التي كانت ثورة على النظام إلى فنون الجدرانيات التي تخاطب الحس؟[1].

عبدالله إدريس

فهد خليف



من الافتتاح

وفي المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة قُدر للوحة أن تحمل قلق دول عربية مختلفة، ومتغيرات حدود جغرافية جديدة، أو تنفتح على محترفات حرة دون قيد أو شرط. وأصبح خيار الفنان الوحيد: كيف يسكن المشاعر في مساحة لا تزيد على: ٢٠×٢٠سم، ومن ثم هناك نقطة ينطلق منها المنظمون لهذه التظاهرات أرجو أن تكون بعيدة عن المتخيل المعتاد. ألا وهي انتظارهم من فناني العالم العربي اليوم أن يرسموا بحراً، أو مراكب، أو شاطئاً؛ لأنه قد تحدث خيبة أمل وانفصال وانفصام بين المنظم والعارض والمتلقي. ولأن كل فنان أصبحت له شواطئه الخاصة التي يرسم عليها خاماته وألوانه ومراكبه. ولو كانت ورقية، لكنها مراكب يبحر بها في أعماق نفسه، وفي مواجهة مع أمواج خاصة به تختلف أصواتها وارتفاعاتها بارتفاع حرارة الفنان ومشاعره حتى لو كان أمام طراز جيل جديد يجب ألاّ ننتظر منه غير ما يقدمه لنا؛ لأنه جيل حلم وحمل أسئلة التغيير وملامح مستقبله دون وصايا جيل له مناخه الإبداعي الخاص[٢].

ريادة وولادة

دأب المستشرقون على نسبة كل عمل إبداعي إلى غير أهله من المسلمين، ومن ذلك أنهم نسبوا فن «المنمنمات» أو «المرقنات» إلى الفنون البيزنطية واليونانية، غير أن كثيراً من الباحثين المسلمين المعاصرين أمثال ثروت عكاشة، وحسن محمد حسن، وعفيف البهنسي أرجعوه إلى الفن الإسلامي.

ويُعد المصور ماني البابلي، الذي يعتقد بعض الباحثين أن لفظة منمنمة أتت من اسمه الأول «ماني»، من أشهر المصورين الذين

اشتهروا بفن المنمنمات، كما اشتهر كذلك يحيى الواسطي بمثل هذه الأعمال، وكمال الدين بهزاد، وسيد علي، وقد كانت رسوم المنمنمات تزين كثيراً من الكتب الإسلامية.

كان المصور العربي الإسلامي يرسم في اتجاهين مختلفين، هما: اللوحات الجدارية المرتبطة بالعمارة وما يتعلق بها من عناصر زخرفية معمارية، واللوحات الصغيرة المرتبطة بالمخطوطات وما يتعلق بها من إيضاح وتزويق. غير أن اللوحات الصغيرة «المنمنمات» كانت هي الأقرب إلى تجسيد مشاعره، والأكثر إلى التعبير عن حميميته، بما يحقق امتلاكها والالتصاق بها. وهذا الأمر جعلهم يقتصدون في المساحات التي يرسمون فيها - كما تذكر الدكتورة سعاد ماهر[٢] - على النحو الذي سار عليه مزوقو المخطوطات في أوربا، وذلك في المدارس التصويرية الإسلامية التي سبقت المدرسة العربية. وقد نشأ عن هذا أن أصبح على الناظر إلى هذه التصاوير أن يبحث عن منظار مكبر لقراءة الكتابة الزخرفية، أو لكشف رسم هندي معقد. وتضيف أن المصور يتجه أحياناً إلى أساليب تحرك الفكر والذهن معاً، لكنه - بوجه عام - كان يهدف إلى تصوير الأشياء كما تنطبع في ذهنه، لا إلى تصوير الأشياء في حياته الواقعية.

رواد المنمنمات في الوطن العربي

كثر الجدل حول ريادة فن المنمنمات في الوطن العربي، إلا أن الباحث عفيف بهنسي يرى في كتابه «الفن العربي الحديث بين الهوية والتبعية» أن الفنان الجزائري محمد راسم يعد أول المبشرين العرب بعودة فن المنمنمات بأسلوبه الرصين المتقن الذي يتجاوز فيه أعمال بعض الرقاشين والرسامين العرب والفرس في الماضي. كما أن راسم قد أسهم في تكوين جيل من الفنانين الجزائريين الذين تابعوا أسلوبه في المنمنمات الحديثة وفن الترقين.

وقد برز كثير من فناني الدول العربية في فن المنمنمات أمثال سعيد تحسين، وممدوح قشلان من سورية، وجلال عبد الله، والزبير التركي من تونس، وفي العراق نجد سعاد العطار. أما في السودان فيبرز إبراهيم الصالحي، بينما يبرز ينحاز هنري في لبنان، ومحمد بن علال في المغرب، وجاذبية سري في مصر.

المنمنمات وتزويق الكتب

نشطت حركة المنمنمات بعد حركة الترجمة والتأليف، وغالباً ما كانت الكتب المترجمة من إغريقية وفارسية وهندية مزينة بصور وزخارف بفعل فنانين أجانب. أما المخطوطات العربية فقد خطها وزخرفها فنانون مسلمون[١] زينوا كثيراً من المخطوطات الشهيرة بالصور والرسوم التمثيلية الملونة بألوان حالمة شفافة، وقد سمي هذا النوع من التصوير بـ «المنمنمات».

وقد ازدهر وامتدت شهرته لتشمل دول الشرق المسلم، من سورية والأناضول إلى العراق وإيران، ثم الهند.

وتنقسم التصاوير في المخطوطات الإسلامية إلى ثلاثة أنواع:

أولها: التصاوير التي توضح الكتب العلمية، وثانيها: التصاوير التي تزوق الكتب الأدبية، وثالثها: تصاوير الكتب التاريخية والدينية.

لقد كانت صور الكتب العلمية تصور مشاهد الطب وطرائق العلاج، والمختبرات التي يحضر فيها الأطباء عقاقيرهم، إلى جانب مشاهد لفلكيين مسلمين، ومخترعاتهم الفلكية، وأجرام سماوية، مثل كتب: البيطرة، والعقاقير، ومعرفة الحيل الميكانيكية، وخواص العقاقير.

هذه الصور التي كانت تزوق الكتب العلمية يقول عنها الباشا: إنها علمية بحكم موضوعها، تفتقر إلى الإبداع الفني، وقد لا تحتوي على رسوم آدمية أو حيوانية، مثل بعض كتب النبات والجغرافية والهندسة.

غير أن هناك كتباً علمية أخرى تضم تصاوير يمكن أن تدخل ضمن الإطار الفني، إلى جانب أهميتها العلمية، وربما يرجع ذلك إلى اشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية، وقد اهتم مؤرخو الفنون ببحثها من الوجهة الفنية، فدرسوها، وقسموها بحسب أساليبها إلى مدارس التصوير المختلفة[٣].

بينما نجد أن كتب الأدب تصور العادات والتقاليد المختلفة، أما كتب الحكايات الشعبية فنرى فيها صوراً لمشاهد خيالية بسيطة وملأى بالرموز.

ومن النصوص القديمة التي وصلتنا حتى الآن، والتي تشير إلى استخدام الفنانين المسلمين المنمنمات في تزويق المخطوطات منذ القرون الأولى، ما جاء في كتاب: «مقامات الحريري» الذي رسم فيه الواسطي نحو ١٠٠ صورة، وهو محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، وفيه تصوير للحياة الاجتماعية وفق أسلوب عربي محور، وكتاب «بستان» للشاعر الإيراني سعدي، وبه خمس صور من أعمال بهزاد.



الكاتب مع الفنان عبدالرحمن مغربي

وهو محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة، وكتاب كليلة ودمنة، ورسائل إخوان الصفا، وكتاب الترياق.

وتشير علام إلى أن المصورين في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م) فضلوا تصوير المخطوطات على التصوير الجداري، وتضيف أن الفنانين المسلمين في جميع البلاد الإسلامية برعوا في رسم هذه الصور التوضيحية الملونة، وتميز كل بلد بطابع خاص.

أما التصوير الذي يزين المخطوطات والكتب التاريخية، الذي ذكر المؤرخون وجوده في العراق خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع الميلادي، فلم يعثر منه حتى الآن على أي نماذج، وأقدم ما عثر عليه من العراق لا يرجع إلا إلى ما بعد القرن الثالث عشر الميلادي في فترة حكم السلاجقة، إذ اكتشف مخطوط يعود إلى أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وهو ديوان شعري كُتب بالإيرانية، ويحتوي على ٧١ صورة[٦]، وتلاه كثير من المخطوطات المصورة المختلفة.

دلالة ومعنى

عند البحث في معاجمنا اللغوية تحت مادة (نمم) نجد أن لفظة «نَمْنَمَة» تعني الخطوط المتقاربة، ولكل شيء نمنمة، وكتاب منمنم: أي: مُنقَّش[٧]، و(نَمْنَمَ) الشيءَ: رَقَّشَهُ وزخرفَهُ[٨].

وهناك من يطلق على هذا النوع من الفن «المرقنات» التي تعني التزيين؛ لأن رقن الشيء زينه، والرقون: النقوش، كما في اللسان.

غير أن هنالك التباساً، كما يذكر الناقد شربل داغر[٩]، فبينما نطلق عليه «المنمنمة»، وتطلق عليه عدة لغات أوربية ابتداءً من الإيطالية «أريوتاينيم»، يعين هذا اللفظ في أكثر من لغة أوربية «صورة ذات مقاسات صغيرة، ومنفذة بألوان حارة تناسب الرسائل والمخطوطات القديمة».

ومنشأ هذا الالتباس يعود أساساً إلى تسرع رحالين ودارسي فن أوربيين في إطلاق التسمية الأخيرة على الصور في المخطوطات العربية والفارسية والتركية، وغيرها من دون انتباه إلى طبيعتها الفنية المختلفة، ويرسخ هذا الالتباس بعد أن تقدم الباحث «بشر فارس» باقتراح إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة في خمسينيات القرن الماضي قضى باعتماد لفظ «منمنمة» لهذا النوع من الصور.

متاحف العالم تحتفظ بالمنمنمات

يحتفظ كثير من المكتبات والمتاحف العالمية بالمنمنمات الإسلامية، مثل: دار الكتب المصرية، ومكتبة طوبقا بي سراي في إستانبول، والمكتبة الأهلية في باريس، ومكتبة هايون أمير باير، ومتحف المتروبوليتان في نيويورك، ومتحف فرير للفنون في واشنطن، ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن، ومتحف اللوفر، والمتحف البريطاني، إلى جانب المجموعات الخاصة التي تحتفظ بكثير من هذه المخطوطات المصورة، مثل مجموعات: مسز جون، والدكتور روكفلر، وهنري فيفر، وجان بوري، وشارل جيليه.

بهزاد ومدرسته

ولد كمال الدين بهزاد في مدينة هراة، واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده، غير أن زكي محمد حسن يعتقد أنه ولد في عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠هـ.

وقد اكتسب بهزاد شهرة واسعة بسبب براعته في التصوير، حتى إن كثيراً من تلامذته أظهروا تأثراً واضحاً بأعماله، أمثال: قاسم علي، وآقا ميرك، وسلطان محمد، وشيخ محمد، وغيرهم كثير.

ويتميز فن بهزاد بأنه استطاع أن يبث الحياة في أعماله، وبخاصة الشخوص التي كانت تتوزع داخل نصوصه البصرية، واستطاع أن يلخص كثيراً من التفاصيل، كما استطاع أن يتحكم في المساحة التي تشغلها الصورة، وأن يختار موضوعها بعناية بما يتوافق مع موضوع المخطوطة، إلى جانب براعته في مزج الألوان.

يقول عنه المؤرخ الإيراني خواند مير: «وضع بهزاد أمامنا من روائع صوره وفنه العجيب النادر أعمالاً تحاكي ما أبدعته ريشة المصور الكبير ماني، وطمست أعماله الفنية ذكرى غيره من مصوري العالم»[١١]. ويعتقد محمود إبراهيم حسين أن بهزاد استطاع أن يسمو بالأساليب الفنية التي ازدهرت في مدرسة هراة، وأنه برع في كثير من أمور التصوير: كتمثيل العمائر من الداخل والخارج، وتصاوير الطبيعة[١١].

الواسطي

ينحدر يحيى بن محمود الواسطي من مدينة واسط في العراق، وهو من أشهر المصورين المسلمين، وتعد المشاهد الأدبية في مقامات الحريري من أشهر أعماله التي وصلتنا، ونشاهد فيها حرس الخليفة، وقوافل الجمال، وعازفات العود، وشخوصاً لهم أنوف مدببة وقصيرة، وعلى وجناتهم بقع حمراء.

يقول مارتن عن تصاويره: إنها أضافت كثيراً إلى معلوماتنا عن تلك المدة. أما ديماند فيؤكد أن هذا المصور رسم تصاويره بطرائق بديعة ورائعة، ونجح في تصويره الحياة الاجتماعية تصويراً واقعياً.

ويعد الواسطي مصوراً واقعياً، إلا أن صوره كانت أيضاً مملوءة بالطابع الزخرفي الواضح، هذه التصاوير تركت لنا تأثيراً واضحاً في أساليب التصوير الفني في إيران خلال العصر المغولي التيموري[١٢].

اللوحة الصغيرة نتاج فني إبداعي يتطلب خبرة ودراية وقدرة على التلخيص اللوني والشكلي، بعكس الأعمال التشكيلية ذات المساحات الكبيرة

إن الأعمال الفنية التشكيلية المصغرة تعد امتداداً لـ«المنمنمات» التي اشتغل عليها الفنان المسلم، والتي استفاد منها بعض فناني الغرب، أمثال: بول كلي، الذي أنجز أكثر من ثلاثة آلاف لوحة صغيرة، كما أظهر الفنان الهولندي رامبرانت وغيره تأثراً واضحاً بهذا الفن.

وقد جاء المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة ليؤكد أحقية الفنان المسلم بريادة مثل هذا النوع من الأعمال، التي بات الغرب ينظر إليها، ويقيم لها المهرجانات والمسابقات المختلفة.

الهوامش

١- القيسي، عمران، «العلاقة بين اللوحة ومساحتها»، كتيب معرض المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة، روشان للفنون الجميلة، جدة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٥.

٢- عكاشة، عبدالرازق، «خريطة المشاعر وأيديولوجية الأحاسيس هل تحدد المساحات اللونية للوحة؟»، كتيب معرض المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة، روشان للفنون الجميلة، جدة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٦.

٣- محمد، سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٢٩.

٤- حسني، إيناس، أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٧٢.

٥- الباشا، حسن، التصوير، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م، ص٩٩.

٦- علام، نعمة إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط ٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢م، ص٣٢.

٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة (نمم)، دار صادر، بيروت ٢٠٠٤م.

٨- الرازي، عبدالقادر، زين الدين محمد، مختار الصحاح، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مادة (نمم).

٩- داغر، شربل، «بين المصغر والمنمنم»، كتيب معرض المهرجان العربي الأول للأعمال الفنية الصغيرة، روشان للفنون الجميلة، جدة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ١٤.

١٠- ديماند، م، س، الفنون الإسلامية، ط٣، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٥٦.

١١- حسين، محمود إبراهيم، موسوعة الفنانين المسلمين، الجزء الأول، المصورون المسلمون، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٨٦م، ص٤٨.

١٢- حسين، محمود إبراهيم، موسوعة الفنانين المسلمين، مرجع سابق، ص٤٤.



القيم الدينية

والمصالحة بين الاتحاد الأوربي والإسلام

عرض: سمير عبد الحميد إبراهيم نوح

طوكيو - اليابان

صدر كتاب (القيم الدينية: هل هي السبيل إلى المصالحة بين الاتحاد الأوربي والإسلام - ردود فعل الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم)، تحرير البرفيسور كوانشي موري مدير مركز دراسات الديانات التوحيدية بجامعة دوشيشه في كيوتو في يناير عام ٢٠٠٧م باللغة اليابانية عن شركة طباعة مكتبة أكاشي في طوكيو، وهي المكتبة نفسها التي اهتمت بنشر عدد من الكتب المتعلقة بالإسلام: مثل: دائرة المعارف الإسلامية تحرير الباحثة اليابانية الدكتورة كاتاكورا موتوكو، وتاريخ فلسطين، فضلاً عن سلسلة من الكتب بعنوان: كيف نفهم..؟ منها:

كيف نفهم إيران؟

كيف نفهم ليبيا؟

كيف نفهم إندونيسيا؟

كيف نفهم باكستان؟

كيف نفهم وسط آسيا ؟

حرية التعبير

ذكر البرفيسور موري في مقدمته للكتاب أن الكتاب يقدم دراسة لردود فعل الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي نشرت في سبتمبر عام ٢٠٠٥م، وأشار إلى أنه يختار - على سبيل المثال - رسمين: أحدهما يصور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه قنبلة، والآخر يصوره في السماء بين السحاب يرحب بشابين انتحرا باسم الجهاد، وهذا يعطي انطباعاً بأن المسلمين في أنحاء العالم إرهابيون. وأشار البرفيسور موري إلى أن أجهزة الإعلام اليابانية نشرت تعليقاتها عما حدث نتيجة ردود الفعل، وقد اتخذ الإعلام جانباً واحداً تجاه نقل هذا الكرتون؛ مما جعل معظم اليابانيين يشعرون بأن حرية التعبير أمر يجب المحافظة عليه مهما كان الأمر، حتى لو أدى إلى نقد العالم الإسلامي، ويشعرون بأن العالم الإسلامي هو ضد حرية التعبير، وأنه عالم متخلف أو أن الدين دين متخلف. والقضية أخطر مما يظنه اليابانيون؛ لأن هذا أمر يتعلق بما يدور في أوربا، وعلى الاتحاد الأوربي البحث عن حل لهذه القضية، وهذا الأمر يطرح سؤالاً: ماذا في أوربا ؟ وما الحال في الاتحاد الأوربي؟ وما ماهية الإرهاب الذي يدور في إنجلترا أو في إسبانيا، وماهية العنف في فرنسا أو حتى ما قام به لاعب كرة القدم الفرنسي زيدان، وأيضاً ما ذكره بابا الفاتيكان فيما يتعلق بالإسلام؟ هذه كلها أمور تحتاج إلى تدقيق.

يتكون الكتاب من قسمين: يشرح القسم الأول ما حدث بالضبط في مسألة الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويضم

الفصل الأول والثاني شرحاً لما حدث في الدانمارك، وهولندا، وفرنسا بعد نشر الرسوم المسيئة، بينما يتضمن الفصل الثالث حتى السابع بحوثاً عن ردود فعل العالم الإسلامي: إيران، ومصر، ودول الخليج، ودول جنوب شرق آسيا، وإندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة. وخصّص الفصلان الثامن والتاسع لبيان ردود الفعل في كل من إنجلترا، وألمانيا، وجعل الفصل العاشر لردود الفعل في الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، وجاء الفصل الحادي عشر عن ردود الفعل في إسرائيل.

وفي القسم الثاني من الكتاب يتم تحليل خلفية هذه الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، فيتناول وجهة نظر الشريعة الإسلامية في الموضوع، وحرية التعبير في العالم، والقيم الدينية، والعلاقة بين هذا الموضوع وحرية الحديث عن الهولوكوست، ثم تحليل موقف أمريكا، والعالم الإسلامي.

أهمية العلاقات الطيبة

قدم البرفيسور موري في خاتمة الكتاب تحليلاً لموقف بابا الفاتيكان وخطابه الذي ربط فيه بين الإسلام والإرهاب، وأشار البرفيسور موري إلى أن الحفاظ على علاقات طيبة مع الدول التي يوجد فيها أنماط مختلفة من الأفكار والثقافات هو أمر مهم جداً من أجل مصلحة الشعوب، واليابان لا يمكن أن تهمل مثل هذه القضية؛ أي قضية الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعبّر البرفيسور موري عن أمله في أن يساعد هذا الكتاب على فهم هذه القضية بشكل صحيح.

من الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الباحثين في تخصصات مختلفة شاركوا في كتابة الأبحاث التي تضمنها هذا الكتاب، فقد كتب البرفيسور ميشيل مول، وهو باحث زميل في جامعة دوشيشه، عن خلفية الرسوم الكارتونية في الاتحاد الأوربي، بينما كتب تيم بينسن من جامعة الدانمارك عن الدانمارك: الصراعات الكامنة تحت الثلج، وكتب تومينا كينجي الأستاذ بجامعة دوشيشه عن إيران بين الحوار وصراع الحضارات، وكتب تاكاوكا يوكاكا الباحث في مركز دراسات الشرق الأوسط عن خطاب الأصولية الإسلامية بعد نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكتب سمير عبد الحميد نوح الأستاذ بجامعة دوشيشه عن الطابع السلمي لردود الفعل في مصر بين الحكومة والمعارضة والجهات الرسمية، وكتب شينوهيه جينوا الأستاذ في جامعة دوشيشه عن ردود الفعل في دول الخليج: تأكيد الهوية الإسلامية، وكتب كيئيتشي كين عن ردود الفعل في دول جنوب شرق آسيا: تأكيد الصلة بين الشعب والجماعات الإسلامية، وكتب جون ريوبريوغورية عن إنجلترا ومفهوم الحد من حرية التعبير، وكتب مارتين لب عن ألمانيا والصراع بين الجماعات الدينية والسياسية، وكتب كوهارا كاتسوهيرا الأستاذ بجامعة دوشيشه عن الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، وكتب كوكوبو عن إسرائيل: مشكلة الرسوم المسيئة للنبي والهولوكوست، وكتب البرفيسور حسن كو ناكاتا عن تحليل الرسوم المسيئة: سراب الحرية وتحطيم النموذج - وجهة نظر الشريعة الإسلامية، وكتب نديم أمين عن الوضع الحالي في العالم الإسلامي، وماذا ينبغي عمله؟، وكتب كانو كينجي عن حرية التعبير وحرية عدم التعبير، وكتب شانتا بريماوادانا عن التوازن بين حرية الصحافة والعنصرية، وأخيراً كتب كواتشي موري عن خلفية خطاب بابا الفاتيكان الذي ربط فيه بين الإسلام والإرهاب.

ظاهرة الإسلامفوبيا

وقد أوضح البرفيسور كو إتشي موري في نهاية الكتاب أن الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم هي موضوع مهم للبحث بالنسبة إلى مركز سيسمور (مركز دراسات الأديان التوحيدية)، فهذا الصراع الذي يحدث باسم الديانات التوحيدية كان يمكن تلافيه؛ لأن ما حدث من رسوم كارتونية مسيئة، وما جاء على لسان البابا في خطابه من ربط بين الإسلام والإرهاب كانا نتيجة تجاهل الشخص الآخر، وسبب التجاهل هو الافتقار إلى الشعور بمحاولة فهم الآخر. في أوربا، وأمريكا هناك نوع مما يطلق عليه ظاهرة الإسلامفوبيا، لماذا هذا الأمر؟ لأن العالم الإسلامي لا يبذل جهداً كافياً لشرح الإرهاب من وجهة نظر الإسلام. إن الناس يفهمون في الوقت الحاضر أن مواكبة الدين للحضارة موضوع مهم، والبشرية لم تجد حلاً لهذه القضية، وهذا أمر يصعب البت فيه بسرعة الآن، لكن هذا الكتاب يمكن أن يساعد الناس على فهم الديانات التوحيدية والصراع بين الأديان التوحيدية، ويتمنى أن يتمكن القراء من فهم هذه الأمور.



كل وصفة ولها تاج



جربي إستخدام التاج في وصفاتك
المبتكرة ودعيهم يلاحظوا فنك
وإبداعك ويغمروا أحاسيسهم بلذة
لا توصف في كل وصفة.



طعم مايحتاج





أسئلة مسابقة

العدد المزدوج (٣٨٥-٣٨٦)

رجب-شعبان ١٤٢٩ هـ

(١) من هو مكتشف البنسلين؟ ....

....

(٢) ما اسم صوت الحصان اذا طلب العلف؟ ....

....

(٣) من هو صاحب كتاب «القرآن المذهل»؟ ....

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ١٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مسابقة الفيصل

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً.

وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

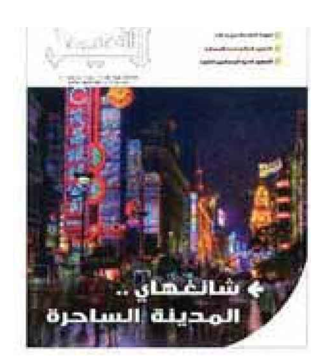
ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مد فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٠٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١